

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِتَفْهِيمٍ مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

مَجْمَعُ الْمَلِكِ يَزِيدَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الرابع والستون بعد المائتين

الآية ١٩٥ سورة آل عمران

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أساذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي كان ولم يكن شئ معه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١) الذي يجيب دعوة المضطرين .

الحمد لله الذي كان عرشه على الماء ثم خلق السماء والأرض ، وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٢).

الحمد لله على آلائه ونعمه ، وتفضل وأمرنا بأن نحمده ونشكره ، ليكون هذا الأمر وامثالنا له من أعظم النعم على الناس ، وأنزل سورة الفاتحة من بين أوائل السور التي أنزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ، ولتكون قراءتها سبع عشرة مرة في اليوم والليلة واجبة على كل مسلم ومسلمة وجوباً عينياً ، وهو من مصاديق إكرام المسلمين ، والأجر العظيم بتوالي نزول فضل الله عز وجل عليهم .

فصحيح أن ذات نزول القرآن نعمة عظيمة ، وفضل من الله إلا أنه سبحانه ينزل معه فضلاً عظيماً ورزقاً كريماً ، وهو الذي يتجلى بشواهد عديدة من الفيض والبركة فتتغشى المسلمين في كل زمان ، فله الحمد على كل نعمة ظاهرة أو مستترة .

وأيهما أكثر النعم الظاهرة أم المستترة ، المختار هو الثاني لقوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٣) ويعجز الناس ولو اجتمعوا عن الإحاطة بالنعم على العباد وعن إحصائها من باب الأولوية .

(١) سورة الحديد ٣.

(٢) سورة الأنبياء ٣٠.

وآيات القرآن كلام الله وهي نعمة ظاهرة ، وهل تصاحبها نعم مستترة ،
الجواب نعم .

ونسأل الله عز وجل استدامة وزيادة النعم مع إقرارنا بتزاحمها وأنها
جاءت ابتداءً وفضلاً من عند الله ، ليس عن إستحقاق منا .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ
يَنِّمًا أَنَا أَصَلِّي إِذْ سَمِعْتُ مُتَكَلِّمًا يَقُولُ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ الْمُلْكُ
كُلُّهُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ إِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ عَلَانِيَتِهِ وَسِرُّهُ فَأَهْلًا أَنْ تُحْمَدَ إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا مَضَى مِن ذَنْبِي وَاعْصِمْنِي فِيمَا بَقِيَ مِن عُمْرِي
وَارْزُقْنِي عَمَلًا زَكِيًّا تَرْضَى بِهِ عَنِّي .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاكَ مَلَكٌ أَتَاكَ يُعَلِّمُكَ تَحْمِيدَ
رَبِّكَ^(٣) .

وفيه مسائل :

الأولى : قانون بركة الصلاة ، وتلاوة القرآن فيها .

الثانية : اشتراك الملائكة مع الصحابة الأوائل في دعائهم وصلاتهم .

الثالثة : تلقين الملائكة للمؤمنين وجوهاً من الدعاء ، وصيغ الإستغفار .

الرابعة : بيان قانون حاجة المسلمين والمسلمات للدعاء والإستغفار .

الخامسة : قانون إنتفاع المسلمين من الملائكة في الدنيا والآخرة ، والذي

ابتدأ من اختلاط آدم عليه السلام وحواء مع الملائكة في الجنة ، ثم صيرورة

الملائكة وسائط الوحي إلى الأنبياء ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ

اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ^(٣) .

(١) سورة النحل ١٧ .

(٢) مسند أحمد ٣٣٥/٤٧ .

(٣) سورة الشورى ٥١ .

السادسة : ترك الملائكة هذا الدعاء وثيقة سماوية عند أجيال المسلمين المتعاقبة .

السابعة : قانون النعم المصاحبة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثامنة : بعث المسلمين للعمل الصالح الذي يرضي الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿ أَفَنُؤْتِي رِضْوَانًا لَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُئْسَرُ الْمَصِيرُ ﴾ (١) (٢) .

الحمد لله الذي أفاض علينا بالنعم ، وتجلت الآيات الكونية الباهرة لتدعونا إلى الإيمان ، وعن ابن عمر قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله) (٣) .

وقال ابن عباس (إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره .

وخرج رسول الله ذات يوم على قوم يتفكرون فقال ما لكم تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل ، فقال وكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه) (٤) .

الحمد لله على نعمة الحياة الطيبة ، واستدامتها لأداء الفرائض العبادية ، ومن أظهرها الصلاة خمس مرات في اليوم ، لتكون كل أجزاء وأركان كل صلاة شكراً متصلاً لله عز وجل ، وحمداً على نعمة العافية والحياة ، وذات أداء الصلاة عن قيام أو جلوس أو اضطجاع عند تعذر القيام نعمة عظمى ،

(١) سورة آل عمران ١٦٢ .

(٢) أنظر الجزء الثامن والأربعين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) الدر المنثور ١٨/٣ .

(٤) مجموعة ورام ٢٥٣/١ .

وهي حمد فعلي لله ، لذا ورد الثناء على المؤمنين بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا دار امتحان واختبار وابتلاء ، وله الحمد على الأذى في سبيله الذي تذكره آية البحث ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ لما فيه من الصبر في مقامات الهدى والأجر والثواب .

الحمد لله عدد ذرات الرمال ، وعدد الحركات والسكون في عالم الأكوان ، وعدد ترليونات الأفلاك والنجوم .

الحمد لله الذي جعل الحمد له إشراقة تزيح الكدورة عن النفوس ، وتبعث على الأمل والسعي في مسالك الحياة ، واتخاذ الإستقامة منهاجاً ، ليكون الحمد لله من مصاديق الصراط في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) .

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، وجعلنا ملوكاً في بيوتنا ، ومنحنا العز بفضل منه تعالى ، وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .

الحمد لله الذي جعل أكثر أيام الدنيا أمناً وسلامة لكل إنسان ، وجعل الخير قريباً من الناس ، وحجب الشر والضرر بمحاجز عن الناس ، مع أن كلاً من الخير والضرر مناسبة لذكر الله عز وجل ، والثناء عليه والدعاء .

الحمد لله الذي جعل قانون الإستجابة يتغشى أهل الأرض ، وهو موضوع الآية التي يتضمن بيانها هذا الجزء وهو الرابع والستون بعد المائةين من كتابي المبارك (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

(١) سورة آل عمران ١٩١.

(٢) سورة الفاتحة ٦ .

(٣) سورة المنافقون ٨.

إذ يختص هذا الجزء بتفسير الآية القرآنية ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(١) .
الحمد لله الذي أفاض علينا النعم ، وليس من نعمة عند الخلائق إلا منه تعالى .

الحمد لله الذي جعل الحمد له سبحانه من أعذب الألفاظ .
(و) عن أبي أمامة الباهلي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر به وهو يحرك شفثيه فقال ماذا تقول يا أبا أمامة قال أذكر ربي قال ألا أخبرك بأفضل أو أكثر من ذكرك مع النهار والنهار مع الليل أن تقول .
سبحان الله عدد ما خلق ، سبحان الله ملء ما خلق ، سبحان الله عدد ما في الأرض والسماء سبحان الله ملء ما في السماء والأرض سبحان الله ملئ ما خلق .

سبحان الله عدد ما أحصى كتابه وسبحان الله ملئ كل شئ .
وتقول الحمد لله مثل ذلك)^(٢) .

وتدل خاتمة الحديث على إعادة كل فقرة من الدعاء باستبدال سبحان الله بالحمد لله ، فيقول الحمد لله عدد ما خلق ، الحمد لله ملئ ما خلق ... وهكذا .

ليبان حاجة الإنسان لقانون ملازمة التسييح والحمد لله للإنسان لقانون النجاة في النشاطين بذكر الله والثناء عليه وتلاوة آيات القرآن وأداء الفرائض العبادية .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٥٠/٦ .

سبحان الله على نزول كل آية من القرآن لأنها نعمة عظمى ، وكذا صلة
 الآية القرآنية بالآيات الأخرى نعمة متجددة ، وباب لإستقراء الدروس
 والمسائل والقوانين منها إلى يوم القيامة .
 ويتضمن هذا الجزء المبارك (١٥٠) قانوناً مستحدثاً ، ومستقرأة من
 مضامين آية البحث ، قال تعالى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ
 تُصْبِحُونَ﴾^(١).

حرر في السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى ١٤٤٦هـ
٢٠٢٤/١١/٣٠

قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَشَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الآية ١٩٥.

الإعراب واللغة

(الجمهور: أضيع من أضاع، وقرئ بالتشديد والتضعيف، والهمزة فيه للنقل كقوله :

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت... بني بطنها هذا الظلال عن القصد^(١).
(و) قرأ حمزة والكسائي وخلف وقتلوا وقتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل والتخفيف وقرأ الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا وشدد التاء من قتلوا ابن كثير وابن عامر^(٢).

والمدار على المرسوم في المصاحف بتقديم القتال على القتل .
فاستجاب : الفاء استئنافية .

استجاب : فعل ماض مبني على الفتح .

لهم : اللام حرف جر ، و(هم) ضمير في محل جر ، متعلق بفعل استجاب.

ربهم : رب : فاعل مرفوع بالضممة ، وهو مضاف ، والضمير (هم) مضاف إليه .

(١) أحمد بن يوسف بن الدايم (ت ٧٥٦ هـ) الدر المصون في علم الكتاب المكنون ١٥٨/١.

(٢) الطبرسي / مجمع البيان ٤٢٦/٢ .

أنى : أن حرف مشبه بالفعل ، الياء ، ضمير في محل نصب اسم أن ، يعود لله عز وجل .

لا أضيع : لا نافية ، أضيع : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره ، والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنا) يعود لله عز وجل .
عمل عامل : عمل : مفعول به منصوب بالفتحة ، وهو مضاف ، عامل : مضاف إليه مجرور بالكسرة .

منكم : من : حرف جر ، (كم) ضمير في محل جر متعلق بمحذوف صفة لعامل .

من ذكر : (من) حرف جر ، ذكر اسم مجرور بالكسرة .
أو أنثى : أو : حرف عطف ، أنثى : اسم معطوف على ذكر مجرور مثله ، وعلامة الجر الكسرة المقدرة على الألف .
بعضكم : بعض : مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره ، و(كم) ضمير مضاف إليه .

من بعض : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ .
فالذين : الفاء استئنافية ، الذين : اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ .
هاجروا : فعل ماض مبني على الضم ، واو الجماعة : فاعل .
واخرجوا : الواو حرف عطف واستئناف ، أخرجوا : فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم ، واو الجماعة : نائب فاعل .

من ديارهم : من : حرف جر ، ديار : اسم مجرور بالكسرة متعلق باخرجوا ، و(هم) ضمير مضاف إليه .

وأودوا : الواو حرف عطف واستئناف ، أما العطف فلا اجتماع الهجرة مع تلقي الأذى ، واجتماع الهجرة والإخراج من الديار وإيذاء المشركين لهم ، وأما الإستئناف فتلقي طائفة من الصحابة الأذى من غير هجرة وإخراج من الديار ، كما في الأنصار ، وتحملهم المشاق لإيواء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين في المدينة ثم دخولهم الحرب والقتال مع المشركين .

أوذوا مثل أخرجوا من جهة الإعراب .

في سبيلي : في : حرف جر ، سبيل : اسم مجرور بالكسرة ، وهو مضاف ، و(الياء) ضمير مضاف إليه .

وقاتلوا : الواو حرف عطف ، وهو حرف استئناف ، أما العطف فلأن رهطاً من الصحابة تلقوا الأذى وقاتلوا في سبيل الله ، أما الاستئناف فيتعلق بطائفة من الصحابة لم يهاجروا ولم يتعرضوا للأذى ، ولكنهم قاتلوا في سبيل الله .

قاتلوا : فعل ماض مبني على الضم ، الواو : فاعل .

وقتلوا : الواو حرف عطف لأن طائفة من المسلمين قاتلوا وقتلوا اثناء القتال أو بعده ، وهو حرف استئناف لتعرض طائفة من الصحابة للقتل مع أنهم لم يقاتلوا ، كما في سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر ، وكما في سرية الرجيع ، إذ قدم وفد من عضل وقارة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الرابعة للهجرة وطلبوا منه أن يبعث معهم من يعلمهم أحكام الدين ، ويقرئهم القرآن ، فبعث عشرة من أصحابه برئاسة عاصم بن ثابت الأنصاري .

(فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقريب من مائة رام ، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم .

فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدقد ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً . فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا رسولك ، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل .

وبقى خبيب بن الدثنة وزيد^(١) ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها .

فقال الرجل الثالث الذى معهما: هذا أول الغدر ، فأبى أن يصحبهم ، فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل، فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة^(٢) .

ثم صلبت قريش خبيبا وزيدا ، صبرا من غير قتال .
ومن الشواهد على تعرض بعض المسلمين للقتل من دون قتال ما ورد (عن جرير بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا ، فأنتهى إلينا فسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أين أقبلت؟ فقال : من أهلي وولدي وعشيرتي أريد رسول الله .

قال : أصبته . قال : علمني ما الإيمان؟
قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت .

قال : قد أقررت . ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جردان فهوى ووقع الرجل على هامته فمات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هذا من الذين عملوا قليلاً وأجرُوا كثيراً ، هذا من الذين قال الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٣) إني رأيت حور العين يدخلن في فيه من ثمار الجنة ، فعلمت أن الرجل مات جائعاً^(٤) .

(١) الظاهر سهو من النساخ ، والصحيح خبيب وزيد بن الدثنة .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ١٢٣/٣ .

(٣) سورة الأنعام ٨٢ .

(٤) الدر المنثور ٩١/٤

وقتلوا : الواو : حرف عطف واستئناف ، قتلوا : فعل ماض مبني على الضم ، واو الجماعة : نائب فاعل .

لأكفرن : اللام : لام الوعد والعهد ، وقيل لام القسم لقسم مقدر ، أكفرن : فعل مضارع مبني على الفتح في محل رفع ، والنون : نون التوكيد الثقيلة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنا) يعود إلى الله عز وجل . عنهم : جار ومجرور متعلق بـ(أكفر).

سيئاتهم : سيئات : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة ، وهو مضاف (هم) ضمير مضاف إليه .

ولأدخلنهم : الواو : حرف عطف ، اللام : لام الوعد من عند الله ، وقيل هي لام القسم لقسم مقدر .

ادخلن : فعل مضارع مبني على الفتح في محل رفع ، والنون : نون التوكيد الثقيلة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا يعود إلى الله عز وجل ، (هم) مفعول به أول .

جنات : مفعول به ثان منصوب وعلامة نصبه الكسرة .

تجري : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء .

من تحتها : من : حرف جر ، تحت : اسم مجرور متعلق بمحذوف حال وهو مضاف ، و(ها) ضمير مضاف إليه .

والمختار حمله على الحقيقة والمجاز ، أما الحقيقة فهي جريان ذات الأنهار كأوعية للماء ، وأما المجاز ففيه حذف مضاف أي يجري الماء من تحت أشجارها ، وفي ذم فرعون لغروره واستكباره ورد قول الله ﴿وَنَادَىٰ

فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١).

الأنهار : فاعل مرفوع بالضمة لأنه جمع تكسير .

ثواباً : مفعول مطلق ناب عن المصدر .
 من عند : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت لـ(ثواباً).
 الله : اسم الجلالة مضاف إليه .
 والله : الواو : للإستئناف ، الله : اسم الجلالة مبتدأ مرفوع بالضممة .
 عنده : عند : ظرف مكان منصوب ، متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وهو
 مضاف : الهاء : ضمير مضاف إليه .
 حسن الثواب : حسن : مبتدأ متأخر مرفوع بالضممة ، وهو مضاف :
 الثواب : مضاف إليه مجرور ، وعلامة جره الكسرة .
 وجملة عنده حسن الثواب : في محل خبر للمبتدأ اسم الجلالة .

اجتماع العطف والإستئناف في الحرف الواحد

يأتي الحرف الواو الذي يسبق الكلمة فعلاً كانت أو اسماً على وجوه :
الأول : الواو حرف عطف ، والتي تفيد الجمع واشتراك ما بعدها بحكم
 ما قبلها في الإعراب والعطف .
الثاني : الواو حرف استئناف وتسمى أيضاً حرف الابتداء وتكون في
 بداية جملة منقطعة عن التي قبلها ، سواء كانت الجملة فعلية أو اسمية ،
 وتكون الجملة التالية مستقلة في إعرابها .

الثالث : واو الإشباع : وهي الواقعة بعد ضمير الرفع (تم) أو بعد ضمير
 النصب (كم) أو بعد ضمير النصب (هم) وسميت واو الإشباع لأنها تأتي
 اشباعاً للضممة مثل ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ .

الرابع : واو القسم : وهي التي تجر الاسم الظاهر دون الضمير مثل
 ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾^(١) ، بخلاف الباء التي تجر الاسم والضمير .

الخامس : واو الحال : مثل قوله تعالى ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾^(٢) .

(١) سورة الشمس ١.

(٢) سورة البقرة ٢٤٣.

وتأتي الفاء أيضاً للعطف، وتفيد الإشتراك في الحكم مع الترتيب والتعقيب، فما بعدها متعقب لما قبلها من غير فترة ومثل ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

والمختار أن الواو في عطف النسق قد تأتي للعطف والاستئناف معاً، فتقسمها إلى واو عطف واستئناف تقسيم استقرائي في الصناعة النحوية ومعنى اللفظ القرآني أعم وأوسع في دلالاته وشموله، كما في آية البحث في قوله تعالى ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾^(٢).

وتنقسم الواو إلى قسمين :

الأول : عطف بيان مثل ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾^(٣)، فاسم آزر عطف بيان لأبيه .

الثاني : عطف نسق كما في آية البحث .

واخرجوا : الواو : حرف عطف واستئناف أما العطف فلا اجتماع صفة الهجرة والإخراج في طائفة من الصحابة ، وأما الاستئناف فلتحقق إخراج طائفة أخرى من الصحابة من ديارهم وأملاكهم قهراً من غير أن يبادروا إلى الهجرة إلى المدينة كالمستضعفين .

ولأن من الصحابة من هاجر طوعاً من غير أن يخرجهم المشركون ، لذا لم تقل الآية فالذين هاجروا والذين أخرجوا .

فمع الإعجاز في مجئ الواو فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم جمعها للذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم قهراً والذين هاجروا طواعية .

(١) سورة المائدة ٣٠.

(٢) سورة آل عمران ١٩٥.

(٣) سورة الأنعام ٧٤.

وفي لوط ورد قوله تعالى ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، ولأن مضامين الآية القرآنية متعددة ومستمرة إلى يوم القيامة .

في سياق الآيات

وفيه وجوه :

الوجه الأول : صلة آية البحث بالآية السابقة ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ

رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْبِعَادَ﴾^(٢) وفيها مسائل :

الأولى : من عظيم قدرة الله وسلطانه أنه ليس ثمة فترة بين سؤال المؤمنين الله عز وجل وبين تفضله بالإستجابة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣).

وقد ذكرت هذه الآية في الجزء الثالث من كتابي الموسوم (قوانين البرزخ) الآية أعلاه وإن جاءت بخصوص المحتضر ساعة الوفاة إلا أن موضوعها أعم ، ويدل على صيغة العموم قوله تعالى في ذات الموضوع ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٤)، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٥) أي أن الله شاهد وراقب عليكم يحصي أعمالكم تصاحبكم تصاحبكم رحمته ورأفته ، يذب ويدفع عنكم .

الثانية : بيان قانون لا يقدر على استجابة الدعاء إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق الربوبية المطلقة له سبحانه ، وقانون المشيئة الإلهية فوق الأسباب ، وأعم من قانون العلة والمعلول .

(١) سورة العنكبوت ٢٦.

(٢) سورة آل عمران ١٩٤.

(٣) سورة الواقعة ٨٥.

(٤) سورة ق ١٦.

(٥) سورة الحديد ٤.

و(روى أبو سعيد الخدري وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما من مسلم يدعو الله بدعوة إلا استجاب له فهو من دعوته على إحدى ثلاث : إما أن يعجل له في الدنيا ، وإما أن تدخر (يؤخر) في الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من البلاء مثلها) .

ويتوجه الناس بالدعاء من مشارق ومغارب الأرض في دقيقة واحدة فيستجيب الله عز وجل لأدعيتهم ومساائلهم من غير أن يرد بعضها ، ويكتب الإنسان عند الله دعاء .

الثالثة : لقد تضمنت آية السياق ثلاثة أوجه من الدعاء :

الأول : سؤال تنجز الوعود الإلهية التي جاءت على السنة الرسل وفي الكتب السماوية ، ويدل بالدلالة التضمنية على التصديق بالرسالات والكتب السماوية السابقة ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(١) لبيان أن ذات الإيمان عمل صالح وفيه الأجر والثواب ، وهو من العمل الذي تذكره آية البحث بقوله تعالى ﴿أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَشَىٰ﴾^(٢).

الثاني : الدعاء بالنجاة من الخزي يوم القيامة الذي يلحق الكافرين ، لبيان قانون عدم إنحصار الخزي يوم القيامة بالكافرين ، إنما يشمل الظالمين والفاسقين إلا أن يعفو الله عز وجل وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٣).

(١) سورة الحديد ١٤.

(٢) سورة آل عمران ١٩٥.

(٣) سورة النساء ٤٨.

ومن وجوه الدعاء ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قانون مغادرة الدنيا على الإيمان والسلامة من الكفر والإرتداد ، ومن تلاعب الشيطان بالإنسان ساعة الإحتضار .

ومن كلام للإمام علي عليه السلام (فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم)^(١) . وقد يسلب الشيطان الإيمان المستودع ساعة الموت .

الثالث : الثناء على الله عز وجل بأن وعده حق ، وهو لا يخلف الميعاد ، وخزائنه لا تنفد ، وهي في إزدياد وتدعو الناس جميعاً للنهل منها بالدعاء والتقوى والصلاح ، لقانون الفوز برحمة الله أعم من الدعاء .

و(أخرج ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان ، والطبراني والصابوني في المائتين ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وكل بالمؤمن ثلثمائة وستون ملكاً ، يدفعون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك . للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف ، وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل . كلهم باسط يديه فاغرفاه ، وما لو وكل العبد فيه إلى نفسه طرفة عين ، لا اختطفته الشياطين)^(٢) .

الرابعة : لقد تقدم في الجزء الثاني والستين بعد المائتين تسمية آية السياق بآية ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا﴾^(٣) .

ولم يرد هذا اللفظ في القرآن إلا في آية السياق ، ومن معانيه الإبتداء بالثناء على الله عز وجل ، والإقرار بربوبيته المطلقة قبل البدء بالسؤال ، وتقدير الآية بالوقوف بعد قول ﴿رَبَّنَا﴾ ثم السؤال ﴿وَآتِنَا﴾ وهذه الآية هي

(١) نهج البلاغة ٩٥/٢ .

(٢) الدر المنثور ٤٨٣/٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٤ .

الوحيدة في القرآن التي ورد فيها الحرف الواو بين ربنا وبين آتنا في ﴿رَبَّنَا وَآتْنَا﴾.

(وفي الصناعة النحوية قُسمت الواو إلى قسمين :
الأول : واو العطف .

الثاني : واو الإستئناف ، وهو تقسي استقرائي ، ولغة القرآن أعم منه وقد ذكرتُ في باب الإعراب واللغة أن الواو تفيد العطف والإستئناف معاً ، ومن الإستئناف هنا الإنتقال من الشاء على الله عز وجل إلى المسألة^(١)).

دلالة صيغة الجمع ﴿عَلَى رُسُلِكَ﴾

قال تعالى ﴿رَبَّنَا وَآتْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾

ترى لماذا لم تقل الآية : وآتنا على رسولك (وإرادة ما جاء به النبي محمد من الوعود والبيانات من الله عز وجل سواء التي وردت في القرآن أو السنة النبوية ، وقد قال سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢)).

والجواب من وجوه :

الأول : المقصود من الضمير (هم) في قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ ، المسلمون من أيام آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة .

لذا تضمنت الآيات السابقة ذكر أولي الألباب ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣).

(١) أنظر الجزء الثاني والستين بعد المائتين من هذا السفر ص ٧١ .

(٢) سورة الفرقان ٥٦ .

(٣) سورة آل عمران ١٩١ .

الثاني : قانون الدعاء بالمعنى الأعم والأوسع ، فكما يستحب تكرار الدعاء فيستحب تعدد مسائل الدعاء ، وعدم حصره وتقييده ، نعم يشترط في هذا التعدد أن يكون في أمور يرتضيها الله ، وليس من الحرام أو قطع الرحم .

الثالث : بيان قانون ما جاء به الرسل من الوعد الإلهي محكم وغير منسوخ ، فصحيح أن الشرائع ينسخ بعضها بعضها في موارد لكن هناك موارد لا يطرأ عليها النسخ ، وليست من المتشابه منها سنن التوحيد والتقوى ، والوعد الإلهي الذي جرى على ألسنة الأنبياء .

الرابع : تعدد مضامين الوعد الإلهي على ألسنة الأنبياء لبيان تعدد البشارات والإنذار في قوله تعالى ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾^(١) ، فلا يعني أن كل نبي يأتي بذات البشارات إنما تكون البشارات النبوية على أقسام :

الأول : البشارات الثابتة التي جاء بها كل نبي ومنها دخول المؤمنين الذين يعملون الصالحات الجنة .

الثاني : البشارات الخاصة التي جاء بها بعض الرسل .

الثالث : البشارات الجامعة التي وردت في القرآن كونه ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ

شَيْءٍ ﴾^(٢) .

الرابع : ذكر الرسل في الآية لأن الرسول صاحب شريعة مبتدأة ، ويتبعه النبي الذي يأتي بعده .

الخامس : إرادة العموم فلو دار الأمر بين العام والخاص ، فالأولى في المقام هو العام ، وسؤال الفوز بكل البشارات التي جاء بها الرسل .

(١) سورة الأنعام ٤٨ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

الحاجة إلى الدعاء

جاء الدعاء في آية السياق بصيغة الجمع ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا﴾ إذ تكرر ضمير الجمع (نا) ثلاث مرات في هذا الشطر من الآية الكريمة ، وفيه وجوه :
الأول : قانون حاجة المسلمين مجتمعين ومتفرقين إلى الدعاء وسؤال ما وعدهم الله وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١).

الثاني : قانون دعاء المسلم للمسلمين والمسلمات وهم غير حاضرين معه.

الثالث : قانون تفقه المسلمين في مصاديق وأفراد الدعاء .
 (عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب : دعوة المظلوم ، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب)^(٢).

وعن (أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول : دَعْوَةُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ ، وَلَكَ مِثْلُهُ)^(٣).

ويتلو المسلمون في أجيالهم المتعاقبة الدعاء الوارد في آية السياق والآيات الثلاثة التي قبلها ، فهل يشمل الدعاء الأموات والذين لم يولدوا من المسلمين ، وإذا كان يشملهم فكيف تكون الإستجابة لهم .

المختار أن الدعاء يشملهم لأصالة العموم ، ولأن من مضامين الدعاء في هذه الآيات ما يتعلق بعالم الآخرة وبشاراتها ، ورجاء النجاة من الخزي العام يوم القيامة ، والخاص بدخول النار.

ولتجلي المصداق الخارجي في نطق المسلمين الذين لجوا بهذا الدعاء في حياتهم ، وسيتلوه المسلمون من الأجيال اللاحقة .

(١) سورة الفرقان ٧٧.

(٢) الدر المنثور ٢/٢١٤ .

(٣) تفسير الثعالبي ٤/٧٥.

ترى كيف تكون الإستجابة لهم ، الجواب أما النسبة للأموات من المؤمنين فتتجلى بالمغفرة وتوسعة القبر ، وزيادة الحسنات ، ومحو السيئات ، وحضور الأجر والثواب لهم يوم القيامة من عمل لم يقوموا به ، ولكن قام به ابناؤهم وذرايرهم.

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)^(١).

أما بالنسبة للذين لم يولدوا بعد فتكون بالهداية إلى سبل الإيمان وصرفهم عن السيئات .

فمن لطف الله قانون سبق الدعاء للمؤمنين قبل أن يولدوا ، ليكون من عمومات قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢) ، أي المؤمنون من الأولين والآخرين ، ومنه قانون الجزاء اللاحق لمن فارق من المؤمنين ، إذ يأتيه الثواب بعد موته بعمل الذراري وعامة المؤمنين الصالحات .

فصحيح أن عمل الإنسان ينقطع بمغادرته الدنيا ولكن المؤمن يمتاز بمجئ الأجر والثواب له من عمل إخوته المؤمنين الصالحين ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣).

قانون الانتفاع من بعثة الرسل

بين بعثة عيسى عليه السلام وبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نحو ستمائة سنة ، وأضعاف هذه المدة بين بعثة آدم عليه السلام وكثير من الرسل وبين بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومع هذا يقول

(١) تفسير ابن كثير ٤٤٢/١ .

(٢) سورة الحجرات ١٠ .

(٣) سورة النساء ٦٩ .

المسلمون إن الله وعدهم على السنة هؤلاء الرسل مجتمعين ومتفرقين ، وهو من الشواهد على وجوه :

الأول : قانون النفع الأمثل للمسلمين من بعثة الرسل .

الثاني : قانون كثرة عدد الرسل نعمة على المسلمين .

الثالث : كون النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١)

نعمة عظمى على المسلمين بالإنقاذ من نبوة الرسل السابقين ، وليس من حصر لهذا النفع ووجوهه المتعددة منها :

الأول : الكتب السماوية المنزلة وأحكام الشرائع السابقة ، ومنها قصص

الأنبياء ، قال تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢).

الثاني : وردت بعض قصص الأنبياء الأخرى على لسان النبي محمد

صلى الله عليه وآله وسلم وهي شعبة من الوحي .

الثالث : الدعاء الوارد في آية السياق .

الرابع : استجابة الله عز وجل للمسلمين في تنجز ما وعدهم على لسان

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وبين الأنبياء والرسل عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول هو نبي ،

وليس العكس ، وعدد الأنبياء هو مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ، وعدد

الرسل هو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وفي قوله تعالى ﴿مَا وَعَدْنَاهُ عَلَى

من جهة الشمول وجوه :

الأول : اختصاص الآية بالرسل الخمسة والعشرين الذين ورد ذكرهم

في القرآن .

(١) سورة الأحزاب ٤٠.

(٢) سورة يوسف ٣.

(٣) سورة آل عمران ١٩٤.

الثاني : إرادة مجموع الرسل .

الثالث : شمول الآية لجميع الأنبياء .

والمختار هو الأخير لقانون كل نبي يقوم بالبشارة والإنذار .

الصلة بين أول الآيتين

يتجلى في الجمع بين بداية كل من الآيتين ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾^(١) ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٢) قانون في كل يوم من أيام الحياة الدنيا هناك دعاء ، وهناك استجابة لذات الدعاء وغيره .

ويدل ورود الفاء في ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ على إفادة التعقيب والفورية .

ومن وجوه تقدير الجمع بين الآيتين بخصوص آدم وحواء (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك فاستجاب لهما ربهما) فصحيح أن آدم عليه السلام نبي رسول إلا أنه ينتفع مما وعده وحواء الله عز وجل .

وينتفع من الوعود التي جاء بها الرسل من ذريته ، لبيان أن قول الأصوليين بعدم صحة الإستصحاب القهقري ، مختلف عن مصاديق فضل الله وسعة رحمته لقانون إنتفاع السابق من عمل المؤمن اللاحق .

الأذى في تحويل القبلة

أول ما نسخ من أحكام الشريعة للمسلمين قبلة الصلاة بأن نزل القرآن بتحويلها إلى البيت الحرام بعد أن كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يتوجهون في صلاتهم نحو بيت المقدس ، فقال الله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر نزول جبرئيل بتحويل القبلة لبيان مسألة وهي قانون سبق الوحي في موضوع خصوص نزول الآية القرآنية بخصوصه .

وقد لاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأذى بسبب تحويل القبلة مع أنه أمر نازل من الله عز وجل لا يقبل التردد أو التسويف . وفي الصلة بين آية البحث وآية ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾^(٢) وفي المقام مسائل:

الأولى : النسبة بين موضوع آية تحويل القبلة والآية السابقة لها ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِثْرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) عموم وخصوص مطلق تتعلق الآية السابقة بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة.

الثانية : بيان الأذى الذي لحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأهل بيته من :

الأول : مشركو قريش .

الثاني : اليهود .

الثالث : المنافقون .

(١) سورة البقرة ١٤٤.

(٢) سورة البقرة ١٤٢.

(٣) سورة البقرة ١٤٣.

الثالثة : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تواقاً لتحويل القبلة لأنه موعود بهذا التحول إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم ، وتحويل القبلة فرع الحنيفية قال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

و(عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال؛ فأما أحوال الصلاة فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة، وهو يصلي سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس، ثم إن الله عز وجل أنزل عليه ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾^(٢) فوجهه إلى مكة. هذا حول.

قال : وكانوا يجتمعون للصلاة ويؤذَنُ بها بعضهم بعضا حتى نَقَسُوا أو كادوا يَنْقَسُونَ. ثم إن رجلا من الأنصار، يقال له: عبد الله بن زيد، أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله، إني رأيت فيما يرى النائم -ولو قلت: إني لم أكن نائماً لصدقتُ- أنني بينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران، فاستقبل القبلة . فقال : الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله -مثنى حتى فرغ من الأذان ، ثم أمهل ساعة .

ثم قال مثل الذي قال، غير أنه يزيد في ذلك : قد قامت الصلاة -مرتين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علمها بلالا فليؤذن بها. فكان بلال أول من أذن بها. قال: وجاء عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله إنه قد طاف بي مثل الذي طاف به، غير أنه سبقني، فهذان حالان.

(١) سورة الأنعام ١٦١.

(٢) سورة البقرة ١٤٣.

قال: وكانوا يأتون الصلاة - قد سبقهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببعضها، فكان الرجل يشير إلى الرجل إذا كم صلى، فيقول: واحدة أو اثنتين، فيصليهما، ثم يدخل مع القوم في صلاتهم. فجاء معاذ فقال: لا أجده على حال أبداً إلا كنتُ عليها، ثم قضيتُ ما سبقني.

قال: فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببعضها، قال: فثبتَ معه، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام فقضى. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه قد سن لكم معاذ، فهكذا فاصنعوا، فهذه ثلاثة أحوال.

وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام، وأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾^(١) إلى قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ فَدِيَةُ طَعَامٍ مِّسْكِينَ﴾^(٢) فكان من شاء صام، ومن شاء أطعم مسكيناً، فأجزأ ذلك عنه.

ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٣) إلى قوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٤) فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حالان.

(١) سورة البقرة ١٨٣.

(٢) سورة البقرة ١٨٤.

(٣) سورة البقرة ١٨٥.

(٤) سورة البقرة ١٨٥.

قال : وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له: صرمة، كان يعمل صائماً حتى أمسى، فجاء إلى أهله فصلى العشاء، ثم نام فلم يأكل ولم يشرب، حتى أصبح فأصبح صائماً، فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد جهد جهداً شديداً، فقال: ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً؟ قال: يا رسول الله، إني عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسي فتمت فأصبحت حين أصبحت صائماً.

قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فأنزل الله عز وجل ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾^(١) إلى قوله ﴿ثُمَّ آتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٢) (٣).

الرابعة : ترى ما هي الصلة بين الأمة الوسط وتحويل القبلة ، الجواب العموم والخصوص المطلق ، فمن خصائص الأمة الوسط التوجه إلى البيت الحرام في الصلاة .

الخامسة : المراد من السفهاء ضعيفو العقل ، الذين اظهروا السخرية بتحول النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين إلى الكعبة فجاء القرآن بالجواب والرد على السفهاء ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) ويهدي من يشاء إلى القبلة .

والنسبة المنطقية بين الصراط المستقيم وبين تحويل القبلة عموم وخصوص مطلق ، والصراط المستقيم على قسمين :

(١) سورة البقرة ١٨٧.

(٢) سورة البقرة ١٨٧.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٤٩٨ .

(٤) سورة البقرة ١٤٢.

الأول : الصراط المستقيم في الدنيا ، وهو أداء الفرائض والعبادات وفعل الخيرات .

الثاني : الصراط المستقيم في الآخرة .

والمختار أن المراد من الصراط المستقيم في الآية أعلاه من سورة البقرة هو المعنى الأعم ، وتقدير الآية يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم في الدنيا وفي الآخرة ، بدليل الدنيا مزرعة الآخرة .

وهل التحول إلى القبلة من الصراط الذي هدى الله عز وجل له المسلمين والمسلمات ، ومن فضل الله عز وجل على المسلمين قول كل واحد منهم سبع عشرة مرة وعلى نحو الوجوب العيني ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) .

السادسة : هل قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢) حجة ودعوة للإيمان ، الجواب نعم ، وفيها دعوة سماوية للصبر وتحمل الأذى الذي ذكرته آية البحث .

وعن عبد الله بن مسعود (قال : خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطأ بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ، ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٣) (٤) .

ليان أن الإيمان واحد لا يقبل التعدد الذي يتضمن التباين .

السابعة : بيان إكرام المسلمين بالشهادة على الناس ، المراد الشهادة في الدنيا والآخرة ، وفي الدنيا الفصل والتمييز بين العقائد الحقّة والعقائد

(١) سورة الفاتحة ٦ .

(٢) سورة البقرة ١٤٥ .

(٣) سورة الأنعام ١٥٣ .

(٤) الدر المنثور ٤/ ١٦٣ .

الباطلة ، وبلحاظ الصلة بين آية تحويل القبلة والآية السابقة : لتكونوا شهداء على الناس :

الأول : شهداء على الذين استخفوا بتحويل القبلة .

الثاني : شهداء على السفهاء الذين أنكروا هذا التحول .

الثالث : شهداء على الذين حاربوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل القبلة .

الرابع : تزكية المسلمين بعضهم لبعض بخصوص التوجه إلى البيت الحرام في القبلة .

الوجه الثاني : صلة آية البحث بالآية قبل السابقة ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا

يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(١) ، وفيه مسائل :

الأولى : لقد ابتدأت آية السياق بالنداء (ربنا) كما ابتدأت به الآية السابقة والآية اللاحقة لها ، في استجارة ودعاء وتضرع إلى الله عز وجل بصيغة الجمع الصادر من المسلمين والمسلمات .

فينزل النداء العام من عند الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تسعاً وثمانين مرة ، وعدد النداء ﴿رَبَّنَا﴾ في القرآن (١٠٦) وقد ذكر النداء (ربنا) في سورة آل عمران إحدى عشر مرة منها ما يتعلق بالأُمم السابقة منها قوله تعالى ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُنتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾^(٢) .

ومنها في أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في قول النصاري ومنهم القسيسين والرهبان عندما يسمعون آيات القرآن ، قال تعالى ﴿إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ

(١) سورة آل عمران ١٩٣ .

(٢) سورة النساء ٧٧ .

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾.

ومنها خطابات نداءات من أهل الجنة وأخرى من أهل النار ، ومجموع النداءات من المسلمين في الدنيا ثمانية عشر نداء منها خمس مرات في الآيات الأربعة التي سبقت آية البحث وهي الآيات (١٩١-١٩٤) من سورة آل عمران.

الثانية : الصلة بين آية السياق وآية البحث صدور الدعاء المتعدد من أجيال المسلمين المتعاقبة ، واستجابة الله عز وجل لهم في مضامين الدعاء التي تذكرها هذه الآيات ، ليتجلى مصداق متجدد في كل يوم لقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٢).

و(عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة ، فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، فدنا منا .

فقال : يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً بصيراً ، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) (٣).

وهل تتضمن آية البحث الترغيب بالدعاء في ذات موضوع آية السياق وغيره ، الجواب نعم ، أما موضوع الآية فيأتي بتلاوة المسلمين لآية السياق في الصلاة وإن كان بقصد القرآنية ، وتلاوتها خارج الصلاة . وأما غيرها فلتفضل الله عز وجل بفتح باب الدعاء والوعد منه بالإستجابة .

(١) سورة المائدة ٨٣-٨٤.

(٢) سورة غافر ٦٠.

(٣) الدر المنثور ١/٣٩١.

وإثبات شئ لشيء لا يدل على نفيه عن غيره ، فان ثبت موضوع للدعاء في القرآن فانه لا يمنع من اتخاذ الدعاء وسيلة للنجوى وبياناً للحاجات والرغائب ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

و(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب : دعوة المظلوم ، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب)^(٢).

النداء النبوي

ويمكن تقسيم النداء النبوي إلى شعبتين :

الأولى : نداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل الهجرة النبوية ، وهو على وجوه :

الأول : في البيت الحرام ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى زائراً للبيت قادماً من خارج مكة جلس بجواره ، ودعاه إلى الإسلام .

الثاني : في أسواق مكة (قال طارق بن عبد الله المحاربي : إني بسوق ذي المجاز إذ أنا بإنسان يقول (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) وإذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبه ويقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه فقلت : من هذا .

فقالوا : محمد زعم أنه نبي وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب)^(٣).

الثالث : في موسم الحج ، وزيارة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لوفود القبائل في مضاربهم ، وكان يعرض نفسه عليهم ، ويطلب إيوائه وحمايته من أذى قيش ليبلغ الرسالة .

(عن ابن عباس قال حدثني علي بن أبي طالب عليه السلام قال لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب

(١) سورة البقرة ٢٨٤.

(٢) الدر المنثور ٢/٢١٤.

(٣) تفسير القرطبي ٢٠/٢١٦.

خرج وأنا معه وأبو بكر فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فيهم مفروق بن عمر وهانئ بن قبيصة .

فقال مفروق إلى ما تدعو .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وإلى أن تؤووني وتنصروني فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق والله غني حميد .

فقال مفروق والله ما سمعت كلاما أحسن من هذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾^(١) الآيات .

فقال مفروق والله ما هذا من كلام أهل الأرض ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُؤْمِرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٢) الآية .

فقال مفروق دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرض كسرى وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقصدونه .

وأخرج أبو نعيم من طريق خالد بن سعيد عن أبيه عن جده قال قدمت بكر بن وائل مكة في الحج فقال رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} لأبي بكر انتهم فأعرضني عليهم فأتاهم فعرض عليهم قالوا حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء .

قال إن بيننا وبين الفرس حربا فإذا أفرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول .

(١) سورة الأنعام ١٥١ .

(٢) سورة النحل ٩٠ .

فلما التقوا بذى قارهم والفرس قال لهم شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم إلى ما دعاكم إليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بي نصروا^(١).

الرابع : تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم آيات وسور القرآن في البيت الحرام أثناء الصلاة وخارجها ، واتخاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها مادة في الإحتجاج على الذين كفروا ، وهو من أسرار قصر هذه السور وآياتها ، وتضمنها الإنذار والوعيد .

ويمكن القول بقانون كل تلاوة لآية في القرآن نداء للإيمان ، ومن مصاديق ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا...﴾^(٢) ولا يحصي عدد الذين آمنوا بتلاوة القرآن وسماع آياته إلا الله عز وجل .

الثانية : نداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية ، ومنه وجوه :

الأول : نداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بناء المسجد النبوي وسط المدينة (يثرب) وإقامة الصلاة اليومية فيه ، وما فيها من قراءة القرآن الواجبة.

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أول قدومه إلى المدينة يصلي حيث أدركته الصلاة ودخول وقتها ، ولو في مرايض الغنم .
(ثم إنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملا بنى النجار فجاءوا فقال: يا بنى النجار ثامنوني بحائطكم هذا.

فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل.
قال: فكان فيه ما أقول لكم: كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع.

(١) الخصائص الكبرى ١/ ٣١٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٣ .

قال: فصنفوا النحل قبله المسجد، وجعلوا عضادتيه حجارة، قال: فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وثم يرتجزون، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معهم يقول: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الانصار والمهاجرة^(١).

الثاني: ارتقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر والقائه الخطب لقانون كل خطبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نداء للإيمان .

الثالث: قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بزيارة بيوتات الأوس والخزرج في المدينة ، ودعوتهم للإيمان ، وتلاوة القرآن عليهم .

الرابع: تفسير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن وإجابته على الأسئلة بخصوصه .

الخامس: استدلال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بآيات القرآن ، وإتخاذها منهاجاً ، ومن معاني الصراط المستقيم أنه كتاب الله ، إذ ورد عن (عن ابن مسعود قال : إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين . ياعباد الله هذا الصراط فاتبعوه { والصراط المستقيم } كتاب الله فتمسكوا به)^(٢).

السادس: نداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسط الميدان في معارك الإسلام قولوا (لا إله إلا الله تفلحوا) .

السابع: صدق دخول الإسلام على من ينطق بالشهادتين ، وقال النبي (الإسلام يجب ما قبله)^(٣)، وفيه بيان لقوله تعالى ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ﴾^(٤).

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٣٠٣/٢ .

(٢) الدر المنثور ٩/١ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٢٦/٣ .

(٤) سورة البقرة ١٩٢ .

وقد ورد لفظ ﴿فَإِنْ أَنتَهُوا﴾ ثلاث مرات في القرآن أحداها الآية أعلاه ، والثانية الآية التي بعدها ﴿لَهُ فَإِنْ أَنتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ الظَّالِمِينَ﴾^(١) والثالثة ﴿فَإِنْ أَنتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢) .

الثامن : إحتجاج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بآيات القرآن على أهل الكتاب من يهود المدينة ونصارى نجران وعلى المشركين.

علم الإحصاء القرآني

قال تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٣) . وقال تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾^(٤) وقال تعالى ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٥) .

واستحدث تفسير لهذه الآية أن الأعمال تتحول إلى أرقام وأعداد سواء عمل الصالحات أو السيئات ، ولا يعلم أطوالها والكيفية التي تكتب بها بالرموز أو الكتابة أو الجذور المتسلسلة لوحدها.

وهو لا يتعارض مع إحتساب الأعمال بهيئة الجرم والنقل في الميزان يوم القيامة ، قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(٦) والهاوية النار .

وعن ثوبان عن النبي أنه قال (عَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : لِأَعْلَمَنْ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا .

(١) سورة البقرة ١٩٣.

(٢) سورة الأنفال ٣٩.

(٣) سورة يس ١٢.

(٤) سورة النبأ ٢٩.

(٥) سورة الجن ٢٨.

(٦) سورة ٩-٦.

قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ.

قَالَ : أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا^(١).

قانون المناجاة إقرار بالربوبية

تضمنت آية السياق المناجاة والدعاء والإقرار لله عز وجل بربوبيته المطلقة وأن المسلمين والمسلمات سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينادي للإيمان بالله إلهاً ورباً وخالقاً ومالكاً فأمنوا وصدقوا برسالته. ومن الآيات نزول القرآن بالأسماء الحسنى لله عز وجل والثناء عليه سبحانه والبخارة ببقائه بعد الموت .

وفيه ترغيب بالمناجاة ، وبعث على الدعاء وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢).

وذكرت مادة اللقاء اثنتين وعشرين مرة في القرآن ، وأكثرها في ذم الذين ينكرون المعاد ولقاء الله عز وجل ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾^(٣).

ومن مصاديق استجابة الله عز وجل لدعاء المسلمين في آية البحث إظهارهم الإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتلقيهم دعوته للتوحيد ، لبيان أمور :

الأول : قانون الإيمان بالتوحيد باب لإستجابة الدعاء .

(١) سنن ابن ماجه ٤٥٠/١٢.

(٢) سورة الفاتحة ٦ .

(٣) سورة يونس ٧.

الثاني : تبليغ النبي محمد الرسالة ، واجتهاده في الدعوة إلى الله ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(١).

الثالث : تجدد نداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإيمان مع كل تلاوة مسلم لآية السياق ، وهو من منافع الجهر بالقراءة في أكثر الصلاة اليومية .

ومن بين خمس صلوات في كل يوم يكون الجهر في ثلاثة منها وهي :

- ❖ صلاة الصبح ركعتان .
- ❖ صلاة المغرب ثلاث ركعات .
- ❖ صلاة العشاء أربع ركعات .

ويكون الجهر في الركعتين الأوليين من الصلوات أعلاه ، ولا يصح الجهر في موضع الإسرار إلا عن سهو أو نسيان أو جهل .

وقال الجمهور بعدم بطلان الصلاة حتى في حال الجهر في موضع الإسرار لأنه من سنن الصلاة ، ولكنه فعل مكروه ، وفي قول عند المالكية أن العمد يبطل الصلاة .

ويتجلى قانون كل فرض من الصلاة مناجاة متعددة لما فيها من تكبيرة الإحرام وتلاوة القرآن ، والتسبيح في الركوع والسجود ، ومصاديق الخشوع والتطامن في الصلاة .



دلالة مفهوم سؤال النجاة من الخزي

يدل قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾^(١)، في مفهومه على أمور :

الأول : سؤال المسلمين الله عز وجل نجاتهم من النار ، ومن الخزي يوم القيامة .

الثاني : إدراك المسلمين شدة عذاب النار .

الثالث : حال الإستحياء والخضوع والمسكنة التي يتصف بها المسلمون بالتوجه إلى الله عز وجل لإنقاذهم من الخزي بين الخلائق يوم القيامة .

الرابع : إقرار المسلمين باليوم الآخر ، وهو من أصول الدين .

الخامس : قانون لا ينجي الإنسان من الخزي يوم القيامة إلا الله عز وجل .

السادس : قانون الحاجة إلى الدعاء للنجاة من الخزي في الدنيا والآخرة ، ومنه فضل الله بهداية الإنسان لعمل الصالحات .

وأخبرت آية البحث عن قانون عدم إضاعة الله لأي عمل صالح للمسلمين والمسلمات ، وفيه بشارة قانون النجاة من الخزي في عالم البرزخ ، ويوم القيامة ، وبيان لنعمة الله عز وجل في ادخار ما يعمله المسلمون من الصالحات ، وقانون حضور الصالحات يوم الحساب .

وفي الآية إشارة إلى حرمان أهل النار أنفسهم من الإيمان وعمل الصالحات ، للتضاد بينه وبين دخول النار ، لقانون حرمان المشركين أنفسهم من الأسباب التي تمنع الخزي أمام الخلائق يوم النشور .

ومن معاني الجمع بين الآيتين قانون امتناع الكفار عن الدعاء ورجاء استجابة الله عز وجل لهم ، لما في آية البحث من الترغيب بالدعاء بقيد

(١) سورة آل عمران ١٩٢.

الإيمان والبشارة بالإستجابة لهم لقوله تعالى في ذم الكافرين ﴿فَادْعُوا وَمَا دَعَاؤُ
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(١).

نداء (ربنا) دعاء

هل من موضوع للإستجابة في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ
أُخْزِيتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢)، الجواب نعم ، فذات النداء (ربنا) لجوء
واستجارة بالله في أمور في الدنيا والآخرة ، أما التي في الدنيا فرجاء المنع
إرتكاب المعاصي وما يؤدي إلى دخول النار ، وأما في الآخرة فمن جهات :
الأولى : فتنة القبر ، وعذاب البرزخ ، الذي يترشح عن الكفر ، وعمل
السيئات في الدنيا .

الثانية : خوف ورعب الكفار والظالمين واقترانه بالجوع والعطش في
مواطن يوم القيامة ، ومقداره خمسون ألف سنة ، إذ قال تعالى ﴿وَكَانَ
يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾^(٣).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إِنَّ اللَّهَ لَيَهُونُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، حَتَّى يَكُونَ عَلَيْهِ أَخْفَ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ صَلَاهَا فِي
الدُّنْيَا)^(٤).

الثالثة : لا يستمر الحساب إلى آخر يوم القيامة فلا يأتي وسط النهار إلا
وقد فرغ من الحساب ، قال تعالى ﴿وَمَنْ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا *

(١) سورة غافر ٥٠.

(٢) سورة آل عمران ١٩٢.

(٣) سورة الفرقان ٢٦.

(٤) تفسير الثعالبي ٩٨/٣ .

وَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا^(١).

هل يكفي الدعاء للإستجابة

لقد تضمنت آية السياق ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢)، مسائل :

الأولى : صدور النداء والاستجارة بلفظ (ربنا) والذي يتكرر مئات آلاف المرات مع الإطراد كل يوم على ألسنة المسلمين والمسلمات في الصلاة اليومية وخارجها.

الثانية : بيان موضوع المناجاة والدعاء ، وهو سؤال النجاة من النار ببيان حال الخزي الذي يلحق أهلها والداخلين إليها .

فوردت آية السياق بصيغة الجملة الخبرية لتدل في مفهومها على سؤال المسلمين والمسلمات النجاة من النار وما يصاحب الدخول فيها من الخزي والعذاب والألم الشديد .

الثالثة : بيان قانون انعدام الناصر للظالمين مجتمعين ومتفرقين يوم القيامة ، وهل هذا الشطر من الآية ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ من قول المسلمين في دعائهم أم أنه قول لله عز وجل ، المختار أنه من قول المسلمين لنظم آية البحث ، وسياق الآيات ، إذ جاءت الآيتان اللتان بعد آية البحث بذات صيغة الدعاء .

وقد تقدم في الجزء الخمسين بعد المائتين من هذا السفر وفي تفسير آية السياق باب الإعراب واللغة (الواو : للعطف والاستئناف ، أما العطف فلاتحاد موضوع الآية وصيغة الدعاء فيها وفي الآيتين التاليتين ، وأما

(١) سورة مريم ٨٥-٨٧.

(٢) سورة آل عمران ١٩٢.

الاستئناف فلإفادة معنى مجئ جملة بعدها لا صلة موضوعية لها جلية بما قبلها ، وقيل الواو حالية^(١).

ويدل هذا التعدد في معاني الحرف القرآني على أن علوم القرآن ومعاني كلماته أعم من أن تحيط بها قواعد النحو ، خاصة وأن هذه القواعد جاءت متأخرة عن أيام التنزيل الذي أبهر العرب وهم أساطين البلاغة .
وتعقبها آية البحث بتحقيق الاستجابة من الله عز وجل ، فلم تقل الآية :
سوف يستجيب لهم ربهم ، ولا : سيستجيب لهم ربهم ، إنما ذكرت الآية تنجز الاستجابة حال الدعاء المتعدد.

ترى هل يكفي الدعاء للنجاة من النار والخزي والعذاب يوم القيامة ، أم لابد من أداء الواجبات العبادية والعمل الصالح ، واجتناب فعل السيئات ، الجواب هو الثاني .

وهو من الإعجاز في نظم هذه الآيات فقد تقدم نعت أهل هذه الآيات وأصحاب الدعاء فيها بأولي الألباب واجتهادهم في طاعة الله بقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢).

فلم يأت الدعاء إلا من مقامات الهدى والإيمان وأداء الفرائض العبادية ، لبيان خشية المؤمنين من الله ، واحترازهم من مساءلة منكر ونكير في عالم البرزخ ، والاستعداد لما في الآخرة من الأهوال بالعمل الصالح والدعاء الذي يدل على الفقاهاة في الدين ، وسلامة العقيدة ، وصدق السريرة ، وفي

(١) أنظر الجزء الخمسين بعد المائتين من هذا السفر ص ١٢.

(٢) سورة آل عمران ١٩٠-١٩١.

التنزيل ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

وتضمنت الآية قبل السابقة إعلان المسلمين والمسلمات إيمانهم عند سماع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعو للإيمان ، وتتجلى مصاديق وأفراد هذا الإيمان بآيات القرآن والسنة النبوية ليكون من وجوه :

الأول : الإيمان بالله الهأ وخالقاً ورباً .

الثاني : التصديق بالأنبياء والرسل جميعاً .

الثالث : الإيمان بالملائكة .

الرابع : الإقرار بالكتب السماوية التي نزلت من عند الله ، وعدم الوقوف عند نزول القرآن وحده .

الخامس : الإيمان باليوم الآخر .

السادس : الإيمان بوجوب أداء الصلاة والزكاة والصيام والحج .

وتجمع هذه الوجوه الستة آية واحدة وهو قوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

قانون النفرة من الخزي

يبعث الجمع بين الآيتين الناس على استحضار عالم الآخرة في الوجود الذهني ، مما ينعكس إيجابياً على الجوارح والأركان بفعل الصالحات ، واجتناب أسباب الخزي يوم القيامة لقانون نفرة النفوس من الخزي ، وقانون حرص الإنسان على إجتنب الخزي ، ومنه قانون بغض الناس للذي يتجاهر بفعل المعاصي ، وجواز غيبتها بخصوص المعصية التي يتجاهر فيها ،

(١) سورة الأعراف ٥٦.

(٢) سورة البقرة ٢٨٥.

ليكون عبرة للغير ، والحذر من صحبته وإغوائه مع الإجتهد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وعن (حسان بن سليمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه .

وعن عبد الله بن عمر عن درة بنت أبي لهب قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر فقال : يا رسول الله من خير الناس .

قال : أمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأتقاهم لله تعالى ، وأوصلهم لأرحامه .

عن ابن عباس قال : قلنا : يا رسول الله ما نعمل نأتمر بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف شيء إلا ائتمرنا به ، وننتهي عن المنكر حتى لا يبقى من المنكر شيء إلا انتهينا عنه ، ولم نأمر بالمعروف ولم ننه عن المنكر ، فقال : مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به ، وانهاوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله^(١) .

صيغة الجمع في الدعاء دعوة للتعاون

ابتدأت آية السياق بصيغة الجمع (ربنا) وبذات الصيغة ابتدأت الآية السابقة ، وفيه دعوة للمسلمين للتعاون والتأزر في سبل الصلاح التي تنقذهم من دخول النار ، ومن الخزي في عالم البرزخ ويوم القيامة وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢) .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥٨/٣ .

(٢) سورة المائدة ٢ .

(وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)^(١).

وفي هذا التعاون صلاح للمجتمعات ، واستحضار لعالم الآخرة ، وإدراك قربه إذ يبدأ من حين دخول الإنسان القبر .
وقال الزمخشري (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة)^(٢).

ولكن المراد من الحديث ابتداء عالم الحساب بلا عمل من حيث دخول الميت القبر ، ومجئ الملكين منكر ونكير لمساءلته على نحو الإبتداء والمقدمة لحساب الآخرة ، وما يصيب الكافر من عذاب القبر مدة عالم البرزخ ، قال تعالى ﴿وَمَنْ وَّرَاهُمْ بَرْزَخٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٣).

ومن الآيات التباين الكبير في مدة دخول البرزخ بآلاف السنين بين الأجيال الأولى للناس ابتداء من أيام آدم عليه السلام والأجيال الأخيرة التي تسبق النفخ في الصور النفخة الأولى ، قال تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ* وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾^(٤).

قانون التضاد بين المؤمن والكافر يوم القيامة

من معاني الجمع بين آية البحث والسياق البشارة بالتضاد يوم القيامة بين غبطة وسعادة المؤمنين الذين يؤدون الفرائض العبادية وبين الحزي لأن الله عز وجل قد حفظ لهم عباداتهم وعملهم الصالحات .

(١) تفسير ابن كثير ٣٦٠/٧.

(٢) الكشف ١٠٧/٢ .

(٣) سورة المؤمنون ١٠٠.

(٤) سورة الحاقة ١٣-١٤.

و(عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : العار والتخزية يبلغ من ابن آدم يوم القيامة في المقام بين يدي الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار)^(١).

وبينما ذكرت آية السياق النار ومصاحبة الخزي للكافرين قبل وبعد دخولهم لها .

فقد ذكرت آية البحث الجنة ، وبشارة المؤمنين ومنهم المهاجرون الذين أخرجوا قهراً من مكة وما حولها وشدة إيدائهم من قبل المشركين بعد ثبوت ثباتهم على دينهم .

وأخبرت آية البحث عن فضل الله عز وجل بادخال المؤمنين الجنات التي ذكرت في الآية بصيغة الجمع لبيان كثرة أعداد المؤمنين وسعة رحمة الله بهم ، وعظيم قدرة الله عز وجل وهو من الشواهد على عصمتهم من الخزي لترشح الخزي عن دخول النار التي أبعدهم الله عز وجل عنها ، لبيان النفع العظيم للإيمان وعمل الصالحات.

وتضمنت آية البحث الوعد الإلهي بعدم تضييع عمل أي مسلم أو مسلمة في العبادات والمعاملات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله تعالى ﴿إِنِّي لَأُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرَ أَوْ نَسَى﴾^(٢).

وفيه دعوة للمسلمين والمسلمات للإجتهاد في طاعة الله ، واكتناز الحسنات ، لدلالة الآية الكريمة على حضورها يوم القيامة وصيرورتها واقية من الخزي يومئذ .

وهل تحضر تلاوة المسلم للقرآن في عالم البرزخ وسؤال منكر ونكير ، الجواب نعم ، لبيان سعة وكثرة الجزاء والثواب على العمل العبادي ،

(١) الدر المنثور ١٩/٣.

(٢) سورة آل عمران ١٩٥.

لتكون مصاديق قوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(١)، على وجوه محتملة :

الأول : عشر أمثال الحسنة في الدنيا .

الثاني : عشر أمثال الحسنة في الآخرة .

الثالث : مجموع الجزاء في الدنيا والآخرة عشر أمثال الحسنة .

والمختار هو الأول أعلاه ، أما في الآخرة فلا يعلم عظيم الجزاء على الحسنة إلا الله عز وجل .

و(عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ولا يقبل منها إلا الطيب ، ويربها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله حتى أن اللقمة تصير مثل أحد ، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿يَسْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ وَيُرِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾^(٢))(٣).

وتبين آيات القرآن علة الخزي يوم القيامة ، وأسباب دخول النار ، وهي الكفر والفسوق والظلم.

المنافع التي في آية البحث

لقد أخبرت آية البحث عن أمور:

الأول : استجابة دعاء المؤمنين .

الثاني : الوعد الكريم بانتفاعهم من عملهم الصالحات ، وهل يختص هذا النفع بعالم الآخرة لأنه موضوع آية البحث ، الجواب لا ، نعم هي في الآخرة أعظم ، ويكون الإنسان في حاجة شديدة إلى كل معروف قد فعله في الدنيا ، ومن آداب الصلاة على الميت الدعاء له بالقول : اللهم انك قبضت روحه إليك وقد احتاج إلى رحمتك وأنت غني عن عذابه .

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

(٢) سورة البقرة ٢٧٦.

(٣) الدر المنثور ٢/٢٤٢.

الثالث : العفو عن ذنوب المؤمنين ، ومحو سيئاتهم ، وهو مانع للخزي وأسبابه في الآخرة .

الرابع : إدخال المؤمنين والمؤمنات الجنة ، وفيه نجاة مؤبدة من الخزي ، وفي الثناء على المتقين وجزاء الله عز وجل لهم قول الله تعالى لهم يوم القيامة ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(١).

والنسبة بين الخوف والذل عموم وخصوص مطلق ، فالخوف أعم ليدل إخبار الله عز وجل عن صرف الحزن والخوف عن المؤمنين يوم القيامة .
ومن معاني الجمع بين آية البحث وآية السياق قانون الإمتناع عن الدعاء ظلم للنفس والغير ، فقد قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

(و) عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الدعاء هو العبادة ، وقرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣) ^(٤).
وليس من نفع أعظم من منافع الدعاء ، ليكون من وجوه تقدير قوله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٥) ، أي وما للذين يتركون الدعاء والصلاة من أنصار .

بشارات آية ﴿فَأَسْتَجِبْ لَهُمْ﴾

يدل قوله تعالى ﴿فَأَسْتَجِبْ لَهُمْ﴾ على عصمة المؤمنين من صفة الظلم والظالمين يوم القيامة ، لتكون آية البحث على وجوه :

(١) سورة الزخرف ٦٨ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

(٣) سورة غافر ٦٠ .

(٤) الدر المنثور ١٧/٩ .

(٥) سورة آل عمران ١٩٢ .

الأول : البشارة بحسن السمات .

الثاني : الأمن .

الثالث : الآية أمانة على قبول عمل المسلمين في طاعة الله .

الرابع : الآية دعوة للإجتهد بالدعاء واستجابة الله عز وجل لدعاء المؤمنين شاهد على حبه لهم .

والنسبة بين حب الله واستجابة الدعاء عموم وخصوص مطلق ،
فموضوع وأحكام ومنافع الحب من الله أعظم ، وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فذكر آية البحث لإستجابة الله لأدعية المؤمنين المتعددة شاهد على حبه
لهم وذات النسبة بين حب المؤمنين لله عز وجل ودعائهم ، فالحب أعم
وأعظم ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ
يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

تري ما هي النسبة بين قوله تعالى ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثَى﴾^(٣) ، في آية البحث وبين دخول النار الذي تذكره آية السياق ،
الجواب هو التباين والتنافي ، إذ تدل آية البحث على الأجر والثواب على
عمل الصالحات ما كثر منه وما قل ، ومنه الوقاية من النار.
وتتضمن آية البحث البشارة بالجنة للمهاجرين في سبيل الله ، والذين
تلقوا الأذى بسبب إيمانهم وطاعتهم لله عز وجل ، والذين قاتلوا

(١) سورة آل عمران ١٤٠.

(٢) سورة المائدة ٥٤.

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

واستشهدوا لبيان أن الجنة ملك لله عز وجل وحده ، وأن الدخول والخلود فيها بأمر من الله عز وجل ، وثواب من عنده تعالى .

لذا تضمنت آية السياق التضرع إلى الله عز وجل بالنجاة من النار والذي يدل بالدلالة الإلزامية على سؤال المسلمين الله عز وجل دخول الجنة ، لقانون انتفاء البرزخ بين الجنة والنار يوم القيامة.

فالإنسان إما إلى الجنة والخلود فيها والذي أخبرت عنه آية البحث أو إلى النار بسبب الظلم والتعدي والجحود ، قال تعالى ﴿ وَنُذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾^(١).

وهل آية البحث من الإنذار أم أنها خاصة بالبشارة للمؤمنين الذين اخلصوا الإيمان واجتهدوا في الدعاء ، الجواب هو الأول فهي بشارة للمؤمنين في منطوقها ، وإنذار للكافرين في مفهومها .

الوجه الثالث : الصلة بين آية البحث وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ

يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٢).

وفيها مسائل :

الأولى : تكرر ضمير الجمع الغائب (هم) في قوله تعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ

رَبُّهُمْ ﴾ في أول آية البحث مرتين ، ومن أسرارها تعدد مصاديق هذا الضمير شموله الأجيال المتعاقبة للذين يدعون الله عز وجل.

الثانية : هذه الآية شاهد على فوز المؤمنين الذي اجتهدوا في طاعة الله من أيام أبينا آدم عليه السلام وهي وعد للذين يدعون ويطيعون الله من

(١) سورة الشورى ٧.

(٢) سورة آل عمران ١٩١ .

أيام التنزيل وإلى يوم القيامة لبيان قانون تنجز الوعود الإلهية في القرآن ، وهو ومن أسرار سلامته من التحريف والزيادة والنقصان .

الثالثة : لقد أخبرت آية السياق عن ذكر المؤمنين الذين سخرُوا عقولهم للهداية إلى منازل الإيمان لله عز وجل والاستجابة لقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(١).

وهل تختص الإستجابة الواردة في آية البحث ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ بالدعاء وموضوع المسائل التي يتوجه بها المسلمون إلى الله عز وجل ، أم تشمل الذكر ، وإذا كانت تشمله فكيف يكون هذا الشمول ، الجواب تشمل الإستجابة ذكر المؤمنين لله عز وجل ، فيقضي الله عز وجل لهم الحاجات ، ويقربهم إلى مصاديق الرغائب ، ويصرف عنهم الأذى والبلاء بمواظبتهم على الذكر .

ومن خصائص كل إنسان كثرة الأمانى وفق الميسور ، وما يفوق الميسور والمقدور ، ثم ينسى الإنسان هذه الأمانى ، ولكن الله عز وجل لا ينساها إنما تكون حاضرة عنده في الدارين وإن لم يأت بها صاحبها وترفع بصيغة الدعاء ما داموا مجتهدين بالذكر وإقامة الصلاة ، ويدل عليه ما ورد في آية البحث التي هي آية الإستجابة بقوله تعالى ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾^(٢).

ليكون من الأجر والثواب وعدم تضييع عمل المسلمين والمسلمات انشراح النفوس ، وحال الطمأنينة وتنجز الرغائب بفضل من الله ، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣).

(١) سورة الأحزاب ٤١.

(٢) سورة آل عمران ١٩٥.

(٣) سورة الرعد ٢٨.

مسائل في آية السياق

لقد تضمنت آية السياق أموراً :

الأول : ذكر أولي الألباب لله عز وجل بلحاظ عطف أول الآية على خاتمة الآية السابقة لها ﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ الْوَلِيُّ الْأَلْبَابُ﴾^(١)، وبيان منافع الآيات الكونية الباهرة في هداية الناس .

الثاني : ذكر المؤمنين أولي الألباب لله عز وجل في كل حال وهيئة هم عليها ، وفي الليل والنهار ، والحل والترحال ، وعند الإستلقاء .

الثالث : اقتران ذكر المؤمنين لله عز وجل بتفكرهم في ماهية الخلق ، وعظمة المخلوقات ، والتسليم بقانون لا يقدر على خلق الأكوان إلا الله عز وجل .

وذكرت آية السياق خلق السموات والأرض ، ويشمل موضوع التفكير استدامة نصب ووجود السماء والأرض ، وعدم وقوع السماء على الأرض ، وفي التنزيل ﴿وَيُتَسَبَّحُ بِهَا السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٢) .

(وعن عبد الله بن سلام قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال : لا تفكروا في الله ولكن تفكروا فيما خلق)^(٣) .

الرابع : المبادرة إلى الإقرار بربوبية الله المطلقة ، ومناجاته والإستجارة به عز وجل ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(٤) .

الخامس : تنزيه مقام الربوبية والثناء على الله بالقول ﴿سُبْحَانَكَ﴾ .

(١) سورة آل عمران ١٩٠ .

(٢) سورة الحج ٦٥ .

(٣) الدر المشور ١٧/٣ .

(٤) سورة آل عمران ١٩١ .

السادس : لم ينحصر تفكر أولي الألباب بخلق السموات بل يشمل بدائع خلق الأرض مما يدل على الأسرار والكنوز التي في الأرض ظاهرها وباطنها ، وفي التنزيل ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

لقد أنشأ الله السموات والأرض ابتداءً منه تعالى من غير مثال ولا تفكر ، وأحكمها وفرغ منها لتكون آيات لأرباب العقول .
السابع : تنزيه مقام الربوبية ، والتسليم بحكمة الله المتناهية في كل ما يفعل.

الثامن : اختتام الآية بالدعاء للنجاة من النار التي أعدها الله للذين حرموا أنفسهم من مضامين هذه الآية الكريمة ، فلا يعبدون الله ، ويعرضون عن الآيات الكونية ، ولم يتدبروا في أسرار خلق الإنسان ووجوب عبادتهم لله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَأَنۢأَعۡبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾^(٢).

لقد تضمنت آية البحث إلى جانب استجابة الدعاء الوعد الكريم من عند الله بأنه لا يضيع أي عمل صالح من المؤمنين والمؤمنات، صغيراً كان أو كبيراً هذا العمل ، لبيان أمور :

الأول : قانون الملازمة بين أعمال العقل وبين عبادة الله .

الثاني : بيان قانون عمل الصالحات لا يذهب سدى .

الثالث : قانون الترغيب بعمل الصالحات ، إذ تبعث آية البحث الناس على الإجهاد في طاعة الله .

الرابع : قانون الدعاء حاجة لكل إنسان في النشاطين .

الخامس : قانون التفكير في خلق السموات والأرض مع الإقرار بأن الله عز وجل هو الخالق لها وللناس وفيه أجر وثواب .

(١) سورة البقرة ١١٧.

(٢) سورة يس ٦١.

السادس : قانون التفكير في بديع صنع الله ثناء على الله عز وجل .
السابع : ثناء الله عز وجل على الذين يقرون بأنه وحده خالق الأكوان .
وتدل آية السياق على اقتران التفكير بعظمة الخلائق بالتسليم بأنها من بديع صنع الله ، بالبرهان اللمي وهو الانتقال من العلم بالعلة إلى العلم بالمعلول ، ومن المؤثر إلى الأثر .

أما البرهان الإنسي فهو الانتقال من العلم بالمعلول إلى العلم بالعلة ، ومن الأثر إلى المؤثر ، وكل منهما فطري .
و(عن أنس بن مالك قال : قدم وفد إيراد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما فعل قس بن ساعدة الإيادي .

قالوا : هلك . قال : أما إني سمعت منه كلاما ما أرى أني أحفظه .
فقال بعض القوم : نحن نحفظه يا رسول الله ، فقال : هاتوا . قال : فقال قائلهم : إنه وقف بسوق عكاظ ، فقال : يا أيها الناس ، استمعوا واسمعوا وعوا كل من عاش مات ، وكل من مات فات .
وكل ما هو آت آت . ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهـر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأنهار مجراة . إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا .

أرى الناس يمرون ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ ثم أنشأ يقول : يقسم قس قسما بالله لا إثم فيه : إن لله تعالى دينا هو أرضى مما أنتم عليه .

ثم أنشأ يقول : في الذاهين الأولين من القرون لنا بصائر لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر ورأيت قومي نحوها يمضي الأكابر والأصاغر أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر^(١) .

(١) البيهقي / دلائل النبوة ١/ ٤٧٦ .

سئل الإمام علي عليه السلام (بم عرفت ربك ، قال: بما عرفني نفسه ، لا يشبهه صورة ، ولا يقاس بالناس ، قريب في بعده ، بعيد في قرب ، فوق كل شئ ولا يقال شئ تحته ، وتحت كل شئ ولا يقال شئ فوقه ، أمام كل شئ ولا يقال شئ خلفه ، وخلف كل^(١) ولا يقال شئ أمامه ، داخل في الأشياء لا كشئ في شئ ، سبحان من هو هكذا لا هكذا غيره)^(٢).

و(قيل لطبيب : بم عرفت ربك ، قال باهليلج مجفف أطلق^(٣) ، ولعاب ملين أمسك وقال آخر : عرفته بنحلة بأحد طرفيها تعسل ، والآخر تلسع والعسل مقلوب اللسع)^(٤).

وقيل لبعض الأعراب : ما الدليل على أن للعالم صانعاً . فقال : إن البعرة تدل على البعير ، وآثار القدم تدل على المسير ، وهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة ؛ أما يدل أن على الصانع الخبير)^(٥).

ليبان حجية الفطرة ، وأن الأعراب ليس كلهم ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَفَقَاقًا﴾^(٦) ، وقد اثنى الله عز وجل على طائفة منهم فقال ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنِ الشَّيْءُ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾^(٧).



(١) سقط سهواً من النسخ كلمة (شئ) .

(٢) البحار ٣٠٣/٤ .

(٣) ثمرة شجرة الأهليج تكون دواء عشبي ويسمى (ملك الأدوية) .

(٤) تفسير الرازي ٣٧٤/١ .

(٥) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٣/٣ .

(٦) سورة التوبة ٩٧ .

(٧) سورة التوبة ٩٩ .

بخصوص ﴿أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

ذكر خصوص أولي الألباب في قوله تعالى ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، ولم تقل الآية (ان في ذلك لآيات للمسلمين) أو (آيات للمؤمنين).

والألباب : جمع لب ، والمراد أهل البصائر والعقول الذي يأخذون اللباب ويتركون القشور ، فيتدبرون بماهية الأمور وعواقبها. والنسبة بين أولي الألباب وبين المؤمنين عموم وخصوص مطلق ، وفيه وجوه :

الأول : إفادة الآية بأن الآيات الكونية طريق للتوبة والإنابة .

الثاني : بدائع خلق السموات والأرض سبب لصالح المجتمعات .

الثالث : بيان قانون التفكير في خلق السموات والأرض من سبيل الهداية.

الرابع : خشية أولي العقول الراجعة من النار وشدة العذاب فيها فيدركون بعقولهم سبل النجاة منها .

وقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، حجة على الناس إذ رزق كل واحد منهم العقل ، وجعله آلة التمييز بين الحق والباطل ، وإدراك وجوب الإيمان والإنزجار عن المعصية .

ومن خصائص التفكير في الخلائق طرد الغفلة والنسيان ، وهل التفكير في بديع صنع الله للأكوان من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِذْ كُذِّبَتْ إِذَا نَسِيتَ﴾^(٣)، الجواب نعم .

(١) سورة آل عمران ١٩٠.

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

(٣) سورة الكهف ٢٣.

فالتفكر في الأكوان بما أنها مخلوقة لله عز وجل من الذكر ، وفيه الأجر والثواب ، وهو واقية من إرتكاب المعصية في الخلوات .

و(عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل ثم قال له : فأدبر قال : وعزتي ما خلقت أعجب إلي منك بك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب)^(١).

ليبان أن العقل نعمة عظمت ، وحجة على الناس ووسيلة التواصل النافع بينهم بما يؤدي إلى الغبطة في الدنيا والفرح والسلامة من الخوف في الآخرة .

وتبين هذه الآيات كيف يؤدي تسخير الإنسان العقل للدعاء الذي يدل بالدلالة التضمنية على الإقرار بالتوحيد والحاجة إلى فضل الله . ونزل في ذم الذين كفروا الذين لم يتدبروا بحقائق التنزيل وأسرار عالم التكوين ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٢).

كلمة ﴿سُبْحَانَكَ﴾ دعاء

لقد تكررت كلمة ﴿سُبْحَانَكَ﴾ في القرآن تسع مرات ، وابتدأها الملائكة بعد أن تساءلوا عن جعل ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) ، وعجزوا عن معرفة الأسماء التي أمرهم الله عز وجل بالإخبار عنها ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

مما يدل على مواظبتهم عليها ، ولجوئهم إليها ككلمة تنزيه لمقام الربوبية فخص الله عز وجل بها المسلمين للزوم تعاهدها ووراثتها الأرض بسنن التقوى.

(١) الطبراني / المعجم الكبير ٨/ ٢٨٣ .

(٢) سورة التوبة ٨٢ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة البقرة ٣٢ .

وجرت هذه الكلمة على السنة الأنبياء منهم : ذو النون ، وموسى ،
 وورد في عيسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
 اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي
 أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا
 فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (١).

ليتوارثها المسلمون وهو من الشواهد على وراثتهم للأنبياء ، وهي دعاء
 أهل الجنة يوم القيامة ، قال تعالى ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَحِثُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخِرُ
 دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

ليكون من ثمار الجنة في الدنيا تعلم المسلمين من الملائكة سابقاً ، ومن
 أهل الجنة لاحقاً بأن قول (سبحانك) هو من أسمى مراتب الدعاء والرجاء.
 و(عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
 إذا قالوا سبحانك اللهم أتاها ما اشتهاوا من الجنة من ربهم) (٣).
 ووردت مادة (سبح) ومشتقاتها في القرآن اثنتين وتسعين مرة ، كما
 تعدد في الأحاديث النبوية ومعنى سبحانك أي تنزيه الله عز وجل مما لا
 ينبغي أن يوصف به ، وتقديره : سبحت تسييحاً لله .

الدلالة النفسية غير اللفظية

اصطلاح مستحدث في علم المنطق

يكون تقدير الضمير (هم) المكرر في أول آية البحث ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾
 بخصوص آية السياق على وجوه :
الأول : الذين يذكرون الله قياماً استجاب لهم ربهم .

(١) سورة المائدة ١١٦.

(٢) سورة يونس ١٠.

(٣) الدر المنثور ٢١٥/٥.

الثاني : الذين يذكرون الله قعوداً استجاب لهم ربهم .

الثالث : الذين يذكرون الله على جنوبهم استجاب لهم ربهم .

الرابع : الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض استجاب لهم

ربهم .

لايتاء هذا التفكير على الإقرار بأن الله عز وجل هو خالق عالم الأكوان ، فمع التفكير وهو كيفية نفسانية يأتي قولهم ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(١) ، لتجتمع الدلالة اللفظية بهذا القول ، مع الدلالة النفسية غير اللفظية وهي التفكير.

وهذا الاصطلاح (الدلالة النفسية غير اللفظية) مستحدث في تأريخ علم المنطق نذكره هنا ، وهي غير الدلالة.

إذ تتعلق مواضيع علم المنطق بالأفكار والتدبر لذا عُرف المنطق بوجوه :
الأول : علم قوانين الفكر .

الثاني : العلم الذي يدرس صورة الفكر لا مادته .

الثالث : آلة تعصم الذهن من الخطأ .

والدلالة هي ما يتوصل بها إلى معرفة الشيء ، كدلالة الألفاظ على المعاني .

واللفظ الدال على معنى يلزم منه العلم بشيء آخر ، وهو المدلول ، ويحتاج علم الأصول تعريفات علم المنطق فيما يخص الألفاظ والدلالة وغيرها.

وتنقسم الدلالة الى قسمين :

الأول : الدلالة اللفظية : كدلالة اسم البقرة على الحيوان المعروف ، في

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران ١٩١.

(٢) سورة البقرة ٦٧.

الثاني : الدلالة غير اللفظية : كما في قوله تعالى ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾^(١) ومنه إشارات المرور .

وبين الدلالة غير اللفظية والدلالة النفسية عموم وخصوص مطلق ، فالدلالة النفسية أخص ، وهي في ذات الإنسان ولذاته ، وقد تترجل إلى الخارج كما في آية السياق فبعد التفكير في خلق السموات والأرض صدر كل من الإقرار والإعلان والنداء مجتمعات بالقول ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٢).

لبيان فائدة التفكير في الخلق من مقامات الإيمان ، وليس التفكير للجحود والعبث والعناد.

وتدل الآية على التفكير من مقامات الإيمان لحجى التفكير في الخلائق بعد ذكر الله بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٣) ولبيان التشابه بين التنزيل وعالم التكوين ، وصيرورة القرآن مرآة لعالم الخلق ، لتكون آيات القرآن دليلاً وبرهاناً على بديع صنع الله ، وفي التنزيل ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾^(٤).

وتمتاز الدلالة النفسية المستحدثة هنا عن الدلالة الطبيعية التي تقتضيها طباع الناس ، بأن النفسية أثر وانعكاس للمؤثر من غير أن يتخلف عنه ومنها التفكير واستقراء المسائل بواسطته .

(١) سورة سبأ ١٤.

(٢) سورة آل عمران ١٩١ .

(٣) سورة آل عمران ١٩١.

(٤) سورة الزخرف ٨٤.

إذ يقود التفكير بعظمة الخلق إلى الإقرار بالربوبية المطلقة لله عز وجل ،
وأنه الذي يتعاهد الأكوان والخلائق كلها ، لذا اتجه المسلمون حال التفكير
بالخلائق إلى الدعاء وسؤال الله سبحانه النجاة من النار .

ترى ما هي الصلة بين التفكير في عظمة الأكوان والتسليم بإنفراد الله عز
وجل بالقدرة على خلقها ومثلها وبين سؤال النجاة من النار التي هي من
النشأة الأخرى؟

يظهر الجواب في ذات الآية بلجوء أولي الأبواب إلى الله ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ
هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾^(١) ، للدلالة على إقرار المسلمين بأن الله لم يخلق الناس
والخلائق عبثاً أو لعباً ، ولا بد من منافع وفوائد ومواعظ وأسرار في الخلق .
إنما هناك عالم الحساب والجزاء الذي وعد به القرآن يفسر بعضه بعضاً
، فهذه الدلالة النفسية حجة على الكفار ودعوة لهم للتوبة من سوء ظنهم
في خلق السموات والأرض كما ورد في التنزيل ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٢) .

إعجاز الآية الذاتي

ابتدأت آية البحث بحرف الفاء لبيان الفورية وسرعة استجابة الله عز
وجل للمؤمنين مع تعدد وكثرة دعائهم ومسائلهم ، ومن لطف الله عز
وجل أن سرعة استجابته من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ
يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣) ، وفيه بشارة بأن الفورية والسرعة في أمر الله لمنفعة
الناس عامة ، والمؤمنين خاصة وهي من الجزاء الحاضر على أداء الفرائض
على الدعاء والإلحاح فيه .

(١) سورة آل عمران ١٩١ .

(٢) سورة ص ٢٧ .

(٣) سورة يس ٨٢ .

ومن إعجاز الآية ترغيب الناس بكثرة الدعاء ، وتعدد مسائله ، لذا وردت الاستجابة مطلقة ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من غير تقييد أو حصر بموضوع من أدعية الآيات الأربعة السابقة مع أنها تتضمن النجاة في الشأتين .

والنسبة المنطقية بين قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وبين الكلمات التي بعدها ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾^(١) ، هي العموم والخصوص المطلق ، فعدم تضييع الأعمال أعم وأوسع .

لأن النسبة بين العمل الذي تذكره آية البحث وبين الأدعية في الآيات الأربعة السابقة عموم وخصوص مطلق ، فالعمل أعم ويشمل التقييد بكل فرد من الأحكام التكليفية الخمسة .

ومن إعجاز آية البحث إكرام المرأة ، وبعث النساء لأداء الواجبات العبادية ، وتعاهد سنن التقوى وإدراك علم الله عز وجل بكل ما يفعل الناس ، وأن الله عز وجل يثيب على عمل الصالحات ، صغيرة كانت أو كبيرة .

و(عن زيد بن أسلم : أن رجلاً قال : يا رسول الله ليس أحد يعمل مثقال ذرة خيراً إلا رآه ولم يعمل مثقال ذرة شراً إلا رآه ، قال : نعم ، فانطلق الرجل وهو يقول : واسوأناه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : آمن الرجل)^(٢) .

ليبان الخشية والخوف من تبعة وآثار فعل السيئة وأن الله عز وجل لا يتركها ، ليس فقط في عالم الحساب في الآخرة ، بل في الدنيا أيضاً بالإبتلاء ومن عالم البرزخ ، لذا هدى الله عز وجل الناس إلى الدعاء كما في هذه

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) الدر المنثور ١٠/٣٢٥ .

الآيات التي تتضمن سؤال العفو ومغفرة الذنوب ، كما في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(١)(٢).

لقد صدرت الأدعية في الآيات السابقة من أولي الألباب المؤمنين فأخبر الله عز وجل في آية البحث عن تفضله بالإستجابة ، لتفيد هذه الإستجابة أموراً :

الأول : قانون الإستجابة الفورية .

الثاني : تجلي مصاديق الإستجابة في الواقع اليومي للمؤمنين .

الثالث : منافع استجابة الله عز وجل للمؤمنين في الآخرة .

الرابع : فضل الله أعم من استجابة الأدعية .

لقد أمر الله عز وجل الناس بدعائه ، وضمن لهم الإستجابة بقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣) ، وهو سبحانه يرزق ويهب غير الإستجابة.

وبعد إخبار الآية عن استجابة الله للدعاء تضمنت الثناء والوعد الكريم والمغفرة والبشارة العظمى لفريق من المسلمين وهم :

الأول : الذين هاجروا في سبيل الله .

الثاني : الذين أخرجوا من مكة وهاجروا إلى الحبشة وإلى المدينة (يثرب).

الثالث : الذين تلقوا الأذى في سبيل الله ، وهل يختص هذا الأذى بما يأتي من المشركين ، الجواب لا ، إذ يشمل الأذى والضيق في المكاسب وتعطل المعاشات ، ومخاطر السفر وطريق الهجرة .

الرابع : الذين قاتلوا في سبيل الله لإرادة قصد القرية في الدفاع عن بيضة الإسلام بمحذف تقديره : وقاتلوا في سبيلي .

(١) سورة آل عمران ١٩٣.

(٢) أنظر الجزء التاسع والخمسين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) سورة غافر ٦٠.

الخامس : الذين سقطوا شهداء في معركة بدر وأحد وغيرهما .

إعجاز الآية الغيري

تبين الآية قانون إحاطة الله بكل شئ علماً وإحصاءً ورحمةً ، وفي التنزيل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١) ، وأنه سبحانه يسمع أدعية المؤمنين ويعلم بما يفكرون به لقوله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) ، وفيه تنبيه للناس باجتناب التفكير والرغائب والهم بما هو حرام ومنهي عنه ، وفي التنزيل ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٣).

فما يحدث الإنسان نفسه به يعلمه الله عز وجل ، وقد يتلوه بحضور مقدماته لذا تجد المؤمنين حالما يفكرون في ماهية الخلائق يبادرون إلى الإقرار بأن الله عز وجل هو الذي خلق الأكوان وأنه خلقها لحكمة ومنافع للناس ولا متحانهم كما ورد قبل أربع آيات ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾^(٤).

وتضمنت آية البحث البشارة والوعد الكريم من الله عز وجل للمسلمين والمسلمات بأن الله عز وجل يحصي ما يقومون به من العبادات وأعمال البر والصلاح ، ويشيهم عليها ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٥) ، ترتب الثواب على إحصاء الصالحات وثبات هذا الإحصاء وحضوره يوم القيامة .

(١) سورة الطلاق ١٢.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

(٣) سورة طه ٧.

(٤) سورة آل عمران ١٩١.

(٥) سورة الجن ٢٨.

ويمكن تسمية آية البحث آية ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ ولم يرد هذا اللفظ في القرآن إلا في آية البحث .

مفهوم الآية

لما تفضل الله عز وجل وجعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، فانه هداه إلى الدعاء واللجوء إلى الله في السراء والضراء ، وحاجات الدنيا والآخرة ، وتفضل وأخبر في آية البحث عن استجابته للدعاء ، وتنجز المسائل التي سألها المسلمون ليكون من مفاهيم الآية ذم وتبكييت الذين كفروا لحرمانهم أنفسهم من نعمة الدعاء والإستجابة .
وأيهما أعظم الهداية إلى نعمة الدعاء ، أم الفوز بالإستجابة من الله ، الجواب هو الثاني ﴿وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٢). لذا فان قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٣)، فتح مبين.

ولم تقل الآية (فاستجاب لهم الله) لدلالة صفة الربوبية وإضافتها للمسلمين الدعاة رحمة بهم ، وشاهد على حب الله عز وجل لهم .
وتبين آية البحث وحدة المسلمين بلحاظ أن الدعاء سور جامع لهم ، بقوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(٤).

ومن مفاهيمه مفهوم بعضكم من بعض وجوه :

الأول : دعوة الآية المسلمين والمسلمين للتآلف والتآخي ، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة فصلت ٣٥.

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

(٤) سورة آل عمران ١٩٥.

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شِقَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾ (٢).

الثاني : تحريض المسلمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى التعاون والتكافل بينهم .

الثالث : بعث الخوف في قلوب المشركين من المسلمين في وحدتهم وتآزرهم ، فيكفوا عن غزو مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن المكر والكيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٣).

الرابع : بيان قانون إكرام القرآن للمرأة .

الخامس : دعوة المرأة للإجتهد في طاعة الله .

السادس : الأخذ بمشورة المرأة ، وعدم الإستخفاف برأيها ، وقد أخذ النبي شعيب بمشورة ابنته كما ورد في التنزيل ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٤).

فمن مكر الله عز وجل استجابته دعاء المسلمين وإعانتهم للتآخي فيما بينهم ، ورمي المشركين بالإرباك والوهن والضعف والرعب ، قال تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الظَّالِمِينَ﴾ (٥).

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) أنظر الجزء الواحد والسبعين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة.

(٣) سورة الأنفال ٣٠.

(٤) سورة القصص ٢٦.

(٥) سورة آل عمران ١٥١.

قانون تعاهد الدعاء

من مفاهيم آية البحث عدم ضياع دعاء المسلمين ، فقد أمر الله عز وجل بالدعاء ووعد عليه بالإستجابة ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

وجاءت آية البحث مصداقاً للإستجابة مع فضل وزيادة من عند الله عز وجل بأنه لا يضيع عمل أحد من المسلمين ذكراً أو أنثى ، فقد يغفل الإنسان عن الدعاء مع تقيده بأداء الفرائض العبادية .

وتبين الآية قانون أذى المؤمنين سواء من المشركين أو من واقع الحال الذي يصاحب الإيمان ، ويقا تل المسلمون في سبيل الله ، وفيه أذى شديد وأجر عظيم .

ولقد لاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه الأوائل الأذى قبل الهجرة ، ولاقوا مع الأنصار الأذى وواجهوا المشركين في سوح القتال بعد الهجرة وسقوط قتلى كما في كل من معركة بدر ، وأحد والخندق ، وحنين وغيرها .

ومن مصاديق عدم تضييع الله لعمل المسلمين والعفو والمغفرة للمجاهدين والشهداء قوله تعالى ﴿وَأَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾^(٢).

وتدل خاتمة آية البحث على أن عالم الحساب والجزاء حق ، وكذا فوز المؤمنين بدخول الجنة ، والنجاة من النار وسيأتي بعد ثلاث آيات قوله تعالى ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٣).

(١) سورة غافر ٦٠.

(٢) سورة البقرة ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران ١٩٨.

والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، وليبيان تضمن آية البحث مصاديق متعددة من أبهى مصاديق التقوى التي تقود إلى الجنة ، قال تعالى ﴿وَسَيَقُولُ الَّذِينَ أَتَقَوَّارِبُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١).

الآية سلاح

لقد بينت الآيات الأربعة السابقة اجتهاد المسلمين بالدعاء وذكر الله ، وهو من الشواهد على صدق الإيمان والإنقطاع إلى الله عز وجل ، وحبه لله عز وجل ، والإقرار بأن مقاليد الأمور بيده ، وله المشيئة المطلقة ، وفيه دلالة على إقرارهم بأن الدعاء سلاح نافع ، وهو من وراثتهم للأنبياء إذ اتخذ الأنبياء الدعاء سلاحاً في هداية الناس وفي النجاة من المكر والكيد ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

والنسبة بين مكر الله وبين استجابة الدعاء عموم وخصوص مطلق .
وآية البحث تأمين وحرز في الدنيا والآخرة .

وهل مضامينها جزاء من عند الله على الدعاء والعمل الصالح ، أم أنه هبة ولطف من عند الله تعالى ، الجواب لا مانع من الجمع بين الأمرين لذا وردت بصيغة الإستجابة .

ومع الإستجابة تذكر آية البحث الثواب العظيم على عمل الصالحات ، ولم تقل الآية (لا اضيع عامل منكم) بل ذكرت العمل ، لبيان ترتب الثواب العظيم على ما قل وما كثر من الصالحات .

وفيه شاهد على توثيق وحفظ الله للأعمال إلى يوم القيامة .

ومن معاني السلاح في آية البحث بعثها الصبر والتحمل في نفوس المسلمين والمسلمات ، فاذا لاقاهم الأذى استحضروا الثواب العظيم من الله

(١) سورة الزمر ٧٣.

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

، فتخف عنهم وطأة الأذى ليكون من معاني ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِ﴾^(١)،
الوعد الكريم من الله عز وجل ، وتهيئة المسلمين لما يلاقونه من الأذى من
المشركين .

وقد نزلت آية البحث في أيام شدة وبلاء من مشركي قريش وحلفائهم.

إفاضة الآية

تدل الآية على حب الله عز وجل للمسلمين ، وهدايتهم إلى دعائه ،
والنسبة بين حب الله واستجابة الدعاء عموم وخصوص مطلق ، فحب الله
أعظم .

وتدل الآية على حسن ظن المسلمين بالله عز وجل ، وخوفهم من
الذنوب والتقصير في أيام حياتهم ولجوئهم إلى الله عز وجل وحده .
وعن الإمام الصادق عليه السلام قال (حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا
الله ولا تخاف إلا ذنبك)^(٢).

ومن حسن الظن بالله الرضا بفضل الله ، وإدراك أنه تعالى لطيف غفور
رحيم ، يصرف البلاء ، ويدفع الغم وأسبابه ، ويشفي الإنسان من
الأمراض والدرن ، وورد حكاية عن إبراهيم عليه السلام في التنزيل ﴿وَإِذَا
مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِي﴾^(٣).

لقد ختم الله عز وجل النبوة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وجعله الله نبياً رسولاً ، ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين وشاهداً على الأمم ،
وجعل الكتاب الذي أنزله عليه وهو القرآن جامعاً لأحكام الشريعة ،

(١) سورة آل عمران ١٩٥.

(٢) البحار ٣٦٧/٦٧.

(٣) سورة الشعراء ٨٠.

وحفظه الله من الزيادة والنقصان والتحريف إلى يوم القيامة ، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

و(عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مثلي ومثل الأنبياء كمثلي رجل ابتنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع اللبنة ، فأنا موضع اللبنة فختم بي الأنبياء)^(٢).

ومع هذا الختم وعد الله عز وجل المسلمين باستجابة ادعيتهم ، ولا تنحصر هذه الإستجابة بخصوص الآيات الأربعة السابقة بل تتضمن الآية فضل الله باستجابة أدعية المؤمنين والمؤمنات واقتران هذه الإستجابة بالوعد من الله الثواب العظيم على كل فعل عبادي وعمل صالح يقوم به المسلم والمسلمة.

ويحتمل الدعاء وجوهاً :

الأول : إنه عبادة .

الثاني : إنه عمل صالح .

الثالث : إنه عنوان مستقل بذاته .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها تصدق على الدعاء ، ولابد من إحصاء آيات الدعاء ، والإستجابة في القرآن بتتبع آياته آية ابتداء من سورة الفاتحة وإلى آخر سورة الناس وقوله تعالى (مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ)^(٣) .

ومن الإعجاز في باب الدعاء في القرآن أن آيات آخر سورتين من القرآن كلها دعاء ، وهما سورة الفلق ، وسورة الناس ، وتسبقهما سورة الإخلاص التي هي ثناء على الله وقرار بالتوحيد .

(١) سورة الحجر ٩.

(٢) الدر المنثور ٨/١٧٠ .

(٣) سورة الناس ٦.

وهل يشمل قوله تعالى في أول آية البحث ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ الدعاء والإستعانة في سورة الفلق وسورة الناس أم أن القدر المتيقن من الآية هو مضامين الآيات الأربعة السابقة ، الجواب هو الثاني ، لأصالة الإطلاق في الإستجابة ، ولقوله تعالى في آية البحث ﴿إِنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى﴾^(١).

الآية لطف

من أسماء الله اللطيف ، ويتجلى لطف الله عز وجل في كل دقيقة من حياة الفرد والجماعة ، ولولا لطف الله عز وجل لأحاطت بالناس المخاطر ، ولاقوا الويلات وامتلات النفوس بالكدورة ، وتمنى الناس الموت . ومن لطف الله عز وجل نزول آيات القرآن ، وكل آية لطف بذاتها وبصلتها مع غيرها من الآيات ، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢). والنسبة بين ذكر الله والآية القرآنية عموم وخصوص مطلق ، فالذكر أعم ، وآية البحث من اللطف الإلهي من وجوه :

الأول : ابتداء الآية بالإخبار عن استجابة الله عز وجل للمسلمين في دعائهم ، وتجز هذه الإستجابة إذ وردت بصيغة الفعل الماضي (فاستجاب).

الثاني : الفورية في استجابة الله عز وجل لأدعية المسلمين ، بدلالة الفاء في (فاستجاب) وترتب الأثر على هذه الإستجابة ، بلحاظ مضامين الآيات الأربعة السابقة من جهات :

الأولى : الوعد بنجاة المؤمنين من النار ، لما تقدم في الدعاء ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣).

(١) سورة .

(٢) سورة الرعد ٢٨.

(٣) النسائي / السنن الكبرى ٥٠١/٦ .

والبعث لغة هو الإرسال ، وفي الاصطلاح هو إحياء الله تعالى للناس بعد موتهم ، واخراجهم من قبورهم ، قال تعالى ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(١).

ثم يأتي النشور والنفق في الأرض بفتح من هول المطلع ، ويحشر الناس في أرض المحشر يوماً واحداً ذكر أن مقداره خمسون ألف سنة ، ليأتي الحساب والميزان والحوص والعبور على الصراط والشفاعة لبيكي الإنسان على ظلمه لنفسه ، بعد أن يرى ما اقترفه في حياته مدون في صحيفته التي في يده .

ثالثاً: التبرأ من الظلم للذات والغير وهو من معاني الآية ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢) ، وقد يجد أعواناً في الدنيا ، ولكنهم يكونون عوناً وشهوداً عليه يوم القيامة ، ويحصل التبرأ بينهم .

رابعاً: سؤال العصمة من نصرة الظالم إذ يسأل المؤمنون الله عز وجل ألا يكونوا ظالمين ، ولا ينصروا الظالم .

الثالثة: إعلان المسلمين بالإيمان بالله ، وصيرورة هذا الإعلان دعاءً وشهادة لهم ، ومن دلالات صيغة الجمع في (فأما) شهادة كل مسلم لغيره من المسلمين بالإيمان .

الرابعة: توجه المسلمين إلى الله بسؤال العفو والمغفرة والتجاوز عن السيئات والخطايا ، ليدخلوا عالم البرزخ وقد تغشاهم الله عز وجل بالمغفرة ومحو الذنوب ، فلا يجد منكر ونكير عند المسلم من الذنوب ما يحاسبانه عليه الحساب الابتدائي .

الخامسة: تفقه المسلمين في الدين ، ومعرفتهم بوجود أمة من الأبرار في كل زمان ، وسؤال الله عز وجل للإرتقاء إلى مرتبتهم التي تتجلى بالإيمان

(١) سورة الأنعام ٣٦.

(٢) سورة آل عمران ١٩٢.

وأداء الفرائض العبادية وعمل الصالحات ولإرادة الفوز بثواب الإبرار ، قال تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(١).

السادسة : الثناء على الله عز وجل لوعده المؤمنين على السنة الأنبياء والرسول باللبث الدائم في النعيم الأخروي ، والله عز وجل إذا وعد وفى ، وفي التنزيل ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) ، وقد ذكر الخزي والإستعاذة منه في الآيات الأربعة المتقدمة مرتين :
الأولى : الخزي الذي يلحق أهل النار .

الثانية : الخزي يوم القيامة ، كما ورد في الآية السابقة ﴿وَلَا تُخْزَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

والنسبة بين الخزي في الحالتين عموم وخصوص مطلق ، فالخزي يوم القيامة أعم ويدل سؤال المسلمين الله عز وجل لنجاتهم من الخزي العام والخاص .

وهل يختص قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٣) ، بمضامين الآية السابقة وحدها ، الجواب لا ، إنما يشمل الدعاء في الآيات السابقة ، وليبيان قانون من الإرادة التكوينية وهو تنجز وعد الله ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٤).

(١) سورة الإنفطار ١٣.

(٢) سورة البقرة ١٠٦.

(٣) سورة آل عمران ١٩٤.

(٤) سورة النساء ١٢٢.

الثالث : من مصاديق اللطف الإلهي في آية البحث الإطلاق والموجبة الكلية في استجابة الله عز وجل لأدعية المؤمنين ، بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(١).

الرابع : إلى جانب استجابة الله عز وجل لدعاء المؤمنين فانه تعالى يشيهم على كل عمل صالح عملوه مجتمعين ومتفرقين .

الخامس : التخفيف السماوي عن الصحابة وعامة المؤمنين من الأذى الذي لاقوه في سبل الهداية ، وقصد القربة في أعمالهم .

السادس : من أبهى مصاديق اللطف الإلهي الوعد بالجنة للمؤمنين الذين أودوا في سبيل الله ، والتقيد بالإيمان للزوم صدور الفعل العبادي بقصد القربة إلى الله ، وإرادة وجهه تعالى في الصالحات لما ورد في آية البحث ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾^(٢).

قانون اللطف الشخصي والخاص والعام

قال تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(٣).

من خصائص الآية القرآنية بعث الإنسان لمنازل الإمتثال لأوامر الله ، والإبتعاد عما نهى عنه ، ومن أبهى مصاديق اللطف قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

والنسبة بين الرحمة واللطف عموم وخصوص مطلق ، فالرحمة أعم ، وليس من حصر لكل من الرحمة واللطف الإلهي .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧ .

ومن الآيات أن كل إنسان من أيام آدم وإلى يوم ينفخ في الصور لله عز وجل عليه لطف يمتاز به عن غيره من الناس يمكن أن أسميه قانون اللطف الشخصي.

وهو من قانون الخلافة في الأرض ، قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) ، ويمكن تقسيم اللطف الإلهي تقسيماً استقرائياً إلى :

الأول : اللطف الشخصي الذي يصيب كل إنسان على نحو خاص ومستقل ، وهو مثل بصمة اليد ، وبصمة العين ، فلا تجد اثنين من أيام آدم وإلى يوم ينفخ في الصور يلتقيان بذات الخصوصية ومثله بصمة الأذن التي اكتشف حاسوب خاص لها .

ومن بديع خلق الإنسان أن بصمة الأذن اليمنى تختلف عن بصمة الأذن اليسرى عند الشخص الواحد ، وكذا يختص كل إنسان بمصاديق وأفراد من اللطف الإلهي لا تكون عند غيره من الناس .

وهل تعلم الملائكة خاصة الحفظة بهذا اللطف ، قال تعالى ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

الأقرب أنها تعلم به إجمالاً وليس على نحو التفصيل والتمام الذي لا يحيط به إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا

ومن اللطف الخاص الرزق وصحة البدن ، والهداية إلى الصلاح وتيسير سبل التوبة ، وموارد يختص بها الإنسان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع أسرته ومحيطه ، وهو من مصاديق ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الرعد ١١.

(٣) سورة البقرة ٣٢.

(٤) سورة طه ١٣٢.

فكل شخص تهيئ له كيفية في الأمر والإعانة على الصبر ، ويصيب اللطف الخاص البر والفاجر ، والذكر والأنثى .

وقد أكرم الله المؤمنين بذكر هذا القسم من اللطف بقوله في آية البحث ﴿لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾^(١).

ومن اللطف الشخصي السعة والغنى ومنه ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾^(٢) ، وقد يجتمع المال وأداء الوظائف العبادية المالية ، كأداة الزكاة وحج بيت الله الحرام ، لذا فإن الإستطاعة نعمة عظيمة وكذا تهيئة المقدمات العقلية للحج ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٣).

ومن هذا اللطف التحلي بالصبر والأخلاق الحميدة ، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) ومنه الرزق الكريم ، وصرف البلاء والدرن .
وهل يحضر اللطف الشخصي مع صاحبه يوم القيامة ، الجواب نعم ، ليكون حجة عليه ، قال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٥).

الثاني : اللطف الخاص : وهو الذي يأتي للأسرة والجماعة والطائفة والفرقة أو أهل بلد في مناسبات مخصوصة أو مطلقاً ، ومنه السعة في الرزق ، والسعادة والألفة والسكن تحت سقف واحد مستقل ، والتكافل والأخلاق الحميدة ، ويأتي اللطف على نحو دفعي أو تدريجي ، وترى شواهد عديدة في اتصاف طائفة من الناس بنعم وخصائص غير موجودة عند اقرانهم .

(١) سورة آل عمران ١٩٥.

(٢) سورة الكهف ٤٦.

(٣) سورة آل عمران ٩٧.

(٤) سورة القلم ٤.

(٥) سورة ق ٢٢.

ومن اللطف الخاص في آية البحث العناء والأذى الخاص الذي ابتلي به كل مؤمن في طريق الهجرة إلى الله ، وشدة الأذى الذي لاقاه سواء الأذى من المشركين ، أو المشاق التي واجهها في الهجرة ومسالك الطاعة ، وفي التنزيل ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾^(١).

ومن الخاص نزول المطر ، وخصوبة الأرض ، وكثرة الثمار وكنوز الأرض ، والوقاية من الحروب .

الثالث : اللطف العام : وهو الذي يصيب الناس جميعاً نعمة من عند الله عز وجل على عباده وحجة عليهم ، وهو من مصاديق رحمة الله ، لذا تبدأ كل سورة من القرآن بقوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وباللطف الإلهي تستديم الحياة في الأرض ، ويتكاثر الناس ، ويتنعمون بالطيبات ، وتزداد أرزاقهم ، والله يعلم السرائر وخفايا الأمور ، وبواطن الأشياء ، ودقائق الخفايا ، وما تختلجه النفوس فيقرب الله الناس بلطفه إلى الطاعات ، ويجعل ويرفق حجباً دون ارتكابهم المعاصي ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

وورد اسم (اللطيف) سبع مرات في القرآن كلها لله عز وجل لبيان قانون لا يقدر على الإطراد في اللطف واستمراره وعمومه إلا الله عز وجل ، وورد هذا الاسم المبارك بصيغة العموم والإطلاق من غير تقييد ، ومنه قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾^(٣).

وتتضمن آية البحث اللطف الشخصي واللطف الخاص والعام ، بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٤) ، لبيان تعدد أدعية المسلمين وانفراد كل مؤمن

(١) سورة آل عمران ١١١.

(٢) سورة يوسف ١٠٠.

(٣) سورة الشورى ١٩.

(٤) سورة آل عمران ١٩٥.

بأدعية مخصوصة ، كما أن الإستجابة تأتي على نحو القضية الشخصية ومسألة عين ، وتأتي للطائفة والأمة مجتمعة ومتفرقة ، ويتنفع الناس عامة من استجابة الله عز وجل لأدعية الصالحين .

وعن الإمام علي عليه السلام :

دواؤك فيك وما تبصر ... ودواؤك منك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر.

وأياها أكثر اللطف الشخصي أم الخاص أم العام ، الجواب اللطف العام هو الأكثر الذي ينتفع منه الناس جميعاً ، ومنه بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودين الإسلام ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١).

مراتب اللطف

ويمكن تقسيم اللطف الإلهي تقسيماً آخر إلى أقسام :

الأول : اللطف الظاهر للحواس ، من السمع والبصر والشم والذوق واللمس .

الثاني : اللطف الذي تدركه العقول .

الثالث : اللطف في بعثة الأنبياء ونزول الكتب السماوية ومنها القرآن ، ومن إعجاز كل آية منه لطف من الله في مضامينها وأحكامها ودلالاتها ، وهو من الشواهد على سلامته من التحريف ومن الزيادة والنقصان .

الرابع : اللطف الخفي الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾^(٢).

وأياها أكثر من هذه الأقسام ، المختار هو الأخير ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١).

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الحديد ٢٢.

وذهب المعتزلة إلى وجوب اللطف على الله في كبرى قياس :
الكبرى : اللطف واجب على الله .

الصغرى : بعث الأنبياء لطف .

النتيجة : بعث الأنبياء واجب على الله .

وقالوا لو لم يبعث الله الأنبياء لكان قبيحاً ، والقبيح ممتنع على الله ، أما امتناع القبيح على الله فهو صحيح ولا أصل لهذا الوجوب ، فمن مصاديق تنزيه مقام الربوبية الإمتناع عن القول هذا الأمر واجب على الله ، فلا يجب عليه سبحانه شئ .

ولكن طرق ووسائل التبليغ والهداية لا يعلم كثرتها إلا الله تعالى ، ولو لم يبعث الله الأنبياء لأوجد أكثر من ألف طريق ، كل واحد منها يؤدي ذات وظيفة الأنبياء في البشارة والإنذار وهداية الناس إلى الإيمان ، ولا تستعصي على الله مسألة ، ويفضل فيها الأنبياء وأهل البيت والمهاجرين والأنصار ، وقد جعل الله العقل عند الإنسان رسولاً باطنياً .

وحينما علم الله عز وجل آدم الأسماء بقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١) ، لم يعلمه مثل هذا القول بالوجوب على الله إنما علمه التكليف وأن الإنسان يتلقى الأحكام التكليفية الخمسة ، نعم بعثه الأنبياء رحمة من عند الله ومصادق من مصاديق لطفه تعالى التي يعجز الناس عن إحصائها ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) .

لتدل الآية في مفهومها على الزجر عن القول هذا يجب على الله سواء وفق قاعدة التحسين والتقييح العقليين أو لا .

وهل يختص اللطف الخاص بالمؤمنين والمؤمنات ، الجواب لا ، إنما هو عام يتغشى كل أسرة وجماعة أو طائفة أو فرقة أو أمة ، نعم هو على

(١) سورة النحل ١٨ .

(٢) سورة البقرة ٣١ .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ .

مراتب متفاوتة قوة وضعفاً ، ويفوز المؤمنون بالنصيب الأوفر من مصاديق اللطف ، ومنها آية البحث .

الآية بشارية

لقد جعل الله عز وجل القرآن الكتاب السماوي النازل بالبشارات ، ومن أسرار بقاء القرآن يتلى كل يوم إلى يوم ينفخ في الصور كثرة البشارات فيه ، سواء البشارات للدنيا والأمن والرزق الكريم فيها ، أو بشارات الآخرة ، وهي أعظم البشارات ، وأعلاها اللبث الدائم في النعيم .
ومن مصاديق البشارة في آية البحث وجوه :

الأول : اخبار آية البحث عن إستجابة دعاء المسلمين مع تعدد مسائل الدعاء في الآيات الأربعة المتقدمة ، ولا تختص الإستجابة بها ، بل تشمل أدعية المسلمين والمسلمات التي وردت في القرآن ، والتي ترد في السنة النبوية من الأدعية الماثورة ، والأدعية الخاصة لأصالة الإطلاق ، ولأن الله عز وجل يعطي بالأوفى والأتم ، وفيه شاهد على عموم البشارة موضوعاً ومحمولاً .

الثاني : البشارة بأن الله عز وجل لا يضيع عمل أي مسلم أو مسلمة ، وجاءت الآية بصيغة السالبة وشرط لا (لا أضيع) لأن المنافع والأجر العظيم على الأعمال الصالحة للمؤمنين والمؤمنات الصالحة ، ولا يحيط بها ولا يحصيها إلا الله عز وجل .

الثالث : شمول الإستجابة من الله للمسلمات مثلما يستجيب الله عز وجل للرجال ، ترى لماذا ذكر الله عز وجل الأنثى في الآية ، الجواب من جهات :

الأولى : إكرام المرأة .

الثانية : ترغيب البشارة بالدعاء .

الثالثة : إخبار النساء بأن الله عز وجل يراهن ويسمع كلامهن ، وفي التنزيل ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١).

الرابعة : دعوة المسلمين لتهيئة مقدمات عبادة وطاعة المسلمين لله عز وجل .

الخامسة : بعث المسلمين والمسلمات للتعاون في مرضاة الله ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(٢) وحضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٣).

الرابع : البشارة بالأجر والثواب للمؤمنين والمؤمنات على الأذى الذي لاقوه في طريق الهجرة ، وفيه مواساة وتخفيف عنهم ، ودعوة لهم للصبر والثبات في مقامات الإيمان .

الخامس : البشارة بالجنة على الإيمان والعمل الصالح ، وهل تذكر الآية الثواب الآخروي الذي يأتي للإنسان في حياته وبعد موته بسبب إيمان وصلاح الذرية .

الجواب نعم ، وهو من فضل الله عز وجل على الإنسان ، وفيه دعوة إلى توارث الإيمان ، قال تعالى ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^{(٤)(٥)}.

(١) سورة المجادلة ١.

(٢) سورة التوبة ٦٧.

(٣) سورة المائدة ٢.

(٤) سورة التحريم ٦.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٢١/٩.

ويكون من معاني قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(١) أي في دعائهم لأنفسهم ولآبائهم وذرائعهم لتشمل الإستجابة المتحدة للموجود والمعدوم .

قانون تعدد البشارة في الآية الواحدة

من إعجاز آية البحث تعدد البشارة للمؤمنين الذين ذكرتهم من جهات:
الأولى : نعمة الإستجابة ومعاني الوعد فيها .

الثانية : ترغيب المسلمين بالدعاء ، وبيان أنه من أعظم الأعمال نفعا في الدنيا والآخرة ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في الدعاء والإجتهاد فيه ، عن (ابن عمرو قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر الدعاء يقول : اللهم إني أسألك الصحة ، والعفة ، والأمانة ، وحسن الخلق ، والرضا بالقدر)^(٢) .

الثالثة : المغفرة ومحو السيئات .

الرابعة : دخول الجنات ، مع بيان صفة من صفاتها وهي جريان الماء فيها .

الخامسة : الخلود في النعيم ثواب من عند الله .

ولم يطلب المؤمنون في هذه الآية عدم تضييع عملهم ، ولكنه من اللطف الإلهي ، والفضل والثواب على الدعاء ، وبيان قانون من الإرادة التكوينية وهو أن الله عز وجل يستجيب للدعاء ، ويزيد عليه بأضعافه من المنن والعطايا .

وعن مجاهد عن أم سلمة قالت (آخر آية أنزلت هذه الآية: { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ } إلى آخرها)^(٣) .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) الدر المنثور ٤٣٢/٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ١٩٠/٢ .

والاستجابة في آية البحث مترتبة على ما في حيزها من الأدعية وغيرها ،
 فاستجاب تعدى باللام في (لهم) ، أي أجاب الله طلبتهم ودعاءهم
 وتدل هذه الآيات على تفقه المسلمين في المعارف الإلهية ، فقد استجاروا
 بالله عز وجل من الخزي الذي يصاحب دخول النار ، كما في قوله تعالى
 ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾^(١).

الآية إنذار

الإنذار هو الإخطار والإشعار بوقوع أذى يترتب على فعل يلزم الإمتناع
 عنه وتركه ، ويقترن هذا الإشعار بالتحذير لبيان عدم إختلاف المعنى في
 الاصطلاح للإنذار عن معناه اللغوي .
 ومن إعجاز القرآن مجئ الإنذار فيه بصيغة النص ، والبيان الصريح مثل
 ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾^(٢).

وما يترتب على عدم الإنتفاع من الإنذار ، والإقامة على الفعل المنهي
 عنه ، ومنه قوله تعالى في قوم لوطاً ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ
 الْمُنْذَرِينَ﴾^(٣)، إذ نجا الله عز وجل لوط ومن معه من المؤمنين .
 ثم أنزل الله على الذين أصروا على إرتكاب الفاحشة وإكتفاء الرجال
 بالرجال ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾^(٤) أي من طين متحجر ، لبيان لزوم
 تلقي الإنذار الإلهي بالقبول والإحتراز من إرتكاب الفعل المنهي عنه .
 ويستقرأ الإنذار تارة في القرآن من مفهوم البشارة ، لدم الذي يحرم نفسه
 من الفوز بالبشارة القرآنية .

(١) سورة آل عمران ١٩٢.

(٢) سورة مريم ٣٩.

(٣) سورة الشعراء ١٧٣.

(٤) سورة هود ٨٢.

وفي إبتداء آية البحث بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(١) ثناء على المؤمنين ، وشكر من الله عز وجل لهم على دعائهم وإخبار للناس جميعاً بأن دعاء المؤمنين لم يذهب سدى ، ويدل في مفهومه على ذم الذين كفروا لإعراضهم عن نعمة الدعاء ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّيْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٢) ، وإنذار لهم باستجابة الله عز وجل لدعاء المؤمنين في الغلبة والنصر على الذين كفروا ، وإنعدام الناصر لهم في النشأتين .

مما يدل على أن المعنى الإتحاد والإخوة وصلة الإسلام الذي هو سور الموجبة الكلية الذي يجمعهم ولييان وجوب طاعة الله على كل مسلم ومسلمة وفوزهم بالثواب واستجابة الدعاء .

وقد ورد في ذم المنافقين ، قال تعالى ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(٣) .

ومن خصائص آية البحث بيان المنافع العظيمة في صلاح النساء ، وبعثهن للزوم تربية الأولاد ذكوراً وإناثاً وإصلاحهم لفعل الخيرات .
ومن الآيات في خلق المرأة جعل غشاء البكارة أمانة لتنزيه النساء من الزنا والسفاح ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ صحة ولادة المؤمنين ثم أشارت الآية للزوم استثمار أيام الحياة الدنيا بعمل الصالحات ، والاكتناز لعمل الآخرة ، والسعي المقرون بالأمل للنهل من ﴿حُسْنِ الثَّوَابِ﴾^(٤) .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة آل عمران ٥٦ .

(٣) سورة التوبة ٦٧ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٤ .

تباين لون الكتب يوم القيامة

ومن خصائص يوم القيامة تطاير الكتب ، ليؤتى المؤمنون أهل اليمين كتبهم في إيمانهم ، ويؤتى أهل الشمال الذين ماتوا على الكفر والظلم والنفاق كتبهم بشمالهم ومن وراء ظهورهم .

و(عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ يمينه وأخذ بشماله)^(١).

وأستحدث هنا مسألة وهي هل تكون كل الكتب يومئذ بلون واحد أم أن لون كتب أهل اليمين بلون ، وكتب أهل الشمال بلون آخر ، المختار هو الثاني بحيق تعلم الخلائق بسنخية الكتاب وأعمال الفرد حالما ينظرون إلى لون كتابه من غير أن يسألوه .

وهل تتعارض هذه المسألة مع قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِثْرًا وَكَتَابِي﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِي﴾^(٣)، الجواب لا .

ليكون من مواطن يوم القيامة موطن يتفاخر به المؤمنون بأعمالهم ومظهر الجزاء عليها ، ويعلن المشركون والذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم الندامة ، قال تعالى ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَوْ أَنَّا حِينِ مَنَاصٍ﴾^(٤).

(١) تفسير ابن كثير ٢١٣/٨ .

(٢) سورة الحاقة ١٩ .

(٣) سورة الحاقة ٢٥ .

(٤) سورة ص ٣ .

فقد نادوا واستغاثوا حين نزل العذاب بهم في الدنيا كعذاب قوم صالح ، وقوم لوط والحال أنه لا مهرب ولا منجى وليس الوقت وقت قبول التوبة ، ولا وقت فرار وخلص ، والنوص ، التأخر ، والبوص : التقدم .

قال تعالى ﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا﴾ اقرأ كتابك كلنى بنفسك اليوم عليك حسيباً^(١).

الصلة بين أول وآخر الآية

ابتدأت الآية بحرف الفاء لإفادة العطف والإستئناف ، والدلالة على اتصال هذه الآية بالآيات السابقة لها لقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ لما سبق آية البحث من الأدعية التي حفظها الله للمسلمين ، ووثقها في القرآن الكتاب لخالد إلى يوم القيامة والسالم من الزيادة والنقصان .

لقد تكرر النداء (ربنا) خمس مرات في الآيات الأربعة السابقة ومع كل نداء مسألة أو مسائل متعددة من الدعاء فمثلاً قوله تعالى ﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٢) ، وردت ثلاثة مسائل وأدعية .

لتنجلي قدرة الله على كل شئ ، وسعة كرمه بأن أخبر عن استجابته لهذه الأدعية بكلمة واحدة وهي ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٣).

ولا تختص الإستجابة في هذه الآية بالأدعية الواردة في الآيات الأربعة السابقة ، بل هي أعم ، ومن أسماء الله الحسنى (المجيب) .

ومن وجوه تقدير أول آية البحث : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فيما سألوه في الآيات السابقة وغيرها .

(١) سورة الإسراء ١٣-١٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٥ .

ترى لماذا لم تقل الآية (فاستجاب لكم ربكم) بصيغة الخطاب والمماثلة مع الدعاء ، الجواب من جهات :

الأولى : بيان أن الله عز وجل ربّ الناس جميعاً ، وفي التنزيل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

الثانية : قانون ترغيب الناس بالدعاء .

الثالثة : بيان قانون الإستجابة العامة من الله للسائلين .

الرابعة : مجئ صيغة الخطاب بعد الإستجابة .

الخامسة : توجه الإخبار عن استجابة دعاء المؤمنين للناس جميعاً ، للشهادة والدعوة للإيمان ، وخزائن الله عز وجل لا تنفذ ، وعنده المزيد .

ولم تأت الإستجابة بصيغة الوعد إنما نزلت بلغة التحقق والتنجز لبيان أن أهل الجنة يفوزون بمقاعدهم فيها ، وهم في الحياة الدنيا لإختتام الآية بالوعد الإلهي ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢).

وبعد ابتداء آية البحث بالإخبار المبارك عن استجابة الله عز وجل للمؤمنين انتقلت الآية إلى صيغة الخطاب وهو الذي يسمى في البلاغة (الإلتفات) فقال تعالى ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾^(٣) أي أعمال المؤمنين أولي الألباب .

لقد سألوا الله عز وجل مسائل مخصوصة في الآيات السابقة ، فأخبرت آية البحث عن الإستجابة لهم في ذات المسائل وغيرها مع الوعد الكريم بأن الله عز وجل يثيبهم على كل عمل صالح عملوه ، وفيه وجوه :

الأول : يتجلى في هذا الإخبار والوعد قانون أعظم بشارة يتلقاها الناس في الحياة الدنيا .

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) سورة آل عمران ١٩٥.

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

الثاني : قانون إختصاص المؤمنين بكثرة البشارات في الحياة الدنيا .
الثالث : قانون حضور البشارة في الدنيا يوم القيامة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانَا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

ترى ما هي النسبة بين ﴿عَمَلٌ عَامِلٌ مِنْكُمْ﴾ وبين الإحسان الذي تشير إليه الآية أعلاه ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فالعمل الذي تذكره الآية أعلاه أعم وان كان الأصل كل فرد منه إحساناً للذات بما فيه الذكر والتسبيح ، إذ لا يضيعة الله عز وجل وإن كان إخفاتاً .
ثم ذكرت آية البحث عامة المؤمنين من الرجال والنساء لمنع الإستخفاف بعمل المؤمنات ، ولترغيبهن بالعمل الصالح ، وفيه إكرام لهن .
وهل تربية الأولاد تربية إيمانية وصالحة من العمل الذي يؤجرهن الله عز وجل عليه ، الجواب نعم .

وقيل في معنى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي أنكم من أصل واحد ، ولكن الآية أعم ، فقد ورد هذا اللفظ مرتين في القرآن ، احداهما في هذه الآية ، والأخرى خطاب للمسلمين أيضاً بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكُحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ أَتْنِ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

لإفادة الأخوة بين المسلمين والمسلمات بصبغة الإيمان واتحاد ملة التوحيد والتصديق بالرسول والكتب السماوية المنزلة ورجاء فضل الله في النشاطين.

(١) سورة الأحقاف ١٢.

(٢) سورة النساء ٢٥.

(وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).

وقال : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه^(١).

وتبعث الآية المسلمين على التراحم بينهم ، وإشاعة الألفة والمودة والمحبة بين الأزواج ، لتكون الآية من مصاديق قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ **إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**^(٢).

ومن إعجاز آية البحث الإلتفات إذ ابتدأت آية البحث بصيغة الغائب ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ثم انتقلت إلى صيغة الخطاب ، ولا يختص الأمر بالبلاغة بل له دلالات منها قانون الترغيب بالدعاء ، وأن الإستجابة لعموم المسلمين من الأجيال المتعاقبة من آدم وإلى يوم القيامة .

أما لغة الخطاب فهي خاصة بالمهاجرين والأنصار وأجيال المسلمين . ثم عادت الآية إلى لغة الغائب ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لذكر خصوص الأذى الذي لاقاه المهاجرون والأنصار ، ومن تعرض لمثله من أتباع الرسل وعموم المسلمين والمسلمات .

وهل يختص دخول الجنة بهم ، الجواب لا ، إنما يشمل كل الذين ذكرتهم آية البحث والآيات المشابهة لها بشرط الإيمان والعمل الصالح ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾^(٣).

(١) تفسير ابن كثير ٣٦٠/٧.

(٢) سورة الروم ٢١.

(٣) سورة الكهف ١٠٧.

لقد ابتدأت آية البحث بالإخبار بصيغة القطع عن استجابة الله عز وجل ، واختتمت الآية بأن دخول المؤمنين الجنة بفضل وثواب وجزاء من عند الله ، وأن هذا الثواب لا يقدر عليه إلا هو سبحانه .
وورد في آخر الآية قانون عام يتغشى الملائكة والإنس والجن بأن الله عز وجل عنده حسن الثواب .

قانون توارث الإيمان

تدل آية البحث على أن الله عز وجل يسمع الدعاء ، ويجزي عليه بالفضل والثواب العظيم ، لتبعث الآية المسلمين على الإجهاد في الدعاء بخصوص مضامين هذه الآية ، وما هو أعم .
وتبين الآية أن ما يحدث للمؤمنين وذويعهم لا يختص بقانون العلة والمعلول ، والسبب والمسبب وحده ، بدليل الإستجابة المطلقة من الله عز وجل لدعائهم ، وقضاء حوائجهم .

وتبين الآية الأخوة والإتحاد بين المسلمين والمسلمات بقوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ وفي الحرف الجر (من) إشارة لتوارث الإيمان ، وتبادل المعارف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المؤمنين والمؤمنات وكيف أنهم أمة واحدة يجمعهم التوحيد والتصديق بالنبوة وأداء الصلاة خمس مرات في اليوم ، وصيام شهر رمضان إذ يتلقون إطلالة الصيام مثلاً بالغبطة والإستبشار مع ما فيه من التكليف والإمتناع عن الأكل والشرب طيلة أيامه ، واتبان الفرائض العبادية الأخرى .

ليكون هذا التلقي إعجازاً وشاهداً على امتلاك الله عز وجل للنفوس في خلجاتها من عمومات قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَسَبِّحَ لَهُ الْحَقُّ أَوْ كَمْ يُكْفِرُ بِكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

ومن معاني الآية أعلاه رؤية وإدراك المسلمين لمصاديق استجابة أدعيتهم في الحياة الدنيا ، التي تدل عليها (الفاء) في فاستجاب لإفادتها الفورية في استجابة الله عز وجل للمؤمنين ، وفيه تأديب للمسلمين بالمبادرة إلى الدعاء ، وبالتعجيل في فعل الخيرات لإرادة الثواب ، قال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ومن الإعجاز الغيري للآية التأكيد على اليوم الآخر وأنه حق ، ومن الآيات أن ذكر الآخرة ورد في الآية بذكر النعيم ، والجنات بصيغة الجمع وكيف أن الأنهار تجري من تحتها مع بيان اختصاص المؤمنين بها ، ومنهم الذين هاجروا وصبروا وجاهدوا في سبيل الله .

ومن خصائص الجنة خلوها من المنغصات والرزايا ومن وسوسة إبليس وأسباب ومقدمات الفتنة والإفتتان ، ولا يلحق أهلها تعب أو كدورة.

واختتمت الآية بترغيب الناس جميعاً بالثواب العظيم بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٢) ، الذي عند الله وحده ، ولا يقدر عليه غيره .

وليبيان قانون باب الله لا يغلق ، فيلجأ الإنسان إلى الله عز وجل في حال الرخاء والشدة ، أما حال الرخاء فلاستدامته وزيادته لقوله تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣) ، وأما حال الشدة والضراء فلدفعها ومحوها .

وفي سبب نزول آية البحث ورد (عن سلمة بن عمرو بن أبي سلمة ، رجل من ولد أم سلمة قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله لا أسمع الله

(١) سورة آل عمران ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران ١٩٥.

(٣) سورة إبراهيم ٧.

ذكر النساء في الهجرة بشيء ، فأُنزل الله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى﴾^(١) (٢).

وموضوع الآية أعم من الهجرة وأسباب النزول ، والمدار على عموم معنى ودلالة كلمات الآية ومن أسرار الآية القرآنية بقاؤها غضة طرية تتجلى مصاديقها والشواهد عليها في كل زمان .

من غايات الآية

وفيها مسائل :

الأولى : بيان قانون من الإرادة التكوينية ، وهو الدنيا دار الإستجابة من عند الله عز وجل لأدعية المؤمنين ، وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٣).

الثانية : ترغيب الناس بالدعاء .

الثالثة : قانون سرعة الاستجابة من الله عز وجل بدليل أمرين :

الأول : مجئ الإخبار عن إستجابة الله لأدعية المؤمنين حالما نطقوا بها ، فليس ثمة مسافة وفترة وتراخ بين قوس صعود الدعاء ، وقوس نزول الإستجابة .

الثاني : إبتداء الآية بحرف العطف الفاء الذي يفيد الفورية والتعقيب من غير فترة ، كما لو قلت : أذن الأذان فصلينا الظهر .

الرابعة : وجوب التوجه بالدعاء إلى الله عز وجل والإستعانة به سبحانه ، وفيه حرب على الشرك ومفاهيم الضلالة ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ أَضَلُّ

(١) سورة آل عمران ١٩٥.

(٢) الواحدي / أسباب نزول القرآن ٤٨/١ .

(٣) سورة الفرقان ٧٠.

مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿١﴾

الخامسة : بيان منافع الدعاء الدنيوية والآخروية ، فليس من عمل يجلب الخير والبركة على الإنسان مثل الدعاء ، وأداء الواجبات العبادية .

السادسة : ثناء الله عز وجل على الذين يدعونه ، فهذا الدعاء عنوان رجحان العقل والإيمان ، لذا قال تعالى ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢) .

السابعة : تدعو آية البحث الناس للرجوع إلى الآيات السابقة ومضامين الدعاء فيها ، وهو شاهد على الترابط والتداخل بين آيات القرآن ، لبيان السعة في مدرسة الاستجابة ، وأن الله عز وجل يهيئ الكثير جزاء على القليل ، قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ (٣) .

الثامنة : بيان أن الدنيا دار امتحان وابتلاء ، ومع أن السموات والأرض وما بينهما ملك لله عز وجل فان طريق الإيمان ليس معبداً ، إذ يلاقي المؤمنون الأذى من المشركين ، والعناء في إزاحة المعوقات دون أدائهم الفرائض العبادية ويتجلى أذى المؤمنين في الآية من وجوه :

الأول : الهجرة ومفارقة الأهل والأحبة ، ومرابض الصبا إلى جانب مخاطر وآفات الطريق ، والإقامة في دار الغربة ، وصعوبة الكسب والمعيشة .

الثاني : قيام المشركين بتعذيب المسلمين لحملهم على ترك دينهم كما في بلال ، وعمار بن ياسر ووالديه ، وخباب بن الأرت وغيرهم في مكة .

الثالث : هجوم المشركين على المدينة بعد الهجرة لإرادة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، كما في معركة بدر وأحد والخندق .

(١) سورة الأحقاف ٥٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٠ .

(٣) سورة الأنعام ١٦٠ .

الرابع : ويدل قوله تعالى في آية البحث ﴿وَقَاتِلُوا﴾ بصيغة الخبر على الدفاع ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يبدأ قتالاً ، إنما يقف بين الصفين منادياً بالإيمان بقوله بأعلى صوته (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) وهو من عمومات قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْبَارِئِينَ﴾^(١) والمنادي في الآية أعلاه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

التفسير

تفسير ﴿فَاسْتَجَابَ﴾

ابتدأت آية البحث بحرف الفاء الذي يفيد التعقيب والترتيب ذا صبغة الفورية ، فليس بين قيام المؤمنين بالدعاء وبين استجابة الله عز وجل لهم فترة أو مدة ولصدور الأدعية الواردة في الآيات السابقة من المسلمين كل يوم وفي أجيالهم المتعاقبة فإن إستجابة الله عز وجل لهم متجددة على نحو يومي لبيان قانون لا يحصي استجابة الله لأدعية المسلمين والمسلمات إلا الله عز وجل .

وورد لفظ ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ ثلاث مرات ، والآيتان الأخريان هما :

الأولى : قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).

الثانية : قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٩٣.

(٢) سورة يوسف ٤٣.

(٣) سورة الأنفال ٩.

في دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عشية وصيحة يوم معركة بدر في اليوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة.

ويدل هذا التعدد على فضل الله عز وجل على المؤمنين في سرعة استجابته وفيه حث للمسلمين للتوجه إلى سلاح الدعاء ، ورجاء المسألة وقضاء الحاجات من الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١).

ومن الإعجاز في الآية أعلاه ورودها بلفظ (عبادي) وهو سور الموجه الكلية الشامل للناس جميعاً.

وفي ذات الآية أعلاه وموضوع الدعاء فيها دعوة للناس للإيمان والاستجابة لأوامر الله عز وجل .

وهل يشترط الإيمان بالله عز وجل إلهاً ورباً لقبول الدعاء والاستجابة له ، الجواب نعم ، وهو الذي تدل عليه آية البحث بتعقب الإستجابة لإلحاح المسلمين بالدعاء ، وتقديم النداء بالربوبية المطلقة لله عز وجل (ربنا) ودلالاتها على التسليم بأن مقاليد الأمور كلها بيد الله عز وجل.

وفي رد دعاء الكافرين عند شدة حاجتهم له وهم في نار جهنم ، قال تعالى ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٢).

وخاتمة الآية أعلاه من قول الملائكة خزنة النار وهو الظاهر ، و(عن ابن عباس قال : ما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال؛ لأن أصواتهم تحجب عن الله تعالى)^(٣).

(١) سورة البقرة ١٨٦.

(٢) سورة غافر ٥٠.

وهل يمكن القول إنحصار حجب دعاؤهم في الآخرة لعدم إيمانهم بها ،
 أم أن حجب دعائهم مطلق يشمل الحياة الدنيا والآخرة .
 المختار هو الثاني لوحدة الموضوع في تنقيح المناط لإقامتهم على الكفر ،
 ولقانون الملازمة بين الإيمان واستجابة الدعاء .

ومن فضل الله عز وجل نزول الإستجابة حال صدور الدعاء بدلالة
 الفاء في ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ والتي تفيد التعقيب الفوري وليس ثمة فترة بين دعاء
 المسلمين والإستجابة من الله ، ولم يؤخر الله عز وجل الإستجابة لحين
 الإلحاح بالأدعية ، ترى أيهما أكثر مواضع الدعاء أم الإستجابة ، الجواب
 هو الثاني .

ليبان قانون النسبة بين الدعاء والإستجابة عموم وخصوص مطلق ،
 فالإستجابة أعم وأكثر .

وفي الآية بشارة لكل مسلم ومسلمة يتلوان هذه الآيات بأن تأتيهم
 الإستجابة والوعد من الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿لَمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ
 الْعَامِلُونَ﴾^(٢).

وهل تختص استجابة الله عز وجل للمسلمين بمضامين الآيات الأربعة
 المتقدمة ، الجواب لا ، إذ تبين آية البحث قانون سرعة الإستجابة في
 الحاجات الخاصة والعامة ، ولأموال الدين والدنيا .

وفي آية البحث دعوة للناس جميعاً للدعاء من وجوه :

الأول : الأدعية الواردة في القرآن .

الثاني : الأدعية المأثورة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل
 البيت عليهم السلام والصحابة .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٧١/٧.

(٢) سورة الصافات ٦١.

الثالث : مطلق الدعاء ، ومن مصاديق اسم الله (السميع) أنه يسمع كل دعاء وبأي لغة ولهجة .

التفسير بالتقدير

يكون تقدير الآية على وجوه :

الأول : فاستجاب لهم ربهم) الله عز وجل .

الثاني : فاستجاب لهم ربهم) ولا يستطيع الإستجابة في مسائل الدعاء المتقدمة في هذه الآيات إلا الله عز وجل .

الثالث : فاستجاب لهم ربهم) بفضل و لطف منه تعالى .

الرابع : فاستجاب لهم ربهم حالما سألوه حاجاتهم .

الخامس : فاستجاب لهم ربهم) لأموال الدنيا والآخرة .

السادس : فاستجاب لهم ربهم) سؤالهم ﴿فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

السابع : فاستجاب لهم ربهم) بالنجاة من دخول النار والحزى الذي يصاحبه .

الثامن : فاستجاب لهم ربهم) وغفر لهم ذنوبهم .

التاسع : فاستجاب لهم ربهم) وكفر عنهم سيئاتهم .

العاشر : فاستجاب لهم ربهم) وتوفاهم مع الأبرار .

الحادي عشر : فاستجاب لهم ربهم) وآتاهم ما وعدهم على السنة

رسله ، ولم يرد قوله تعالى ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾^(٢) إلا في الآية السابقة لبيان

موضوعية دعاء المؤمنين واستجابة الله عز وجل لهم .

الثاني عشر : فاستجاب لهم ربهم) فلا يخزيهم يوم القيامة ، وعن جابر

بن عبد الله الأنصاري (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "العار

(١) سورة آل عمران ١٢١.

(٢) سورة آل عمران ١٩٤.

والتخزية تبلغ من ابن آدم في القيامة في المقام بين يدي الله، عز وجل، ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار^(١).

الثالث عشر : فاستجاب لهم ربهم الله الذي لا يخلف الميعاد .

الرابع عشر : فاستجاب لهم ربهم وللذين آمنوا إلى يوم القيامة .

الخامس عشر : فاستجاب لهم ربهم يا أيها الذين آمنوا اجتهدوا بالدعاء ليستجيب الله لكم .

السادس عشر : فاستجاب لهم ربهم وهو الذي يستجيب لكم أيها المسلمون .

السابع عشر : فاستجاب لهم ربهم في أمور الدنيا والآخرة ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾^(٢).

الثامن عشر : فاستجاب لهم ربهم الذي جعل الدنيا دار الدعاء .

التاسع عشر : فاستجاب لهم ربهم الذي يحب من عباده الدعاء ، وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٣).

العشرون : فاستجاب لهم ربهم الذي جعل الدنيا دار الإستجابة لأمر الدنيا والآخرة .

الواحد والعشرون : فاستجاب ربهم الله الذي يسمع الدعاء ﴿إِنْ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(٤).

الثاني والعشرون : فاستجاب لهم ربهم لصدق إيمانهم ، وفي التنزيل ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

(١) تفسير ابن كثير ١٨٧/٢.

(٢) سورة النجم ٢٥.

(٣) سورة الفرقان ٧٧.

(٤) سورة إبراهيم ٣٩.

(٥) سورة يونس ٨٥.

الثالث والعشرون : فاستجاب لهم ربهم) حالما توجهوا إليه بالسؤال بدلالة الفاء في ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾.

الرابع والعشرون : فاستجاب لهم ربهم) ليتجلى قانون دلالة الإستجابة على حب الله للداعي من المؤمنين ، وهل يلحق به تالي هذه الآيات من القرآن ، الجواب نعم .

الخامس والعشرون : فاستجاب لهم ربهم) وهو أرحم الراحمين ، وفي التنزيل ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١).

السادس والعشرون : فاستجاب لهم ربهم) شكراً لهم لإفتتاح الدعاء بالثناء على الله ، والإقرار بعظيم قدرته وسلطانه ، لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢).

السابع والعشرون : فاستجاب لهم ربهم) وزاد عليهم من فضله بقوله ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَىٰ﴾^(٣) لبيان قانون اجتماع الإستجابة مع فضل من الله عز وجل ، وهل الدعاء من العمل المذكور أعلاه ، الجواب نعم .

الثامن والعشرون : فاستجاب لهم ربهم) لبيان المائز بين المؤمنين والكفار ، إذ يختص المؤمنون بالفوز باستجابة الله لدعائهم ، وفي التنزيل ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٤).

(١) سورة المؤمنون ١١٨.

(٢) سورة آل عمران ١٩١ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

(٤) سورة الرعد ١٤.

التاسع والعشرون : فاستجاب لهم ربهم) ليبدأوا أدعية جديدة أخرى فان الله عز وجل يحب الإلحاح بالدعاء .

الثلاثون : فاستجاب لهم ربهم) واستجاب ويستجيب لغيرهم ، وخزائن الله في إزدياد في كل ساعة من ساعات الدنيا والآخرة ، وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١).

الواحد والثلاثون : فاستجاب لهم ربهم) لأنه لا يرد الدعاء والمسألة .
الثاني والثلاثون : فاستجاب لهم ربهم) جزاء على إلحاحهم بالدعاء ، وتكرار النداء (ربنا) إذ يدل هذا التكرار على الإنقطاع إلى الله عز وجل ، إذ ورد النداء (ربنا) خمس مرات في الآيات الأربعة السابقة.

الثالث والثلاثون : فاستجاب لهم ربهم) الذي لا يخيب المؤمنين في آمالهم ورغائبهم.

الرابع والثلاثون : فاستجاب لهم ربهم) لأنه لا يخيب الظن به .
الخامس والثلاثون : فاستجاب لهم ربهم) ليزدادوا إيماناً .
السادس والثلاثون : فاستجاب لهم ربهم) لما في حيز هذه الآية من الأدعية التي تقدمت ، وزاد عليهم من فضله بقوله تعالى ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾^(٢).

السابع والثلاثون : فاستجاب لهم ربهم) بالنجاة من الخزي يوم القيامة ، والنسبة بين الخزي يوم القيامة وبين الخزي بدخول النار عموم وخصوص مطلق ، فالخزي يوم القيامة أعم .
لتتضمن هذه الآية الإستجابة للخاص والعام ، إذ نزلت بالبشارة بمغفرة ذنوب المؤمنين ، ولبشهم الدائم في جنات النعيم .

(١) سورة المنافقون ٧.

(٢) سورة آل عمران ١٩٥.

الثامن والثلاثون : فاستجاب لهم ربهم) يا أيها الناس امتنعوا عن محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام .

بحث نحوي

تأتي الفاء وفق الصناعة النحوية على وجوه :

الأول : فاء العطف سواء بعطف اسم على اسم ، أو جملة على جملة فعلية أو اسمية مثل ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^(١).

الثاني : فاء الاستئناف ، وهي التي لا يصح عطف ما بعدها على ما قبلها ، كما في الفاء في قوله تعالى ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(٢) والمختار قد تكون (الواو) أو (الفاء) للعطف والاستئناف معاً .

الثالث : رابطة لجواب الشرط مثل ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٣).

الرابع : الفاء السببية مثل قوله تعالى ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٤).

الخامس : فاء التعليل ، ويكون ما بعدها سبباً وعلة لما قبلها وهو حرف بمعنى لأجل مثل الفاء في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾^(٥).

(١) سورة الإنفطار ١٣-١٤.

(٢) سورة الأنبياء ٥٠.

(٣) سورة البقرة ٨١.

(٤) سورة البقرة ٢٨٦.

(٥) سورة الأنعام ٣٣.

السادس : الفاء المتصلة بفعل الأمر ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١).

السابع : للتوكيد مثل ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾^(٢).

الثامن : فاء زائدة لتحسين اللفظ والتي تدخل على حسب ، قط ، صاعداً ، فنقول فحسب ، فقط فصاعداً .
وتفيد الفاء العاطفة على وجوهاً :

الأول : التعقيب كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾^(٣).

الثاني : الترتيب ، قال تعالى ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾^(٤).

الثالث : وحدة الحكم في المعطوف والمعطوف عليه ، وقد يتعدد المعطوف ، ولكن المعطوف عليه يبقى واحداً ، قال تعالى ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥).
فالمعطوف عليه هو داود .

ويسمى الاسم الذي قبل حرف العطف (المتبوع) ويسمى الذي بعده التابع وهو المعطوف .

وليس من برزخ وحاجز طولي للإنتفاع من لغة العطف في التنزيل ، قال تعالى ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾^(٦).

(١) سورة الأعراف ١٨٠.

(٢) سورة المدثر ٣-٤ .

(٣) سورة المؤمنون ١٤.

(٤) سورة الذاريات ٢٦ .

(٥) سورة الأنعام ٣٤.

(٦) سورة النور ١٠.

قانون تعدد معاني (الفاء) في الكلمة الواحدة

تأتي الفاء للتمني في قوله تعالى ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١)، والترجي كما في قوله تعالى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾^(٢)، أو التحضيض كما في قوله تعالى ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ﴾^(٣)، والنفي كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كُفُورٍ﴾^(٤).

وتعدد معاني الحرف الواحد في اللغة العربية من أهليتها لتكون الوعاء اللساني لآيات القرآن، نعم التقسيم أعلاه استقرائي من علماء النحو، وقد يأتي الحرف الواحد في آية واحدة ويتضمن أكثر من معنى، فيشمل معنى العطف والإستثناف وأيضا السببية والتوكيد أو الحال وغيرها من غير تعارض بينها، إنما لتعدد معنى الحرف القرآني بحسب تعدد الموضوع والحكم.

هل للدعاء شروط

من فضل الله عز وجل في الدعاء والإستجابة له الفوز بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن (أبا الدرداء يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سمع النداء قال: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، صل على محمد عبدك ورسولك، واجعلنا في شفاعته يوم القيامة)^(٥)، لبيان وجوه:

الأول: قانون ملائمة كل الأوقات للدعاء.

(١) سورة النساء ٧٣.

(٢) سورة عبس ٣-٤.

(٣) سورة المنافقون ١٠.

(٤) سورة فاطر ٣٦.

(٥) الطبراني / المعجم الأوسط ١٥٩/٣.

الثاني : قانون الترغيب بالدعاء في أوقات مخصوصة منها عند الأذان ودبر الصلوات المكتوبة لصلاة الفجر وصلاة الظهر .

الثالث : قانون استجابة الله للدعاء لطف منه تعالى .

وقيل لأبد من شروط الدعاء ، وانتفاء موانع الاستجابة ، وجاءت الآيات مطلقة ، قال تعالى ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾^(١).

وورد تخصيص للدعاء في القرآن قال تعالى في ذم الذين كفروا ، ورد دعائهم ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٢) ، وفي رد الملائكة على أهل النار ﴿قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٣) ، ومنهم من أكثر من شروط الدعاء ، وأكثرها من المستحبات وكمال الدعاء منها :

الأول : الإبتداء بالحمد لله والثناء عليه .

الثانية : الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : اليقين في الإستجابة .

وقال الإمام علي عليه السلام (من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً : من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول ، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة وتصديق ذلك كتاب الله تعالى قال الله عزوجل في الدعاء ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤)^(٥).

الرابع : الإلحاح في الدعاء ، وهو أمر حسن ، وشاهد على الإنقطاع إلى الله .

(١) سورة البقرة ١٨٦.

(٢) سورة الرعد ٢٤.

(٣) سورة غافر ٥٠.

(٤) سورة غافر ٦٠.

(٥) سورة غافر ٥٠.

الخامس : الدعاء في الرخاء والشدة ، وعدم الإنقطاع عن الدعاء في حال السعة والرفاه .

السادس : حضور القلب في الدعاء .

نعم لابد من إجتنب الدعاء على الأهل والمال والولد (عن أبي سعيد . أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال ، إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا : إذا نكث قال الله أكثر)^(١) .

ويجب التنزه عن الرياء ، ليكون الدعاء والسؤال لله عز وجل وحده ، ولابد من العمل في مرضاة الله عز وجل ومنه الدعاء ، لأن الإستجابة تقدمت العمل ، فمن إعجاز آية البحث ابتداؤها بالإستجابة ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ .

قانون الوعد العام

أخبرت آية البحث عن وعد كريم من عند الله عز وجل بقوله تعالى ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى﴾^(٢) وهل هو مما وعد الله عز وجل المسلمين على السنة الرسل .

الجواب نعم ، لبيان الأجر والثواب في الهجرة ، وتحمل مشاق ومخاطر الطريق ، والمستقبل المجهول في الجملة عند العزم على الهجرة وعناء الغربة لبيان قانون الثواب العظيم على الهجرة في طاعة الله .

وقانون لزوم تعاهد سلامة الدين في طاعة الله بالهجرة ، وعدم إنحصار هذا الثواب بالهجرة إنما يأتي بأداء الفرائض العبادية من الصلاة والزكاة

(١) الدر المنثور ١/٣٩٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

والصيام والحج ، لبيان قانون الهجرة في سبيل الله أمان من الخزي يوم القيامة ، ولاستدامة العمل بأحكام الآية القرآنية بسنن العبادة والصلاح. لقد تضمنت آية البحث البشارة بدخول الجنة للذين هاجروا في سبيل الله ، والذين أخرجهم الذين كفروا من ديارهم ، والبشارة للذين أودوا في سبيل الله واستشهدوا بالمغفرة ودخول الجنة ، ليدل بالدلالة التضمنية على نجاتهم من الخزي يوم القيامة ، هذا الخزي الذي استعاذ منه كل مسلم ومسلمة كما في آية السياق .

ليبان فضل الله عز وجل على المسلمين بهدايتهم إلى الاستعاذة من الخزي يوم القيامة ، وما تدل عليه من الإقرار بالمعاد ، وهو من شرائط الإيمان وأصول الدين ، وواقية من الخوف والحزن يوم القيامة يوم يخاطب الله المتقين ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(١).

وتشمل البشارة بالأمن من دخول النار جميع المؤمنين الذين يتلون آية السياق والتي تتضمن سؤال السلامة من الخزي والعار والفضيحة يوم القيامة لابتداء آية البحث بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾.

وقد تقدم في الجزء الثاني والستين بعد المائتين والذي اختص بتفسير آية السياق بأن النسبة بين الخزي يوم القيامة وبين دخول النار عموم وخصوص مطلق ، فقد يلحق الإنسان الخزي في بعض مواطن يوم القيامة ، كأن يعرف بعلامة في وجهه أو بدنه ، ويعلم أهل المحشر أن كل علامة يومئذ تدل على أمر وفعل أما حسن أو سيئ .

وعن (عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ﴿سَيَمَاهُمْ فِي جُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٢) قال : النور يوم القيامة)^(٣).

(١) سورة الزخف ٦٨.

(٢) سورة الفتح ٢٩.

(٣) الدر المنثور ٩/٢٣٥.

وفي ذم الكفار قال تعالى ﴿وَحَشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصَمًا مَّا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زُدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(١).

و(حديث أنس أن رجلا قال : يا رسول الله الذين يحشرون على وجوههم أيحشر الكافر على وجهه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أليس الذي أمشاه على الرجلين قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة)^(٢).

قانون الدعاء نعمة عظيمة

لقد ذكرت في الجزء الثاني من كتابي الموسوم (قوانين البرزخ) (وهل قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ من العام أم الخاص ، الجواب إنه من العام من جهات)^(٣)، ومن هذه الجهات :

الأولى : قال تعالى ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤)، والنسبة بين رحمة الله واستجابته للدعاء عموم وخصوص مطلق ، فالرحمة أعم .

الثانية : لو دار الأمر بين الإطلاق والتقييد ، فالأصل هو الإطلاق.

الثالثة : تمام الآية أعلاه هو ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٥).

وورد التقييد بحجب دعاء الذين كفروا لظلمهم لأنفسهم .

ولم يرد لفظ (ادعوني) (استجب) (سيدخلون) في القرآن إلا في الآية

أعلاه ، كما ورد قوله تعالى ﴿دَاخِرِينَ﴾ مرتين في القرآن والثانية في قوله

(١) سورة الإسراء ٩٧.

(٢) تفسير القرطبي ٢٩٠/١٠.

(٣) انظر قوانين البرزخ ٢٢١/٣ .

(٤) سورة الأعراف ١٥٦.

(٥) سورة غافر ٦٠.

تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنَعِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ﴾^(١).

ومعنى داخرين أي صاغرين أذلاء ، لبيان أن النسبة بين عامة الناس والكافرين يوم القيامة في هذه الباب هي العموم والخصوص المطلق ، فكل الناس يبعثون داخرين خاشعين لله عز وجل ، وينفرد الكفار الذين يمتنعون عن عبادة الله عز وجل بملازمة الصغار والذل لهم ويدخلون النار في ذات الصغار والذل .

وهل تتعارض حال داخرين مع قوله تعالى ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) ، بالنسبة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، الجواب لا ، فالخضوع والخشوع مصاحب للناس جميعاً يوم القيامة ، ولكن الصغار والذل لا يصاحب المؤمنين عند دخولهم الجنة .

الرابعة : تقدير الأمر العام (ادعوني) هو يا أيها الناس ادعوني .

الخامسة : بيان قانون الملازمة بين العبادة والدعاء .

و(عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدعاء تلو العبادة ، ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾^(٣) قال : عن دعائي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٤) هل تدرون ما عبادة الله؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : هو اخلاص الله مما سواه)^(٥).

(١) سورة النمل ٨٧ .

(٢) سورة يونس ٦٢ .

(٣) سورة غافر ٦٠ .

(٤) سورة غافر ٦٠ .

(٥) الدر المنثور ١٧/٩ .

السادسة : الإطلاق في موضوع استجابة الله عز وجل للدعاء ويكون تقدير ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ على وجوه منها :

الأول : استجب لكم في ذات موضوع الدعاء .

الثاني : استجب لكم تمام الإستجابة أي على نحو الموجبة الكلية .

الثالث : استجب لكم في غير موضوع الدعاء ، وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

الرابع : قانون لا يقدر على استجابة الدعاء إلا الله عز وجل .

الخامس : قانون دلالة الدعاء على التباين بين المؤمن والكافر ، إذ يسارع المؤمن للالتجاء إلى الله عز وجل بحاجاته الدنيوية والأخروية ، أما الكافر فينظر إلى ما هو أمامه مجرداً ، يأخذ العناد والإستكبار فيحرم نفسه من أمور :

الأول : الدعاء .

الثاني : العبادة .

الثالث : استجابة الله للدعاء .

الرابع : الأجر والثواب بالدعاء واستجابته .

السابعة : هل تختص استجابة الدعاء بأوانه ، الجواب لا ، وهو من مصاديق الإطلاق في قوله تعالى ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وتقدير الآية : استجب لكم اليوم وغداً ، في موضوع الدعاء وغيره .

الثامنة : قانون الدعاء نعمة عظمى على الفرد والجماعة .

فلا يختص صاحب الدعاء بالانتفاع منه ، بل يشمل ذريته وذويه ، لقانون الدعاء كنز وثروة وتركه كريمة .

وهل يحضر الدعاء مع صاحبه في القبر عند مساءلة منكر ونكير ، الجواب نعم ، بفضل ولطف من عند الله عز وجل .

وعن الإمام الصادق عليه السلام (قال : إذا دخل المؤمن في قبره ، كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مظل عليه ويتنحى الصبر ناحية ،

فإذا دخل عليه المملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبر : دونكم صاحبكم ، فإن عجزتم عنه فأنا دونه^(١).

ولا يعني هذا أن الصبر أعلى مرتبة وأكثر نفعاً من الصلاة والزكاة ، فالصلاة والزكاة أعم لأنهما مصداق العبادة وعلة خلق الإنسان ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) ، ولكن المراد من الخبر أعلاه أن الصبر يتم منافع الصلاة والزكاة خاصة ، ومن معاني الصبر الصيام ، قال تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٣).

وهل المراد من الصبر في الحديث أعلاه هو الصيام ، الجواب إنه أعم ، ومنه الإقامة على الدعاء وعدم مغادرة مقاماته من الصبر .
(و) عن جابر بن عبد الله قال : قيل يا رسول الله أي الإيمان أفضل ، قال : الصبر والسماحة ، قيل : فأَي المؤمنين أكمل إيماناً ، قال : أحسنهم خلقاً^(٤).

النسبة بين الذكر والدعاء

النسبة بين ذكر الله وبين الدعاء عموم وخصوص مطلق ، فالذكر أعم ، وذات الدعاء ذكر لله فجاءت آية السياق بذكر المؤمنين لله عز وجل على كل حال من القيام والقعود والإستلقاء ، لا يوقفهم عن الذكر إلا النوم الذي يستقبلونه بالذكر والتسبيح ، وحالما يفارقهم النوم يلجأون إلى الذكر والدعاء ليجدوا الإستجابة والأجر والثواب من عند الله عز وجل .

لقد ذكرت آية البحث عمل المسلم والمسلمة الذي لا يضيعه الله عز وجل ، ومنه الذكر في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

(١) الكليني / الكافي ١٣٦/٢ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

(٣) سورة البقرة ٤٥ .

(٤) الدر المنثور ١٠٧/١ .

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١﴾، الجواب نعم .

وقال رجل (يا رسول الله، ذهب أهل الدثور^(٢) بالأجور، فقال : أرايت لو عمد إلى متاع الدنيا، فركب بعضها على بعض أكان يبلغ السماء ، أفلا أخبرك بعمل أصله في الأرض وفرعه في السماء .

قال : ما هو يا رسول الله ، قال : تقول : لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله ، عشر مرات في دبر كل صلاة، فذاك أصله في الأرض وفرعه في السماء^(٣)).

ومن لطف الله عز وجل بالناس أنه أمرهم بذكره ووعدهم بالإحسان والثواب على هذا الذكر ويحمل الذكر في قوله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٤)، على الوجوب لترغيب الناس بذكر الله ، ونزول الرزق الكريم والثواب عليهم .

ومن خصائص ذكر الله أنه باعث على العمل في طاعة الله ، وحصانة من ارتكاب المعاصي ، وفي التنزيل ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(٥).

و(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٦) يقول : اذكروني يا معاشرة العباد بطاعتي أذكركم بمغفرتي)^(١).

(١) سورة آل عمران ١٩١.

(٢) الدثور : -بفتح الدال- المال الكثير .

(٣) تفسير ابن كثير / السيرة النبوية ٤/ ٤٩٢ .

(٤) سورة البقرة ١٥٢.

(٥) سورة آل عمران ١٣٥.

(٦) سورة البقرة ١٥٢.

ليان أن الذكر في الآية أعلاه أعم من الذكر باللسان والقول ، إنما يشمل اتيان الفرائض والواجبات العبادية ، وهي أعم من الدعاء ومقدمة لإستجابة الدعاء ، وباب لنزول الفضل الإلهي ، وواقية في عالم البرزخ ويوم القيامة.

قانون الفوز بالإستجابة

تدل آية البحث على أمور :

الأول : فوز المسلمين بمضامين الأدعية والمسائل الواردة في هذه الآيات بتلاوتهم لها في الصلاة وخارجها .

الثاني : الأجر والثواب للمسلمين لقراءتهم هذه الآيات بصيغة القرآنية ، وفيه بعث لتلاوة القرآن .

الثالث : فوز المسلمين والمسلمات بالأدعية الأخرى الواردة في القرآن ، ومنها أدعية الأنبياء مثل دعاء إبراهيم عليه السلام في التنزيل ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِنِي بِالصَّالِحِينَ* وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ* وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ* وَاعْفُرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٢).

ومثل دعاء موسى عليه السلام في التنزيل ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٣).

(١) الدر المنثور ١/ ٢٩٦.

(٢) سورة الشعراء ٨٣-٨٩.

(٣) سورة طه ٢٥-٢٨.

الرابع : محاكاة المسلمين للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أدعيته الماثورة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١).

الخامس : الأدعية للحاجات الخاصة لكل مسلم ومسلمة مما يهمه من أمور الدين والدنيا .

السادس : من معاني صيغة الجمع في الآية استحباب دعاء المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب أو بحضوره .

السابع : التأمين على الدعاء بقول (أمين) بعد الدعاء وهو مستحب ، ولا يشرع التأمين على الدعاء الوارد في المسجل والتلفاز ، ولكنه جائز أيضاً.

وفي قوله تعالى ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾^(٢) ، كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمن له دعائه بقوله (أمين) ليشارك معه في الدعاء وأجره . وبخصوص الأدعية الواردة في هذه الآيات ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (أنه قال من دعا بهذه الدعوات فإنه يستجاب له ، لأنه قال تعالى ﴿فَاسْتَجَبَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾)^(٣).

ابتدأت الآية بحرف الفاء وهي للعطف والإستئناف ومعناها التعقيب ، وتفيد الترغيب بلا مهلة ، فليس ثمة فترة بين دعاء المؤمنين وبين استجابة الله ، وفيه ترغيب بالدعاء ، واللجوء إليه في حال السراء والضراء ، والبشارة بسرعة استجابة الله ، وإنعدام المانع الذاتي والغيري لها ، فقد يظن الإنسان أن تقصيره يمنع استجابة الدعاء ، أو وجود موانع خارجية تحول دونها ، فنزلت آية البحث لتفيد بالدلالة التضمنية القطع بسرعة استجابة الله

(١) سورة الأحزاب / ٢١.

(٢) سورة يونس / ٨٩.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي / ١ / ٣٥٣.

عز وجل وفيه حجة على الذين كفروا لحرمانهم أنفسهم من نعمة الإستجابة ، ودعوة سماوية لهم للتوبة والإنابة .
وهو شاهد على قانون حفظ آيات القرآن نعمة ورحمة للناس جميعاً ، لينهلوا منه ، ويصدروا عنه .

تفسير ﴿لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾

ابتدأت آية البحث بحرف العطف (الفاء) لبيان صلة آية البحث بالآيات السابقة لها ، صلة القبول والإستجابة لما ورد في الآيات السابقة من الدعاء والمسألة ، والله وحده هو القادر على الإستجابة للأدعية الواردة في الآيات السابقة ، لذا كان دعاؤهم باسم الربوبية المطلقة (ربنا) وفيه شاهد على إقرار المسلمين بالتوحيد ، وأنهم يرجون النعم العظيمة من الله عز وجل ، وأعظمها نعمة دخول الجنة يوم القيامة ، والخلود فيها .

لقد تضمنت الآيات الأربعة السابقة سؤال المسلمين والمسلمات من الله عز وجل إدخالهم الجنة والنجاة من النار .

فهل يختص قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَبْ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ، بمضامين ذات الآيات أعلاه ، أم أنه أعم ، الجواب هو الثاني ، وسيأتي في باب تفسير الآية بالتقدير .
لقد وردت الآية بصيغة الغائب فلم تقل فاستجبنا ، لبيان تنجز الإستجابة ، وشهادة الملائكة عليها ، ولأن المؤمنين قدموا الإقرار بالربوبية في أدعيتهم (ربنا) .

وقد ورد لفظ ﴿فَاسْتَجَبْنَا﴾ أربع مرات في الإستجابة للأنبياء ، ففي نوح عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿وَوَحَا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾^(١) ، وفي أيوب عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ

(١) سورة الأنبياء ٧٦ .

نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَابِدِينَ ﴿٢﴾.

ليبيان أن الإستجابة من الله أعم من مضامين الدعاء في ذات الآية والآية التي قبلها ، وفيه شاهد بأن الإستجابة في قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَبَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ، في آية البحث أعم من موضوع الآيات السابقة .

وفي يونس ورد قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ، وفي زكريا ورد قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٣) .

وتتصف هذه المرات الأربعة للإستجابة الفردية بأمور :

الأول : كلها من سورة واحدة هي سورة الأنبياء .

الثاني : اختصاص الاستجابة الفردية فيها لخصوص الأنبياء ، لبيان المنزلة الرفيعة للأنبياء .

الثالث : هل تختص الاستجابة بهؤلاء الأنبياء ، الجواب لا ، إنما جاءت الآيات من باب المثال ، وأن الاستجابة تخترق قاعدة العلة والمعلول ، والسبب والمسبب .

وهل تختص الاستجابة بالأنبياء ، الجواب لا ، بدليل آية البحث التي تفيد الإستجابة العامة للمؤمنين والمؤمنات .

وجاءت آية البحث بصيغة الفعل الماضي (فاستجاب) ، وتحتمل وجوهاً :

(١) سورة الأنبياء ٨٢-٨٣ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٨ .

(٣) سورة الأنبياء ٩٠ .

الأول : الاستجابة للمؤمنين الذين قبلنا .

الثاني : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أيام التنزيل .

الثالث : شمول الآية لأدعية المؤمنين في كل زمان أيضاً .

الرابع : مجئ آيات أخرى تدل على قبول أدعية المؤمنين بعد التنزيل ،

ومنها قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(١) .

والمختار الثالث والرابع أعلاه ، فصحيح أن الآية جاءت بصيغة الفعل الماضي ، ولكنها تدل على استدامة موضوع الإستجابة بفضل من الله عز وجل ، وهو سبحانه إذا أعطى فانه يعطي بالأتم والأكمل .

وقد تأتي صيغة الماضي والمراد منها أفراد الزمان الطولية كلها ، وما هو أعم منها ، كما في قوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢) .

ومن الإعجاز في آية البحث إخبار كلمة واحدة ﴿فَاسْتَجَابْ﴾ لإرادة

جميع أدعية المؤمنين في الآيات السابقة ، وفي التنزيل ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) .

مسائل في آية البحث

الأولى : لقد تضمنت آية السياق الدعاء بتنجز ما وعد الله عز وجل به

على السنة الرسل ، وما نزلت به الكتب ، وسؤال الوقاية والبراءة والسلامة من الخزي يوم القيامة ، ويدل هذا السؤال بالدلالة التضمنية على أمور :

الأول : قانون صدق سعي المسلمين في طاعة الله .

(١) سورة غافر ٦٠ .

(٢) سورة البقرة ٤ .

(٣) سورة البقرة ١٠٦ .

الثاني : قانون وقوف الناس للحساب يوم القيامة ، ليكون ذات السؤال ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ باباً للأجر والثواب .

الثالث : إظهار المسلمين الخوف والخشية من يوم ﴿الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ﴾^(١) فابتدأت آية البحث بالإخبار عن إستجابة الله عز وجل للمسلمين بالنجاة من الخزي يوم القيامة مع البشارة بالجنة ، لبيان انتفاء البرزخ بين الجنة والنار .

الثانية : تقدير الصلة بين أول آية السياق وخاتمة آية البحث (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك والله عنده حسن الثواب) لبيان أن الرسل جاءوا بالبشارة بحسن الثواب في الآخرة ، وتدل عليه خاتمة آية البحث لقوله تعالى ﴿وَزَكَّنَّا لَكُمُ الْكِتَابَ ثَبَاتًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

ومن معاني حسن الثواب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم الدائم في جنات الخلد .

وهل يمكن القول بأن كل رسول جاء بالبشارة للمؤمنين بحسن الثواب ، المختار نعم ، وهو من بركات الرسالة السماوية وتوالي بعثة الأنبياء ، واختتام النبوة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن ، وفيه قانون توثيق استجابة الله عز وجل لأدعية المؤمنين .

الثالثة : لقد تضمنت آية البحث استجابة الله عز وجل لأدعية المؤمنين ، ومجئ هذه الإستجابة بصيغة الفعل الماضي ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ ومن الإعجاز في نظم هذه الآيات مجئ الآيات الأربعة السابقة بصيغة الدعاء والمسألة .

وتكرر فيها نداء الربوبية المطلقة ﴿رَبَّنَا﴾ أربع مرات لبيان تغشي الإستجابة لمضامين الدعاء في هذه الآيات مع النافلة والزيادة من فضل الله

(١) سورة الأنبياء ١٠٣.

(٢) سورة النحل ٨٩.

بتضمن آية البحث الوعد الكريم للمهاجرين والمجاهدين والمرابطين بالمغفرة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^{(١)(٢)}.

التعدد في ﴿غُلَامٌ حَلِيمٌ﴾ و﴿غُلَامٌ عَلِيمٌ﴾

وردت صفة حلیم في القرآن خمس عشرة مرة ، أكثرها لله عز وجل ومنها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٣) ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾^(٤) ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾^(٥). باستثناء شعيب في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(٦) ، وفي إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٧) ، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾^(٨). وفيه تقييد بأن إبراهيم أواه أي دعاء للدلالة على حاجته لرحمة الله عز وجل.

وواحدة في إبراهيم وابنه ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٩).

لتدل الآية على إرادة ابنه الصلبي ، مما يدل على أن (الغلام الحلیم) من صلب إبراهيم واختلف فيه هل هو إسحاق وهو المشهور ، أم إسماعيل ،

(١) سورة آل عمران ١٣٣.

(٢) أنظر الجزء الثامن والتسعين من هذا السفر والذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) سورة البقرة ٢٣٥.

(٤) سورة البقرة ٢٦٣.

(٥) سورة النساء ١٢.

(٦) سورة هود ٨٧.

(٧) سورة التوبة ١١٤.

(٨) سورة هود ٧٥.

(٩) سورة الصافات ١٠١-١٠٢.

وهو المختار .

وقد ورد في صحيحة ابن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام قال (سألناه عن صاحب الذبح ، فقال : إسماعيل عليه السلام وروى عن رسول الله صلى الله عليه واله أنه قال : أنا ابن الذبيحين يعني إسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب)^(١).

ووردت صفة (عليه السلام) مائة وواحدة وستين مرة في القرآن ، أغلبها من الأسماء الحسنى لله عز وجل ، منها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾^(٣) ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٤) ، وتدل على إحاطة الله علماً بكل بكل شئ.

الابن العليم يوسف (ع)

ورد خطاب الملائكة لإبراهيم عليه السلام ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرْهُ بَعْلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(٥) ، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(٦) ، وقال تعالى ﴿إِنِّي حَفِظْتُكَ عَلِيمٌ﴾^(٧) ، وقال فرعونُ أَنُؤْمِنِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ^(٨) ، ﴿يَا تُوكُّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾^(٩) . ويمكن أن نؤسس قاعدة في القرآن وهي إذا تكررت صفة للإنسان ودار الأمر هل المراد بها ذات الشخص أم غيره .

(١) البحار ١٢/١٢٧.

(٢) سورة النساء ٢٦.

(٣) سورة آل عمران ١١٥.

(٤) سورة البقرة ٩٥.

(٥) سورة الذاريات ٢٨.

(٦) سورة الحجر ٥٣.

(٧) سورة يوسف ٥٥.

(٨) سورة يونس ٧٩.

(٩) سورة الشعراء ٣٧.

المختار الأصل هو التعدد إلا مع القرينة لإرادة ذات الشخص وحسب قانون تفسير القرآن بالقرآن .

والمختار أن المراد من ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنَلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(١)، هو يوسف عليه السلام وهو الذي ذكرته في تفسير لسورة يوسف المسجل بدار الكتب والوثائق في بغداد برقم ٢٧٢ لسنة ١٩٩١ .
والقرآن يفسر بعضه بعضاً إذ وصف يوسف نفسه بحضرة ملك مصر الأعظم بأنه ﴿حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وفي صحيحة أبي بصير عن الإمام جعفر الصادق (قال: إن الله أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكراً سوياً مباركاً يبرئ الأكمه والابرص ويحيي الموتى بإذن الله وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدث عمران امرأته حنة بذلك وهي أم مريم .

فلما حملت كان حملها بها عند نفسها غلام فلما وضعتها قالت : رب إنني وضعتها أنثى ﴿وَكَيْسَ الذَّكَرَ كَأَنَّا نُثَى﴾^(٣) أي لا تكون البنت رسولاً يقول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾^(٤)، فلما وهب الله لمريم عيسى كان هو الذي بشر به عمران)^(٥).

ليبان أن البشارة قد تأتي بالواسطة وبعد مرحلة وليس مباشرة .
وورد اسم (حفيظ) إحدى عشرة مرة في القرآن أربعة إرادة اسم من أسماء الله (الحفيظ) كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) سورة الذاريات ٢٨ .

(٢) سورة يوسف ٥٥ .

(٣) سورة آل عمران ٣٦ .

(٤) سورة آل عمران ٣٦ .

(٥) البحار ١١٩/٥٢ .

حَفِيزٌ^(١).

وفي خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ

حَفِيزٌ^(٢).

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ^(٣)﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيزًا^(٤)﴾.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ^(٥)﴾ والأواب الذي رجع إلى الله تائباً مستغفراً.

وفي خطاب للنبي محمد صل ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيزًا^(٦)﴾.

وقوله تعالى ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ^(٧)﴾ إرادة يوسف حفيظاً لخصوص

الغلات والأموال ، فالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أرفع درجة ومع هذا أخبر الله بأنه ليس حفيظاً على الناس ، وكذا يوسف عليه السلام لذا عمل معهم يوسف مع كفرهم انقازاً للبشرية ، أما النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاهد ودافع وقاتل إلى أن دخل الناس في الإسلام وهو من موارد تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ^(٨)﴾ في شعيب .

واختلف المفسرون في (العليم) في ﴿وَبَشِّرُوهُ بِنِغْلَامٍ عَلِيمٍ^(١)﴾ على قولين :

(١) سورة هود ٥٧.

(٢) سورة ق ٤.

(٣) سورة الأنعام ١٠٤.

(٤) سورة الأنعام ١٠٧.

(٥) سورة ق ٣٢.

(٦) سورة النساء ١٠٨.

(٧) سورة يوسف ٥٥.

(٨) سورة هود ٨٦.

الأول : إنه إسحاق بن إبراهيم ، وهو المشهور .

الثاني : إنه إسماعيل بن إبراهيم .

أي أن ينطبق عليه صفة الحليم والعليم ، ويكون تقدير الآية : وبشروه بـ غلام حليم عليم .

والقرآن يفسر بعضه بعضاً إذ وصف يوسف نفسه بحضرة ملك مصر الأعظم بأنه ﴿حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ .

وجمع الصفات المتعددة في القرآن خاص بالله عز وجل مثل ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾^(٢) ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾^(٣) ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾^(٤) .

ليبان قانون وهو الجمع بين الصفات الحسنى في القرآن خاص بالله عز وجل ومنه ﴿اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فان قلت قد جمعا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإكرامه في قوله تعالى ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥) .

والجواب في الآية تقييد وهو أن رحمة ورأفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة بالمؤمنين ، بفضل ولطف ووحى من الله لقوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكُنْتَ فَرْغًا غَلِيظًا لَنْقُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٦) ، والله عز وجل رؤوف بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والناس

(١) سورة الذاريات ٢٨ .

(٢) سورة الحج ٥٩ .

(٣) سورة النساء ١٢ .

(٤) سورة الأحزاب ٥١ .

(٥) سورة التوبة ١٢٨ .

(٦) سورة آل عمران ١٥٩ .

جميعاً والخلائق كلها .

تفسير ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾

تبين الآية فضل الله عز وجل على المسلمين والمسلمات بإحصاء الله لكل عمل يعمل به المسلم أو المسلمة ، وفيه شاهد على أمور :

الأول : علم الله عز وجل بكل فعل يقوم به الإنسان .

الثاني : تثبيت أعمال الناس ، وحضورها عند الله عز وجل .

الثالث : الأجر والثواب على العمل الصالح .

الرابع : بعث المسلمين على تعاهد الفرائض العبادية وإتيان الصالحات .

ولم يسأل المسلمون في الآيات الأربعة السابقة عدم تضييع أعمالهم ، ولكنه فيض من اللطف الإلهي ، وقانون مصاحبة الفضل الإلهي للاستجابة ، فمن كرم ولطف الله عز وجل أنه لا يكتفي باستجابة الدعاء ، إنما يعطي معه من ذخائر الدنيا والآخرة .

وفي الحديث القدسي (يا ابن آدم أنا غني لا أفقر، أطعني فيما أمرتك أجعلك غنيا لا تفقر، يا ابن آدم أنا حي لا أموت، أطعني فيما أمرتك أجعلك حيا لا تموت ، يا ابن آدم أنا أقول للشئ كن فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشئ كن فيكون)^(١).

وجاءت الآية بصيغة العموم والإطلاق ، لتشمل كل المسلمين والمسلمات ، وقبل كل عمل صالح منهم مجتمعين ومتفرقين ، وما قل وما كثر ، وهل تدل على العموم تلاوة المسلمين والمسلمات لآية البحث وآيات الدعاء السابقة لها والتي في حيزها .

الجواب نعم ، إذ يتفضل الله عز وجل ويجعل تلاوتهم هذه دعاء بذات مضامين الآيات ، لبيان اللطف الإلهي في وجوب تلاوة القرآن في الصلاة وجوباً عينياً على كل مسلم ومسلمة .

ترى لماذا لم تقل الآية (ولا أضيع عامل منكم) الجواب من وجوه :

(١) البحار ٢٧٦/٩٠.

الأول : المدار على سنخية الأعمال .

الثاني : بين ذكر الآية للعمل ، وقول ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ عموم وخصوص مطلق ، فالعمل أعم ، وفيه حفظ للعامل ، وتقدير الآية أيضاً لا أضيع عامل منكم لذكر اللازم وهو العمل ، وحفظ الملزوم وهو العامل مصدر العمل ، وهو الذي تدل عليه خاتمة الآية ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ لإفادة المعنى الأعم للثواب ، وإرادة الثواب في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

الثالث : تضمن الآية البشارة بسلامة المؤمن الذي يعمل الصالحات لأن ذكر العمل يدل على وجود العامل وأنه حي يرزق ، ويتصف بالتقوى .

البشارة بالمغفرة

البشارة بالمغفرة للمؤمنين الذين هاجروا قال تعالى ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾^(١) ، كما في المهاجرين والمهاجرات الأوائل إلى الحبشة ، والذين هاجروا إلى المدينة المنورة ، وهي دار الهجرة ، والذين أودوا في سبيل الله ، ومنهم الصحابة الأوائل وأهل البيت ، والثواب العظيم للذين قاتلوا في سبيل الله ودفاعاً عن بيضة الإسلام والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله سواء في ساحة المعارك كشهداء معركة بدر ، ومعركة أحد والخندق وحنين ، أو الذين قتلوا تحت التعذيب ، كما في استشهاد سمية أم عمار بن ياسر .
وتعرض بلال الحبشي للعذاب في مكة ، فكان إذا حميت الشمس ألقاه أمية بن خلف الجمحي على الأرض .

(يطرحه على ظهره ببطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد)^(٢) .

(١) سورة المائدة ٦٥ .

(٢) تفسير البغوي ٤٤٨/٨ .

وبلال أبوه رباح من سبي الحبشة ، اشتراه واعتقه أبو بكر ، وشهد مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واقعة بدر .

ورأى بلال رأس الكفر أمية بن خلف ، وكان أسيراً بيد عبد الرحمن بن عوف ، فصاح بلال : نجوت إن نجا .

قال عبد الرحمن (ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا أَنْصَارَ اللَّهِ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، لَا نَجَوْتُ إِلَّا نَجَا . قَالَ فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمُسْكَةِ وَأَنَا أَذُبُّ عَنْهُ . فَأَخْلَفَ رَجُلٌ السَّيْفَ فَضْرَبَ رَجُلَ ابْنِهِ فَوَقَعَ وَصَاحَ أُمِيَّةُ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقُلْتُ : أَنْجِ بِنَفْسِكَ ، وَلَا نَجَاءَ بِكَ فَوَاللَّهِ مَا أَغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . قَالَ فَهَبْرُوهُمَا بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَّغُوا مِنْهُمَا) (١).

وغاية ما يطمع به الإنسان هو الفوز بمغفرة الذنوب ، ولا يقدر عليها ويهدي إليها إلا الله عز وجل .

آية البحث من ولاية الله للمؤمنين

يتجلى قانون تعقب الثواب لثناء الله عز وجل على طائفة من الناس في قوله تعالى ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢)، فمع ابتداء الآية بالكشف عن حال من الخوف أصاب طائفتين من الصحابة يوم معركة أحد ، والحاجة إلى الصبر والدفاع يومئذ ، وسرعان ما جاء قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ .

وفيه وجوه :

الأول : إنه لطف وثناء من عند الله .

الثاني : عهد كريم .

الثالث : وعد من عند الله بالحفظ والكفاية والنصرة للطائفتين وغيرهم من المؤمنين .

(١) سيرة ابن هشام ٦٣١/١ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٢ .

الرابع : فيه زجر عن توبيخ وتبكيث وتعيير الذين هموا بالفشل والجبن وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١).

الخامس : قانون طرد اليأس من نفوس المؤمنين .

وهل آية البحث من ولاية الله عز وجل للذين هموا بالجبن يوم معركة أحد ، الجواب نعم ، لما فيها من استجابة الدعاء ، وقبول الله عز وجل للصالحات ، ووعد الكريم على الهجرة والدفاع عن بيضة الإسلام ، وتحمل الأذى في جنب الله عز وجل .

و(عن جابر بن عبد الله قال : فينا نزلت في بني حارثة ، وبني سلمة ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾^(٢) وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾^(٣)).

وتدل آية البحث على ولاية الله للمؤمنين ، وتفضله بحفظهم والذب عنهم ، وإحراز الأجر والثواب لهم لما لاقوه ويلاقونه من الأذى في طاعة الله ، والصبر على أداء الفرائض والعبادات .

وعدم اختصاص الثواب بعالم الآخرة ، بل يشمل الحياة الدنيا .

وفي خاتمة آية البحث ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٤)، ترغيب بالإيمان وبعث على الهجرة في سبيل الله ، والرضا بما قسم الله سبحانه ، والوعد الكريم بالعوض والأجر ، العظيم وقانون الترغيب بالإيمان والعمل الصالح . وسيرد بعد خمس آيات قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) وهي آخر آية من سورة آل عمران .

(١) سورة الحجرات ١٠.

(٢) سورة آل عمران ١٢٢.

(٣) الدر المشور ٢/٤٢٠ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٥.

أقسام الصحابة يوم أحد

لقد كان جيش المسلمين الذي خرج من المدينة لمعركة أحد على قسمين :
الأول : طائفة رجعت من الشوط وسط الطريق إلى معركة أحد
 بتحريض من رأس النفاق عبد الله بن أبي بن أبي سلول ، إذ قال لهم
 (أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي ، مَا نَذْرِي عَلَّامَ تَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ فَرَجَعَ بِمَنْ
 اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ وَالرَّيْبِ) (١).

إذ اتخذ من أخذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمشورة وإلحاح
 طائفة من الصحابة بالخروج إلى المشركين عند جبل أحد ذريعة للإنسحاب
 لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأخذ بقوله بالبقاء في المدينة وقاتل
 المشركين في أزقتها ، وما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ
 بمشورة إلا بالوحي ، قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٣) (٤).

وكانوا ثلث جيش المسلمين ثلاثمائة رجل مع حاجة النبي محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم والتنزيل للرجل الواحد يومئذ ، خاصة وأن عدد
 المشركين هو ثلاثة آلاف رجل مجهزين بالأسلحة ومعهم مائة فرس لم تركب
 ظهورها في الطريق من مكة إلى المدينة لتكون جاهزة لدخول المعركة بقوة
 ونشاط .

وبادر عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله الأنصاري مع
 كبر سنه إلى اللحاق بهم وحثهم على ترك الرجوع إلى المدينة والصدود ،

(١) سورة آل عمران ٢٠٠.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٦٤/٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٥٩.

(٤) أنظر الجزء الخامس والأربعين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه
 الآية الكريمة.

وخذلان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكنهم اعتذروا بكلام هو ضد السبب الذي أعلنوه ذريعة للإنسحاب .

إذ قال لهم (يَا قَوْمِ أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ أَلَّا تَخَذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ عِنْدَمَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَقَالُوا : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقَاتِلُونَ لِمَا أَسْلَمْنَاكُمْ وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ . قَالَ فَلَمَّا اسْتَعْصَمُوا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الْإِنصِرَافَ عَنْهُمْ قَالَ أْبَعْدَكُمْ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ فَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ^(١)).

والذين رجعوا من وسط الطريق كلهم من الأنصار ، إذ كان عبد الله بن أبي بن سلول رئيس الخزرج ، وهم أكثر من الأوس وله قول مسموع عندهم .

وهل يصدق على هؤلاء أنهم منافقون أو يختص عنوان النفاق بالرؤساء منهم ، المختار هو الأول ، بالإضافة إلى توليهم يوم الزحف والدفاع . نعم باب التوبة والتدارك مفتوح ، وتدل السيرة النبوية على انتفاعهم منه .

الثاني : الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين حضروا معركة أحد ، وعددهم سبعمائة وهم على أقسام :

الأول : الذين بقوا يقاتلون في الميدان إلى حين انسحاب جيش المشركين .

الثاني : الذين سقطوا قتلى في الميدان ، وعددهم سبعون .

وعن الضحاك قال (كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوماً كيوم بدر يبلون فيه خيراً ، ويرزقون فيه الشهادة ، ويرزقون الجنة والحياة والرزق . فلقوا يوم أحد ، فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى

فقال ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾^(٢) ^(٣).

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٦٤/٢ .

(٢) سورة البقرة ١٥٤ .

(٣) الدر المنثور ٤٤٦/٢ .

و) عن عكرمة قال : لما أبطأ على النساء الخبر خرجن يستخبرن فإذا رجلان مقتولان على دابة أو على بعير فقالت امرأة من الأنصار : من هذان؟ قالوا : فلان وفلان ، أخوها وزوجها ، أو زوجها وابنها .
 فقالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قالوا : حي .
 قالت : فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء ، ونزل القرآن على ما قالت ﴿وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾^(١) ^(٢).

الثالث : الذين هموا بالانسحاب لشدة القتال ، ولكنهم لم ينسحبوا إنما ثبتهم الله عز وجل بمواضعهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.
الرابع : الذين فروا وانسحبوا من ميدان المعركة ، وذكرهم الله بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٣) ، لبيان عفو ومغفرة الله لهم.
 ولو تاب الذين نكصوا وانخلوا من وسط الطريق استجابة لدعوة رئيس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول فهل تقبل توبتهم ، الجواب نعم.
 والمختار أنهم ندموا وتابوا ، ولم يذكر التاريخ بقاء مئات المنافقين في المدينة ، وإنما كان النفاق في نقصان وضعف خاصة وأن آيات القرآن تترى في نزولها في الثناء على المؤمنين وذم وتبكيك المنافقين ، وبيان قبح النفاق وسوء عاقبته ، قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(٤).



(١) سورة آل عمران ١٤٠.

(٢) الدر المنثور ٤٤٦/٢.

(٣) سورة آل عمران ١٥٥.

(٤) سورة النساء ١٤٥.

أصحاب الصفة

لقد أنشأ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دار الصفة ، والصفة - بالضم - السقيفة - من جريد النخل ، وهي بجوار المسجد النبوي محلاً لإيواء فقراء المهاجرين الغرباء ، والعزاب الذين ليس لهم مأوى أو مسكن ، ويتعلمون فيها القرآن ، ويحضرون الصلاة اليومية مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويخرجون في السرايا ويذبون عن النبوة والتنزيل .

ويزيد عددهم أو ينقص ، وقد يصلون إلى (٣٠٠) شخص أحياناً وليس لهم مهنة أو عمل يناسبهم ، وكانوا يتوزعون على الصحابة عند الغذاء ، ويتولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إطعام بعضهم ونزل بعض الأنصار الصفة مواساة لهم .

وعن أبي هريرة الذي هو من أهل الصفة قال (لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجلٌ عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته)^(١).

والرداء هو الذي يستر القسم العلوي من البدن ، والإزار هو الذي يستر النصف الأسفل من البدن .

والكساء قطعة قماش واحدة يلتف بها الإنسان ، ويجمعه أي يمسك الرجل طرفي الرداء أو الكساء لثلا يفترقا فتكشف العورة حال صلاته . والصفة من مصاديق الهجرة والإخراج من الديار والأذى الذي ذكرته آية البحث ومن أهل الصفة عبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وبلال بن رباح ، وسلمان الفارسي ، وصهيب بن سنان ، وزيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب ، وخباب بن الأرت ، وصهيب بن سنان وأبو لبابة بن عبد المنذر ، والمقداد بن الأسود ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبو الدرداء عويمر بن عامر ، وغيرهم .

(١) الجمع بين الصحيحين ٣/١٩٣.

وأصحاب الصفة معجزة غيرة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذا تحسن حياتهم فيما بعد وصيرورة أكثرهم ولاية وأمراء ورواة لحديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينصت للواحد منهم المئات من الصحابة والتابعين ليورث عدد من أهل الصفة أموالاً طائلة فمثلاً كانت تركة الزبير بن العوام نحو (٣٥) مليون درهم عدا الأراضي الزراعية كما أنه اتجه إلى شراء العقارات في المدينة والكوفة والبصرة والفسطاط وغيرها . والفسطاط -بضم الفاء- البيت من الشعر ، ويراد منه اسم أول عاصمة اسلامية في مصر جنوب القاهرة التي انشئت في السنة الحادية والعشرين للهجرة النبوية.

وقدرت تركة طلحة بن عبيد الله بـ (٦٠٠) ألف دينار ذهباً ، ونحو مليوني درهم فضة أي ألفي ألف عدا الدور والأراضي الزراعية ، وكانت له ضيعة في العراق يقدر دخلها بنحو (٤٠٠) ألف درهم سنوياً . وهل كانت كثرة أموالهما الطائلة سبباً لخروجهما في معركة الجمل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الإمام المفترض الطاعة عند جميع المسلمين).

ومن الآيات أصحاب الصفة وهي عريش بناء النبي محمد صلى الله عليه وآله وآله وسلم بجوار مسجده لإستقبال وإضافة المهاجرين القرب الذي عندهم مأوى ومسكن في المدينة ، ييقون فيها إلى أن يجدو عملاً ومأوى ، وقد يصل عددهم أحياناً إلى ثلاثمائة .

وكانوا كالحرس في الليل والنهار للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسجد النبوي ، وبيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي غرف أزواجه ، كما كانوا يحضرون الصلاة اليومية ويستمعون لخطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يرتقي المنبر ، وأجوبته على الأسئلة التي توجه إليه ، ويتدارسون آيات القرآن ومقدمات الفقه .



قانون إخوة المسلمين للنبي (ص)

ورد (عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليتني قد لقيت إخواني .

فقال له رجل من أصحابه : أو لسنا إخوانك .

قال : بلى أنتم أصحابي ، وإخواني قوم يأتون من بعدي ، يؤمنون بي ولم يروني ، ثم قرأ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(١) وفيه إكرام الوحي النبوي للمسلمين والمسلمات من التابعين وإلى يوم القيامة ، ونيلهم مرتبة أخوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والذي لم يكن له أخ من أمه وأبيه مع كثرة أعمامه وعماته ، فأولاد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وست نسوة وهم :

(الأول : العباس .

الثاني : حمزة .

الثالث : عبد الله .

الرابع : أبو طالب - واسمه عبد مناف .

الخامس : الزبير .

السادس : الحارث .

السابع : حنظل .

الثامن : المقوم .

التاسع : ضرار .

العاشر : أبو لهب - واسمه عبد العزى^(٣) .

(١) سورة البقرة ٣ .

(٢) الدر المنثور ٢٥/١ .

(٣) السيرة ابن هشام ١٠٨/١ .

وأسلم منهم حمزة قبل الهجرة ، والعباس أيام الفتح وقيل قبله ، وكان أسيراً عند المسلمين يوم معركة بدر ، وكان أبو لهب من أشد الناس عداوة وإيذاءً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

أما النسوة فهن :

الأولى : صفية .

الثانية : أم حكيم البليضاء .

الثالثة : عاتكة .

الرابعة : أميمة .

الخامسة : أروى .

السادسة : برة^(١) .

وأسلمت منهن صفية ، وكذا على الظاهر عاتكة وأروى ، وتدل قلة عدد الذين أسلموا من أعمام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتجاهر أبي لهب بتكذيبه على صدق إيمان الصحابة ، وعدم وقوفهم عند تكذيبه له .

تفسير ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْثَنَى﴾

في الآية بيان للإعجاز في خلق آدم وحواء في الجنة ، فلم يهبط آدم وحده ، إنما أكرم الله المرأة بأن خلقها في الجنة ، وعاشت حواء مع الملائكة وتكلمت معهم واشتركت مع آدم في الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عز وجل عنها ، ثم توجهت مع آدم إلى الله عز وجل بالدعاء والمسألة .

وورد في التنزيل حكاية عنهما ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا

وَتَرْحُمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢) .

(١) السيرة ابن هشام ١/١٠٨ .

(٢) سورة الأعراف ٢٣ .

ولم يرد لفظ (ظلمنا) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، مع جواز مجيئه بصيغة الجمع وليس المثنى وحدها ، مما يدل على شدة الظلم الذي أقدم عليه آدم وحواء بمعصية الله بعد تلقي الأمر منه مباشرة .

ولبيان فضل الله عز وجل على المؤمنين بطاعة الله ، مع أنهم تلقوا الأحكام من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالواسطة باستثناء الصحابة الذين تلقوا الأوامر من النبي مباشرة .

وتبين الآية تساوي الرجل والمرأة في أمور :

الأول : التكاليف العبادية إلا ما خرج بالدليل كسقوط الصلاة عن المرأة أيام الحيض .

الثاني : الحقوق ، قال تعالى ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(١) .

الثالث : الدنيا دار عمل الصالحات والتسابق منها للذكر والأنثى ، قال

تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾^(٢) .

الرابع : قانون تفضيل الرجال بالقوامة ، قال تعالى ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ

عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ

قَاتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ

وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة ٢٢٨.

(٢) سورة النساء ١٢٤.

(٣) سورة النساء ٣٤.

من غير أن يتعارض هذا القانون مع قانون تعلق الإكرام بين الرجال والنساء بالتقوى لقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

تغليب الذكر

آية البحث من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(٢)، لبيان سنية العمل الحسنة التي يقبلها الله عز وجل في آية البحث ، وللتنبية بأن النساء مكلفات بالأصول والفروع كتكليف الرجال إلا ما خرج بالدليل مثل الجهاد إذ أنه يسقط عن النساء ، وكما في سقوط الصلاة عن الحائض أيام الحيض ، بينما تقضي ما فاتها من الصيام أيام الحيض. وورد عدد من التكاليف في القرآن بصيغة التذكير ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣)، مع وجوبه على النساء أيضاً.

وتأتي صيغة التذكير في المتنافي بلحاظ أمور :

الأول : الأغلب ، مثل القمران ، للشمس والقمر .

الثاني : الأقوى ، فيقال للوالدين : الأبوين ، والمراد الأب والأم .

الثالث : الأخف نطقاً ، مثل العمران .

الرابع : الأظهر مثل العشائين ، ويراد صلاة المغرب والعشاء.

المجمل والمفصل في آية البحث

من خصائص القرآن ورود المجمل الذي هو عام في معناه ، وعرفوه في علم الأصول والتفسير بأنه الذي تتضح دلالاته ، وهذا التعريف لا يناسب ما في القرآن من البيان والكشف والإيضاح ، فحتى المجمل في القرآن واضح في معناه ودلالاته ، ويأتي التفصيل في آية أخرى وفي السنة النبوية زيادة في

(١) سورة الحجر ١٣.

(٢) سورة البقرة ١٤٣.

(٣) سورة البقرة ١٨٣.

الإيضاح ، فقوله تعالى ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾^(١) ظاهر في وجوب الصلاة ، ويأتي التفصيل في بيان أوقات الصلاة وعدد وكيفية الركعات ، وكما في قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

وبينت السنة النبوية القولية أن القطع في ربع دينار ذهبي فصاعداً ، وأن القطع من أطراف الأصابع ، وقول مشهور أنه من الرسغ .

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (من أصاب منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه ومن خرج بشيء منه فعليه القطع ومن سرق دون فعليه غرامة مثلية والعقوبة)^(٣). ولا تعني العقوبة القطع بل هي أدنى منه .

ليكون الجمع بين تغليب المذكر في آيات التكاليف وذكر الذكر والأنثى في آية البحث والوعد من الله عز وجل بالأجر والثواب لكل منهما من مصاديق المجمل والمفصل في الآية الواحدة ، ومن منافعه وجوه :

الأول : بعث المسلمين والمسلمات على العمل الصالح .

الثاني : بيان الحكم الواقعي .

الثالث : إنه مصاديق قوله تعالى ﴿وَرَزَقْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤).

الرابع : إحاطة الله علماً بالعباد وأفعالهم ، وفي التنزيل ﴿وَأَخْصَىٰ كُلَّ

شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٥).

(١) سورة البقرة ٤٣.

(٢) سورة المائدة ٣٨.

(٣) تفسير القرطبي ١٥٢/٦.

(٤) سورة النحل ٨٩.

(٥) سورة الجن ٢٨.

ودلالة صيغة المفرد في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ قَلَّتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(١)، لبيان استقلال كل مكلف بعمله وحسابه ، نعم يتجلى حديث الرفع سواء للذكر أو الأنثى بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهَا عَلَيْهِ)^(٢).

علم المناسبة ﴿ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى﴾

ورد هذا اللفظ أربع مرات في القرآن ، وكلها في الثناء على المؤمنين وعملهم الصالحات وبشارة حسن الثواب لهم في الآخرة وهي :

الأولى : في آية البحث .

الثانية : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۖ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْذِيرًا﴾^(٣) ، وجاءت هذه الآية بصيغة الإطلاق ، وبصيغة الجملة الشرطية ، لبيان فتح باب التوبة وعمل الصالحات للناس جميعاً .

فمن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤) ، إنعدام الوساطة بين الله عز وجل وبين كل شخص من الناس ، فحالما يدعو الإنسان يسمعه الله عز وجل ، كما ورد في التنزيل ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٥).

(١) سورة القارعة ٦-٩ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٦٧/١ .

(٣) سورة النساء ١٢٤ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

(٥) سورة المجادلة ١ .

وتدل الآية على إرادة قصد القربة في عمل الصالحات وإرادة رضا الله عز وجل ، بقوله تعالى ﴿وَهُؤُمُؤْمِنٌ﴾^(١) ، فلو تصدق شخصان على مسكين ، أحدهما مؤمن والآخر كافر ، ترتب الثواب العاجل والآجل على عمل المؤمن دون الكافر .

لإختصاص المؤمنين والمؤمنات بالبشارة لموضوعية الإيمان وقصد القربة.
الثالثة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) .

ليبيان تغشي رحمة الله في الدنيا للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بقصد القربة إلى الله عز وجل ، ليكونوا في غبطة وسعادة وهناء ، لقوله تعالى ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٣) .

ومن أسرار مجيئ قوله تعالى ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنشَىٰ﴾ في آية البحث شمول السعادة للأسرة المسلمة ، والسعة في الرزق وقضاء الحاجات وليفصرف الله عز وجل عنهم الفتن والأمراض المعدية .

ومن خصائص الآية أعلاه الإطلاق في الوعد الإلهي ليشمل أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة وبشارة العفو والمغفرة في الآخرة ، ليفوزوا بالثواب العظيم في الآخرة .

وهل الأذى الذي لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون والأنصار من الكفار من ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾^(٤) ، الذي تذكره الآية أعلاه ، الجواب نعم لبيان أن قوله تعالى ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا

(١) سورة النساء ١٢٤.

(٢) سورة النحل ٩٧.

(٣) سورة النحل ٩٧.

(٤) سورة النور ٣٨.

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ ، أي الجزاء باللبث الدائم في الجنة التي تجري من تحتها الأنهار في جمال بهيج .

الرابعة : قوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢) ، جمعت هذه الآية بين المتضادين في الفعل والجزاء ، مع مناسبة الجزاء لذات الفعل إذ تترتب العقوبة على ارتكاب السيئة ، ويأتي الثواب العظيم على عمل الصالحات .

ومن الإعجاز في الآية مسائل :

الأولى : ابتداء الآية بلغة الإنذار والوعيد على فعل السيئة .

الثانية : صبغة العموم في فعل السيئة من غير تقييدها بالذين كفروا .

الثالثة : السيئة عنوان عام تقع تحته صفائر وكبائر الذنوب .

الرابعة : الرحمة والتخفيف من الله عز وجل بأن عقوبة السيئة بمثلها ، بينما أخبرت آيات القرآن عن مضاعفة ثواب الحسنة أضعافاً ، قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣) .

الخامسة : تقييد قبول العمل الصالح وترتب الثواب عليه بالإيمان وليكون من معاني ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي وهو مؤمن بالله ورسله وملائكته واليوم الآخر ، فذكرت الآية أعلاه صدور العمل الصالح من المؤمن والمؤمنة .

(١) سورة النحل ٩٧ .

(٢) سورة غافر ٤٠ .

(٣) سورة الأنعام ١٦٠ .

وجاءت آية البحث بذكر أفراد من العمل الصالح ذات شأن في تأريخ الإسلام ، وثبتت أحكام الشريعة في الأرض إلى يوم القيامة .

تفسير ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

يدل هذا الشطر من الآية على توجه الخطاب فيه للمسلمين والمسلمات من أيام التنزيل وإلى يوم القيامة ، فلم تقل الآية (بعضهم من بعض) باتصال صيغة الغائب ، بل انتقلت إلى لغة الخطاب وهو المسمى في الاصطلاح البلاغي (الإلتفات) وهو من إعجاز القرآن وأسرار تعدد صيغة الخطاب ودلالاته وشمول الخطاب للغائب ثم للحاضر .

وليكون تقدير ما بعد هذا الشطر من الآية ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي فالذين هاجروا منكم سواء الذكور أو الإناث.

﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي والذين أخرجوا من ديارهم منكم ، لإرادة المهاجرين من مكة إلى الحبشة وإلى المدينة ، واستمرار موضوع وحكم الآية حال تجدد ذات الأسباب .

وهذا المعنى لا يمنع من إرادة المهاجرين من ملة التوحيد السابقة لوحدة الموضوع في تنقيح المناط.

وقيل المراد من قوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أن الذكر من الأنثى ، والأنثى من الذكر ، وأنهما من أصل واحد .

ولكن مضمون الآية أعم ، والأظهر من معانيه هو قانون الإيمان الجامع المشترك بين المسلمين والمسلمات ، وأن أسباب الهداية متداخلة وكذا الأخوة بينهم .

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١) ، الجواب نعم ، فمن معاني الأخوة التعاون والتكافل بين المسلمين والمسلمات ، وقيامهم

(١) سورة الحجرات ١٠.

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرادة اتحاد الشأن ، ويفسر القرآن بعضه بعضاً .

ولم ترد هذه الجملة ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ إلا مرتين في القرآن احدهما في آية البحث والأخرى في قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(١)، للترغيب في نكاح الإماء ، وبيان أن المدار في اختيار الزوجة على الإيمان .

وقد ورد (عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : إن المرأة تنكح على دينها ، ومالها ، وجمالها ، فعليك بذات الدين تربت يداك .

وأخرج أحمد والبخاري وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تنكح المرأة على إحدى خصال : لجمالها ، ومالها ، ودينها ، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك)^(٢) .

وهذا الحديث من المتواتر إذ ورد بصيغ متشابهة عن أبي سعيد وأنس ، وأبي هريرة .

وعن الإمام الباقر عليه السلام (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من تزوج امرأة لا يتزوجها إلا لجمالها لم يرفيها ما يحب ، ومن تزوجها لمالها لا يتزوجها إلا له وكله الله إليه ، فعليكم بذات الدين)^(٣) .

(١) سورة النساء ٢٥ .

(٢) الدر المنثور ١٧/٢ .

(٣) تهذيب الأحكام ٢٢٨/١ .

و(أخرج ابن جرير عن أبي جعفر محمد بن علي (الباقر) قال : النكاح بولي في كتاب الله ، ثم قرأ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾^(١) أي لتوجه الخطاب ﴿لَا تُنْكِحُوا﴾ إلى الأولياء .

ويقال : هو مني وأنا منه .

وقد ذم الله عز وجل الذين يخفون الكفر والجحود مع إظهارهم الإيمان ، وفضح قبح سلوكهم ، قال تعالى ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بُضُّهُنَّ مِنْ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢) .

ولم يرد لفظ (بالمُنكر) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

ومن معاني الجمع بين الآية أعلاه وآية البحث التباين الموضوعي بين المؤمنين الذين يستجيب الله لدعائهم ، وبين المنافقين الذين أخبرت الآية أعلاه بالقول ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ وبصيغة الغائب في سياق الذم بينما خاطبت آية البحث ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(٤) ، في سياق المدح والوعد الكريم لإرادة الحيلة والحذر من المنافقين والمنافقات ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْمُرُكُمْ بِحَبَالٍ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٥) .

وقال الشاعر :

(١) سورة البقرة ٢٢١ .

(٢) الدر المنثور ١٨/٢ .

(٣) سورة التوبة ٦٧ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٥) سورة آل عمران ١١٨ .

(فإني لست منك ولست مني ... إذا ما طار من مالي الثمين)^(١).
وفي قوله تعالى ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ دعوة للمسلمين والمسلمات كافة
إلى التآزر والتراحم ، والسعي في طاعة الله ورسوله ، والتكافل فيما بينهم ،
وأنه إذا أصاب بعضهم أذى وضرر فانه قد يلحق الآخرين .
وأن المسلمين وإن تباعدت أمصارهم هم إخوة .
وهل في الآية دعوة إلى نبذ الفرقة والشقاق بين المسلمين ، الجواب نعم ،
وحرمة القتال بين الناطقين بالشهادتين .

ترى ما هو دور المرأة في المقام وذكر الآية للذكر والأنثى خاصة مع
سقوط القتال عن النساء ، الجواب هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وعن التباغض والتحاسد ، والقتال ومقدماته .

ومن معاني ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ إخراج الزكاة والحقوق الشرعية
ووجوبها على الرجال والنساء ، وإيصالها إلى مستحقيها الذين يقبلونها من
غير حرج أو استنكاف ، فلو أعطت المرأة زوجها أو أخاها أو مؤمناً من
ذوي الأرحام أو أجنبياً مالاً ، وقدمت له العون ويد المساعدة فيلزم قبوله مع
الشكر والدعاء لصاحبة المال .

وتبين الآية أن الإسلام ليس مجتمعاً ذكورياً ، إنما يستنهض النساء لخدمة
الشريعة ويشملهن قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى
الْقُلُوبِ﴾^(٢).

ومن معاني ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ انتفاع المسلمين من العمل الصالح
الذي يقوم به بعضهم ومنه الواجبات والمستحبات الكفائية التي تسقط باتيان
الفرد منهم كرد السلام ، كتجهيز الميت والصلاة عليه وكذا الأمر بالمعروف

(١) أساس البلاغة ٥٠/١ .

(٢) سورة الحج ٣٢ .

والنهي عن المنكر في بعض الحالات ، قال تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

التفسير بالتقدير ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

وفيه وجوه :

الأول : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ في مقامات الإيمان .

الثاني : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فتعاونوا ﴿عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢).

الثالث : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فيأتي الأجر والثواب للجميع بعمل أحدكم.

الرابع : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فتآلفوا وتأزرروا .

الخامس : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فانبذوا الكراهية والحسد بينكم.

السادس : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فآكرموا بعضكم بعضاً فعلى الرجال إكرام النساء وبالعكس .

السابع : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فليكرم بعضكم بعضاً.

الثامن : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فتراحموا .

التاسع : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ وقد ورد (عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه)^(١).

(١) سورة آل عمران ١٤٥.

(٢) سورة المائدة ٢.

العاشر : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ) ^(١).

الحادي عشر : ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ لبيان الحزن الذي يلحق المسلمين عند قتل أفراد منهم كما في قوله تعالى ﴿قَاتِلُوا وَقُتِلُوا﴾ ^(٢)، والأجر والثواب على هذا الحزن لأنه فرع أخوة الإيمان .

الثاني عشر : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بفضل من الله عز وجل فزتم بمرتبة ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

الثالث عشر : قوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ بشارة شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين ، والشفاعة العامة فيما بينهم .
(و) عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله ﴿وَكَأَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لِلَّهِ لِأَتَمِّنْ أَرْتَضَى﴾ ^(٤) فقال : إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ^(٥).

تفسير ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾

لبيان قانون جهاد المسلمين في مرضاة الله وصبرهم على الأذى الشديد في التفريع عن قوله تعالى ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ ^(٦)، وتوثيق العناء الذي

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥٥/٣ .

(٢) مسند أحمد ٣٧/٣٤٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٤) سورة الأنبياء ٢٨ .

(٥) الدر المنثور ٥٦/٧ .

(٦) سورة آل عمران ١٩٥ .

لاقاه المسلمون الذين هجروا دار الشرك وما فيها من الأذى ، وفارقوا ملاعب الصبا ، وذوي القربى والعشائر وما في هذه المفارقة من الكآبة والحزن الذي يخفف عنهم لأن الهجرة في ذات الله ، ولا يقدر على هذا التخفيف إلا الله عز وجل سواء التخفيف الشخصي ، بانسراح الصدر ، وانتظار الفرج ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾^(١).

أو التخفيف العام توالي نزول آيات التخفيف ، ومصاديق مؤاخاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار . والآية أعلاه ليست من مختصات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل هي عامة تشمل المسلمين فان قلت إن سورة الإنشراح مكية نزلت قبل الهجرة ، والجواب تبين الآية حضور فضل الله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه حتى قبل الهجرة النبوية لتكون مضامينها مصاحبة لهم بعد الهجرة أيضاً .

ومن مصاديق تفسير السنة النبوية للقرآن في المقام ما ورد (عن ابن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن أول ثلة الجنة الفقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره . إذا أمرُوا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره . وأن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي ، وقُتِلوا وأودوا في سبيلي ، وجاهدوا في سبيلي .

أدخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب . ويأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك ، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا .

فيقول : هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي ، وأوذوا في سبيلي .
فتدخل الملائكة عليهم من كل باب ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى
الدَّارِ﴾^(١) ^(٢).

ترى ما هي النسبة بين ﴿عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ وبين ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ﴾^(٣).

الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فعمل العامل أكثر وأعم ،
ليبان قانون الأجر والثواب للمؤمنين على كل عمل صالح يعملونه صغيراً
كان أو كبيراً ، ثم ذكرت الآية الأعمال الجهادية الشاقة ، وفيه تذكير
للمسلمين بأن الهجرة في سبيل الله من أشق الأعمال في الحفاظ على سلامة
الدين ، والدعوة إلى الله .

هجرة النسوة إلى الحبشة

بلحاظ قوله تعالى ﴿أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى﴾^(٤)
يكون تقدير هذا الشطر من الآية فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ،
واللائي أخرجن من ديارهن).

وتارة تهاجر المرأة مع زوجها كما في هجرة النسوة مع أزواجهن إلى
الحبشة (مملكة أكسوم) والتي ابتدأت في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة
النبية وكانت أول جماعة منهم اثني عشر رجلاً وأربع نسوة^(٥).

(١) سورة الرعد ٢٤.

(٢) الدر المنثور ٢١/٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

(٤) سورة آل عمران ١٩٥.

(٥) أنظر زاد المعاد ٩٤/١ .

خرجوا متسللين سراً من مكة بين راكب وماش ، وعندما علمت قريش بخروجهم خرجوا في طلبهم ، وكانت قريش تسعى بسرعة وعلى الخيل في آثارهم .

ومن فضل الله أن المهاجرين حالما وصلوا إلى الشعبة وهي الميناء آنذاك قبل ميناء جدة وجدوا سفينتين تريدان الإبحار إلى الحبشة فركبوا فيهما ، كل فرد بنصف دينار فلم يدركوهم ، وهو من المعجزات الغريبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم جاءت هجرة الآخرين من الصحابة حتى صار عدد المهاجرين إلى الحبشة ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة .

(وَكَانَ أَهْلُ هَذِهِ الْهَجْرَةِ الْأُولَى اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَ نِسْوَةَ عُثْمَانَ وَامْرَأَتَهُ وَأَبُو حَذِيفَةَ وَامْرَأَتُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سَهِيلٍ وَأَبُو سَلَمَةَ وَامْرَأَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ وَالزَّيْبُرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَامْرَأَتُهُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رَهْمٍ وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرِو وَسَهِيلُ بْنُ وَهَبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ)^(١).

وتوالت هجرة النساء مع أزواجهن إلى الحبشة ثم الهجرة الكبرى إلى المدينة ، ومنها هجرة الفواطم الأربعة ، فبعد أن أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي عليه السلام أن يبيت في فراشه وأوصاه بوصايا منها أن يؤدي الأمانات التي عنده ، ومنها أمره أن يلتحق به ومعه الفواطم الأربعة وهن فاطمة الزهراء عليها السلام ، وفاطمة بنت أسد ، وفاطمة بنت حمزة ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وتمت هجرتهم بسلام .

هجرة المرأة منفردة

من المسلمات من هاجرت بمفردها إلى المدينة ، منهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي تعذر عليها الخروج إلى المدينة وكانت أسلمت قديماً وإخوتها مشركون ، وكان أبوها قتل في معركة بدر كافراً .

ولما تم صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة هاجرت بمفردها خلصة من أهلها ، ماشية على قدميها ، فحملها على ناقته رجل كافر من خزاعة حتى أوصلها المدينة .

ليبان مسألة وهي اختيار الهجرة حتى من قبل المؤمنة إذ كانت مخاطر الطريق أقل من الخوف على الدين بالإقامة بين مشركي قريش .

وظن أهلها أنها خرجت إلى الطائف لبساتين لهم فيها ، وعندما علموا بأنها هاجرت إلى المدينة خرج في أثرها أخوها الوليد وعمارة ابنا عقبة وسألا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إعادتها لهم للشرط باعادة من يأتي من قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقالت أم كلثوم (يا رسول الله حال النساء إلى الضعف ، كما قد علمت ، فتدني إلى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي) (١) .

ونزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَافِرِ﴾ (٢) .

وفيه وجوه محتملة :

الأول : اختصاص شرط الإعادة بالرجال ، وأراد المشركون تعميمه .

(١) تفسير البحر المحيط ٢٦١/١٠ .

(٢) سورة الممتحنة ١٠ .

الثاني : نسخت الآية أعلاه الشرط بخصوص النساء ، إذ نهى الله عز وجل على إعادة النساء بعد امتحانهن وثبوت أن مجيئهن ليس من أجل مال أو زواج أو نشوز بل بسبب الإيمان .

الثالث : تخصيص السنة النبوية للقرآن ، وهذا التخصيص قليل . والمختار هو الأول ، ومن امتحان المهاجرات سؤلهن عن الشهادتين والنطق بهما ، ويقال : استحلفوهن ما خرجن إلا حرصاً على الإسلام ولا خرجن لزواج أو مال أو نشوزاً من زوج . والمختار أن هذا الامتحان يختلف بحسب حال المهاجرة .

وأم كلثوم أخت عثمان بن عفان لأمه أروى ، وتزوجت بعد الهجرة زيد بن حارثة ، فقتل يوم مؤته ، فتزوجها الزبير بن العوام ، فولدت له بنت بعد أن طلقها وولدت في نفس يوم الطلاق ، وتزوجها عبد الرحمن بن عوف ، فولدت له إبراهيم وحמיד ، ومات منها وتزوجها عمرو بن العاص ، فمكثت عنده شهراً ومات .

قانون هجرة النسوة جهاد

لقد كانت وراء هجرة كل مسلمة قصة جهادية خاصة ، سواء اللاتي هاجرن مع أزواجهن أو مع ابنائهن أو مع آبائهن ، أو هاجرن بأنفسهن ليس لهن رفيق في طريق الهجرة إلا رحمة الله ، وفي التنزيل ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١).

لقد تحدث المؤمنات مواطن الضعف ، ومخاوف الطريق ، وربما حدثت فتنة بسبب هجرة النسوة ومحاولة لتثبيتها عن الهجرة ، كما في أم سلمة ، إذ تروي بأنه لما أجمع أبو سلمة الهجرة وهي معه ، أهدى لها بعيراً برحله ، وأركبها وابنه مسلمة ، ثم خرج يقوده .

فلما رآه رجال من بني المغيرة وهم عمومته (قَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبَتْهَا عَلَيْهَا ، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ ؟ عَلَامَ تَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ

؟ قَالَتْ فَتَزَعُوا خَطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذُونِي مِنْهُ . قَالَتْ وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا تَتْرُكُ ابْنَتَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا .

قَالَتْ فَتَجَاذَبُوا بَنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَتْ فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي . قَالَتْ فَكُنْتُ أَخْرَجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطَحِ فَمَا أَزَالُ أَبْكِي ، حَتَّى أَمْسَى سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِي ، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ فَرَأَى مَا بِي فَرَحَمَنِي . فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمَسْكِينَةَ فَرَقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا قَالَتْ فَقَالُوا لِي : الْحَقِّي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ . قَالَتْ وَرَدَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي .

قَالَتْ فَارْتَحَلْتُ بِعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ . قَالَتْ وَمَا مَعِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ . فَقُلْتُ : أَتَبْلُغُ بَعْدَ لَقِيْتِ حَتَّى أَقْدِمَ عَلَيَّ زَوْجِي ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالتَّعْلِيمِ لَقِيْتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لِي : إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ .

فَقُلْتُ : أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ . قَالَ أَوْ مَا مَعَكَ أَحَدٌ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَبَنِي هَذَا . قَالَ وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَثْرَكٍ فَأَخَذَ بِخَطَامِ الْبَعِيرِ فَانْطَلَقَ مَعِيَ يَهْوِي بِي .

فَوَاللَّهِ مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ قَطُّ ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي ، فَحَطَّ عَنْهُ ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ ، ثُمَّ تَنَحَّى وَقَالَ ارْكَبِي .

فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخَطَامِهِ فَقَادَهُ حَتَّى يَنْزِلَ

بِي .

فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَقْبَاءَ قَالَ زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا - فَادْخُلِهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ .

فَكَانَتْ تَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطَّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ^(١) .

وأبو سلمة هو عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه من الرضاعة ، وهاجر وزوجه إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وجرح في معركة أحد وداوى جرحه شهراً وظن أنه برئ ، ولكن الجرح دمل على بغية لا يعرفه ، وخرج أميراً في سرية إلى قطن ، واحتضر بعدها ، وأحست أم سلمة بالغربة في المدينة عند فراقه ، فقال (إلى من تكلمي ؟ قال إلى الله اللهم أبدل أم سلمة بخير من ابني سلمة)^(٢) .

فلما انقضت عدتها خطبها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتزوجها لتفوز بالمرتبة السامية وتكون من أمهات المؤمنين ، قال تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٣) .

وعن أسماء بنت أبي بكر (لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب ابني بكر فخرجت إليهم فقالوا اين ابوك يا بنت ابني بكر قالت قلت والله لا ادري اين ابني قالت فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة خرم منها قرطي قالت ثم انصرفوا)^(٤) .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٦٨/١ .

(٢) البخاري / التاريخ الكبير ٦٢/٧ .

(٣) سورة الأحزاب ٦ .

(٤) عيون الأثر ٢٤٩/١ .

وفي دعاء السفر الوارد عن عبد الله بن عمر (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً ، ثم قال ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١﴾).

ثم يقول : اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى. اللهم ، هون علينا السفر واطول لنا البعيد. اللهم ، أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل. اللهم ، اصحبنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلنا. وكان إذا رجع إلى أهله قال : آيئون تائبون إن شاء الله ، عابدون ، لربنا حامدون ﴿٢﴾).

قانون الهجرة سلام

لقد ورد لفظ ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ ﴿٣﴾ ، بصيغة التذكير لتغليب المذكر ، وللأمر الواقعي بأن أكثر المهاجرين من الرجال ، وهل تحتسب النساء كالزوجات تابعات للرجال في الهجرة ، الجواب لا .

صحيح أن الزوجة تهاجر مع زوجها ، إلا أنها مهاجرة على نحو مستقل ، وتحمل الأذى والوعثاء ، لذا قال تعالى ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ ﴿٤﴾.

وهل هناك شواهد بأن المرأة المسلمة هي الرائدة في هجرة العائلة ، الجواب نعم .

يبين قوله تعالى ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ مرتبة الهجرة في الجهاد مع أنها سلم محض ، وعزوف عن القتال ومقدماته .

ولما توفي أبو طالب عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وزوجه خديجة في السنة العاشرة للبعثة النبوية اشتد أذى قريش عليه ، فتوجه إلى

(١) سورة الزخرف ١٣-١٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٢١/٧ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

(٤) سورة آل عمران ١٩٥.

الطائف لدعوة ثقيف للإسلام ، ورجاء الإصغاء له ، وإيواءه ، ولكنهم قابلوه بالصدود خشية أذى قريش ، وأغروا صبيانهم فصاروا يرمونه بالحجارة ليسيل الدم من قدميه.

فالتجأ إلى بستان من بساتين الطائف وتوجه إلى الله بالدعاء الذي هو سلاح الأنبياء ، وشاهد على قانون الهجرة سلام محض إذ قال (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، اللهم يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي! ولكن عافيتك هي أوسع .

إني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك)^(١).

قانون الهجرة صبر

في قوله تعالى ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ مسائل :

الأولى : ترغيب المسلمين والمسلمات بالهجرة من دار الشرك وما فيها من السلامة من أذى كفار قريش .

الثانية : بيان قانون الهجرة جهاد في سبيل الله .

الثالثة : قانون الهجرة في مرضاة الله عمل صالح ، وفيها الأجر والثواب.

الرابعة : الوعد من عند الله عز وجل بفوز المهاجرين في سبيل الله بفضل الله عز وجل ، والمدار على خواتيم الأمور .

الخامسة : من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحقق الإيواء للمهاجرين ، وعدم ضياعهم .

السادسة : هل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين ، الجواب نعم فهو إمام المهاجرين ، وكان يفتخر بالهجرة ، ويحتج بها .

و(عن عبدالله بن زيد بن عاصم، قال: لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس . فخطبهم فقال : يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي . كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن .

قال : لو شئتم قلتم : جئنا كذا وكذا ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت إمراً من الانصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبها، الانصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)^(١).

السابعة : قانون لحوق الضرر في الآخرة بسبب التخلف عن الهجرة مع إمكانها لمن يخاف على دينه عند الإقامة بين ظهرائي المشركين ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٢).

الثامنة : الهجرة تفريق بين فريقين بينهما تضاد في العقيدة والمبدأ ، فهي سلام ومنع للإحتكاك والإمتثال .

التاسعة : قانون الهجرة قوة للمؤمنين لما فيها من سلامة الدين ، والإجتماع خارج مكة التي تسود فيها مفاهيم الشرك .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٦٧٧/٣ .

(٢) سورة النساء ٩٧ .

أول سفارة إسلامية أخطر سفارة في التاريخ

المشهور أن أول سفير في الإسلام هو الصحابي مصعب بن عمير القرشي من بني عبد الدار ، ولد في مكة نحو سنة ٣٨ قبل الهجرة النبوية (٥٨٦م) ، وكان فتي مدلاً .

فقد كانت أمه ثرية وتقذف عليه بالمال واحسن الثياب والعطور والغذاء واسمها خُناس بنت مالك ، ولكنه بادر لدخول الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دار الأرقم بن الأرقم الذي يقع على أطراف جبل الصفا المجاور لمكة والمذكور في القرآن بقوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

وكان يكتم إيمانه ورأه عثمان بن طلحة يصلي فوشى به إلى أمه وقومه ، فأوثقوه وعذبوه لصده عن الإسلام ولكنه صبر على البلاء والأذى الشديد. ولما بايع اثنا عشر من الأوس والخزرج النبي محمداً بيعة العقبة الأولى بعث معهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويصلي بهم ويدعو الناس للإسلام ، لذا قيل أنه أول سفير في الإسلام ، واستشهد مصعب بن عمير في معركة أحد في النصف من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، بعد أن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كانت حجارة المشركين يومئذ تصل إليه.

فقتل ابن قمئة مصعب بن عمير وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونادى في الجمع : قتلت محمداً .

ولما استشهد مصعب مع تسعة وستين من المهاجرين والأنصار يوم معركة أحد ، لم يكف ثوبه لتكفينه فاذا غطي رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطيت رجلاه بدا رأسه فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يغطي باقي

(١) سورة البقرة ١٥٨.

جسده بالأذخر وهو نبات ورقي .

والمختار أن أول سفارة في الإسلام هي سفارة جماعية تتألف من (ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان فيهم عمار بن ياسر فإنه يشك فيه قاله ابن إسحاق ومن النساء تسع عشرة امرأة)^(١).

وهي أيضاً أخطر سفارة في التاريخ هاجروا إلى الحبشة وكانوا دعاة إلى الإسلام قولاً وفعلاً ، هربوا بدينهم بتوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الخامسة للبعثة النبوية .

ولما بعثت قريش (عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة)^(٢) إلى النجاشي ملك الحبشة للطعن في الإسلام لتشويه سمعة المهاجرين ، والتحريض على إعادتهم إلى قريش دخل وفد منهم على النجاشي ، وتكلم جعفر الطيار في حضرة النجاشي بحضور الأساقفة ورجال الحاشية ، وتلا آيات من القرآن تنزه عيسى عليه السلام ومريم بنت عمران ، فأبى النجاشي تسليمهم إلى كفار قريش .

ولم تذكر الكتب الإسلام الأولى معنى أول سفير ولكنه تردد في هذا الزمان والصلوات بين الدول ، ويمتاز المهاجرون إلى الحبشة بدخولهم بلاط الملك والإخبار عن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الملأ والرؤساء وتعاهدهم الصلاة في بلاد بعيدة تدين بدين سماوي ليكون ثباتهم على الإسلام وحسن جوار ملك الحبشة لهم ، وعدم إكراههم لترك الإسلام أو لتسليمهم لو فد كفار قريش معجزة غيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد كان طاقم أول سفارة إلى الحبشة يتألف من مائة وواحد من الرجال والنساء ، والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه يتلقون حينئذ الأذى الشديد من قريش .

(١) زاد المعاد ٢٠/٣ .

(٢) زاد المعاد ٩٤/١ .

مخاطر أول سفارة في الإسلام

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْتَلَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

أول سفارة في الإسلام هي هجرة الحبشة ، وهي أخطر سفارة في التاريخ والقول الشائع أن مصعب بن عمير هو أول سفير في الإسلام والذي بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الحادية عشرة للبعثة النبوية مع الذين بايعوه من الأوس والخزرج في بيعة العقبة الأولى وعددها اثنا عشر . ولكن أول سفارة في الإسلام بدأت في السنة الخامسة للبعثة النبوية وعددهم ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة ودخلوا بلاط الملك وتلوا فيه آيات القرآن واحتجوا بالسنة النبوية وهو أظهر من تقديم السفراء أوراق الاعتماد في هذا الزمان .

لقد ورد في الحديث المشهور عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت)^(٢) . والأذى الذي لحق ويلحق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على وجوه :

الأول : الأذى لشخصه الكريم بالإستهزاء والسخرية منه وبإدماء أهل الطائف لتقديمه لأنه خرج إليهم طالباً كف أذى قريش عنه .

الثاني : الأذى الذي لحق بني هاشم ومن أشهره الحصار الإجتماعي والإقتصادي الذي فرضته عليهم قريش لمدة ثلاث سنين من السنة السابعة للبعثة النبوية .

الثالث : الأذى الذي لحق الصحابة الأوائل من قبل أهلهم وعامة قريش وعبيدهم .

الرابع : تجهيز قريش الجيوش لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه

(١) سورة النحل ٤١.

(٢) البحار ٥٦/٣٩ .

في معركة بدر ، وأحد ، والخذق .

وفي شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية خرجت أول دفعة من مهاجري الحبشة وعددهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة.

توجهوا إلى ميناء الشعبية وهو قريب من ميناء جدة الحالي الذي انشئ أيام عثمان بن عفان مع مخاطر الطريق الذي بين مكة وجدة .

فعلمت قريش بمسيرهم ، فسعوا في اللحاق بهم ، ولكن كانت سفيتان للتجار تريدان التوجه إلى الحبشة فركبوا فيها كل فرد بنصف دينار .

وجاء رجال قريش مسرعين على الخيل ، فوجدوا السفيتين قد غادرتا

، واجتمع المهاجرون في الحبشة ولم يكن عندهم مورد رزق ولا رواتب

تدفع للاجئين السياسيين ، كما أن قريشاً لا تعرف العمل بالزراعة والصناعة

، إنما هم أهل تجارة ، قال تعالى ﴿إِلَيْلَافٍ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ *

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١) ، ثم

ازداد عددهم فصاروا ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة.

ليتصف مهاجرو الحبشة بلحاظ آية البحث بنخصال حميدة منها :

الأول : الاجتهاد بالدعاء .

الثاني : قانون الهجرة في سبيل الله عمل صالح.

الثالث : يتألف مهاجرو الحبشة من الرجال والنساء وهو من مصاديق

قوله تعالى في آية البحث ﴿أَنْبِيَ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى﴾^(٢) ،

ونزلت آية البحث في المدينة بعد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

للبشارة بالثواب على الهجرة .

الرابع : صلة القرابة واللحمة والزوجية بين المهاجرين والمهاجرات ،

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

(١) سورة قريش ١-٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

الخامس : تلقي مهاجري الحبشة الأذى الشديد من المشركين قبل الهجرة وبعدها .

السادس : عودة مهاجري الحبشة إلى المدينة ، واشتراكهم في الدفاع عن النبوة والتنزيل ، فمثلاً هاجر أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ومعه زوجته أم سلمة إلى الحبشة .

وأبو سلمة ابن عمه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم برة بنت عبد المطلب وهو أخوه من الرضاعة أرضعتها ثوية مولاة أبي لهب .

وولدت له أم سلمة في الحبشة سلمة وهو ذكر وعمر ودرة وزينب .
عن أم سلمة قالت (عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَيِّتَ أَوْ الْمَرِيضَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ فَقَالَ قُولِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عَقِبِي حَسَنَةً قَالَتْ فَقُلْتُ فَأَعْقِبْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)^(١).

ملاحقة المسلمين إلى الحبشة

لم تندم قريش على إيذائها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه ، ولم تترك المهاجرين الذين ذهبوا إلى الحبشة وشأنهم ، إنما سعت لإعادتهم صاغرين إذ أرسلت وفداً خلفهم إلى النجاشي مكرراً وخبثاً ، قال تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ وَيَمْكُرُونَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

قالت أم سلمة (فلما رأت قريش أن قد أصبنا داراً وأمناً أجمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من بلادهم وليردنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاصي ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقتة ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هياؤاً له هدية على ذي حده .

(١) مسند أحمد ٥٣/٥١ .

(٢) سورة الأنفال ٣٠ .

وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، وإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا. فقدموا عليه، فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا له هديته وكلموه وقالوا له: إنا قدمنا على هذا الملك في سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم، فبعثنا قومهم فيهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل.

فقالوا: نفعل، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، وكان أحب ما يهدى إليه من مكة الأدم، فلما أدخلوا عليه هداياه.

قالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، فبعنا إليك فيهم عشائرهم: آبائهم، وأعمامهم، وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عينا، فقالت بطارقه: صدقوا أيها الملك لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عينا، فإنهم لم يدخلوا في دينك فتمنعهم بذلك.

فغضب ثم قال: لا لعمر الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جوارى على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عينا.

فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم^(١) ولم يكن شيء أبغض إلى عمرو بن العاصي وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم، فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم.

فقالوا: ماذا تقولون، فقالوا: وماذا نقول، نقول والله ما نعرف، وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا كائن في ذلك ما كان.

فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب. فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه، فارقتم دين قومكم،

(١) أي جمع المهاجرين مع وفد قريش.

ولا تدخلوا في يهودية ولا نصرانية، فما هذا الدين .
فقال جعفر: أيها الملك كتنا قوماً على الشرك: نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه .

فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم ، ولا نعبد غيره .

فقال : هل معك شيء مما جاء به - وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله .

فقال جعفر: نعم، قال: هلم فاتل علي ما جاء به، فقرأ عليه صدرأ من ﴿كهيعص﴾^(١) فبكا والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم .

ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة الذي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا، فخرجا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله بن أبي ربيعة، فقال له عمرو بن العاصي: والله لآتينه غدا بما أستأصل به خضراءهم، لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد - عيسى بن مريم - عبد، فقال له عبد الله بن ربيعة: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً، فقال: والله لأفعلن فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله فيه، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه، فدخلوا عليه، وعنده بطارقه .

فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر: نقول: هو عبد الله

(١) أي الآيات الأولى من سورة مريم.

ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فدلّى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عويداً بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود فتناخرت بطارقتة، فقال: وإن تناحرتم والله، إذهبوا فأنتم شيوم بأرضي، والشيوم: الآمنون .

ومن سبكم غرم، ومن سبكم غرم، ومن سبكم غرم، ثلاثاً، ما أحب أن لي دبيراً، وأني آذيت رجلاً منكم، والديبر بلسانهم الذهب .
فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه .

ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، واخرجا من بلادي، فخرجا مقبوحين مردود عليهما ما جاء به .
فأقمنا مع خير جار في خير دار .

فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، فو الله ما علمنا حزناً قط كان أشد منه، فرقاً أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرف، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشي، فخرج إليه سائراً، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم لبعض: من رجل يخرج فيحضر الواقعة حتى ينظر على من تكون .

فقال الزبير - وكان من أحدثهم سناً - : أنا، فنفخوا له قرية، فجعلها في صدره ثم خرج يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس، فحضر الواقعة، فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشي عليه، فجاءنا الزبير فجعل يلح إلينا بردائه ويقول: ألا أبشروا فقد أظهر الله النجاشي، فو الله ما علمنا فرحاً بشئ قط فرحنا بظهور النجاشي، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعاً إلى مكة، وأقام من أقام^(١) .

ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون تحول الأذى العام إلى أمن وعز ونصر للمؤمنين .

(١) ابن اسحاق / السيرة النبوية ١/ ١٩٤ .

تفسير ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾

هل الذين أخرجوا من ديارهم هم أنفسهم الذين هاجروا ليكون من عطف البيان ، المختار أن النسبة بينهم هي العموم والخصوص المطلق ، وأن الذين هاجروا أعم ، فمنهم من هاجر طوعاً ولكن الآية الحقتهم بالذين أخرجوا من ديارهم .

لما فيه الهجرة من مفارقة الأوطان ، وتحمل مشاق ومخاطر السفر في طريق الهجرة ، والخشية من المجهول في دار الهجرة لولا فضل الله عز وجل بايواء الأنصار للمهاجرين ، ومؤاخاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بينهم ولأن من علة الخروج من الديار تلقي الأذى من المشركين واحتمال ازدياده .

ولبيان أن ذات الهجرة وترك الأوطان أذى يثيب الله عز وجل عليه الأجر العظيم في الدنيا والآخرة .

ومن الأجر في الدنيا المنعة وأداء الصلاة اليومية في المسجد النبوي ، ومساجد المدينة الأخرى من غير خوف أو حزن ، وفي الهجرة أمن وعز ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

والنسبة بين (ديارهم) وبين مكة عموم وخصوص مطلق ، لبيان عدم انحصار المهاجرين بأهل مكة ، ولكن الأغلبية من مكة ، ليكون من المقاصد السامية لآية البحث الترغيب العام بالهجرة أيام التنزيل ، وعدم بخش عمل عامة المؤمنين من أهل القرى واليمن وأفراد القبائل الذين هاجروا إلى المدينة بعد أن أودوا في ديارهم .

وفي بداية نزول جبرئيل بالوحي على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزوله بسورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَلَقَ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ^(١)، وبعد أن بلغ الجهد من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دخل على زوجته خديجة بنت خويلد وقال زملوني زملوني ، فدثروه (حتى ذهب عنه الروح فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي .

فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر ما رأى.

فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، يا ليتني أكون فيها جذعاً ، يا ليتني أكون فيها حياً إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أو مخرجي هم؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي ^(٢).

ليكون قول ورقة (إذ يخرجك قومك) من مقدمات الاستعداد للهجرة وأن النبي محمداً من الذين (أخرجوا من ديارهم) والإمام والرائد لهم.

(١) سورة العلق ١-٤.

(٢) الدر المنثور ١٠/٢٩٨ .

التفسير بالتقدير

وفيه وجوه :

الأول : ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ من قبل المشركين .

الثاني : ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ليستحوذ عليها المشركون ويبيعونها .

وفي يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ورد (عن أسامة بن زيد قال : قلت : يا رسول الله ، أتزل غداً في دارك بمكة ، فقال : وهل ترك لنا عقيل من رباع)^(١) .

الثالث : ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ كما أخرج من قبلهم إبراهيم الخليل وطائفة من المؤمنين .

الرابع : ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وفقدوا دورهم وأموالهم وأمتعتهم ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(٢) .

وموضوع الآية أعلاه وبلحاظ نظم الآيات وإرادة توزيع الفيء والغنائم بعد معركة بدر هم المهاجرون من أصحاب واتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو الخصوص ، وليس المؤمنين المهاجرين منهم ومن أتباع الأنبياء السابقين .

الخامس : ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ فصاروا فقراء بالعرض فهم في الأصل ليسوا فقراء ، ولم يتأخر تعويضهم بالفيء الذي بدأ عند وقوع معركة بدر ، وانتصار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيها مع غنائم ولابل كثيرة ، وسبعين أسيراً من المشركين وكانت فدية وعوض أكثر الأسرى أربعة آلاف درهم فضة .

(١) تفسير ابن كثير ٤٠٩/٥ .

(٢) سورة الحشر ٨ .

ومن الآيات أن مصعب بن عمير كان يوم بدر مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخوه أبو عزيز مع المشركين فوقع في الأسر و(قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر وهو الذي أسره ما قال قال له أبو عزيز يا أخي ، هذه وصاتك بي ، فقال له مصعب إنه أخي دونك . فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها)^(١).

ومن الآيات أن النبي محمد لم يأخذ من بدل الأسرى شيئاً إنما تركه للذين أسروهم وفوض إليهم التسامح أو إطلاق الأسير والعوض بالآجل . وهل كان هذا الترك سبباً في إندفاع شباب المسلمين للنيل من جيش المشركين في قدومهم للقتال وإطالتهم على المدينة يوم أحد ، المختار نعم .

السادس : ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وتحملوا وعشاء السفر ، ومشاق الغربة ووراء هجرة كل فرد منهم قصة وامتحان وأذى يختلف عن غيره .

السابع : ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ولاقوا البأساء والضراء في سبيل الله .

الثامن : يبين قوله تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾^(٢) علة إخراج المؤمنين وهي الإيمان .

التاسع : ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لأنهم قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

العاشر : ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مكرهين من غير رغبة منهم فأنعم الله عليهم بدار الهجرة ، وإقامة الصلاة اليومية فيها بامامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٦٤٥/١ .

(٢) سورة الحج ٤٠ .

الحادي عشر: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ليكون هذا الإخراج مقدمة للرياسة والأمرة ونيل شرف رواية حديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ صار التابعون من المسلمين يقصدون الصحابي لسماع أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منه مع إكرامه والإنصات له .

الثاني عشر: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لينالوا الثناء من الله عز وجل بهذه الخصلة الحميدة دون الناس إلى يوم القيامة .

الثالث عشر: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ليفوزوا بالثواب العظيم في الآخرة بدخول الجنة .

الرابع عشر: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لبيان أن هذا الإخراج إبتلاء وامتحان فازوا به ، ولتكون حالهم وآية البحث حجة على الذين كفروا .

الخامس عشر: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ليكون إقتداء المؤمنين بهم ، واختيار الإسلام مع العلم بتحقيق الإخراج من الديار لهذا الاختيار والنطق بالشهادتين .

السادس عشر: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ليحبهم الله ، ويسيحوا في الأرض التي هي ملك طلق لله وحده وقد تقدم قبل خمس آيات قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{(١)(٢)} .

السابع عشر: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لسوء عشرة المشركين وإقامتهم على الشرك بعد تجلي معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولمنعهم أداء الصلاة .

(١) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٢) أنظر الجزء السادس والعشرين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

فتحتى لو خرج المهاجر باختياره فانه إلزام وذم للكفار وحجة عليهم ، إذ جعل الله عز وجل بقاع الأرض كلها محلاً لعبادته .

قانون حب الله باعث على العمل الصالح

يتضمن قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١) ، الثناء على المؤمنين ، والشهادة لهم بأدائهم الصلاة اليومية ، وتعاهدهم لذكر الله ، وما في هذا التعاهد من أسباب الإحتراز من فعل السيئات^(٢).

فاذا كانوا يذكرون الله على كل حال فلا يرتكبون المعاصي والسيئات ، لتخبر آية البحث عن قانون عدم تضييع الله عز وجل عمل الصالحات ، ومنه ذكر الله عز وجل عن قيام وقعود وفي حال الإضطجاع عند المرض ومطلقاً.

فلا يختص ذكر الله عند الإضطلاع بأداء الصلاة عن مرض وداء بل يشمل ذكر المسلم والمسلمة لله عز وجل حال الإستلقاء ، وعند ايوائه للفراش ، وعند استيقاظه من النوم .
خاصة وأن النسبة بين ذكر الله الواردة في الآية أعلاه وبين الصلاة عموم وخصوص مطلقاً ، فالذكر أعم .

ليبان قانون الثناء من الله طريق إلى الجنة ، فاذا جاء ثناء من الله عز وجل لنبي أو طائفة فانه بشارة السلامة من الخزي يوم القيامة ، وقد يأتي

(١) سورة آل عمران ١٩١.

(٢) أنظر الجزء السابع والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

هذا الشئ على نحو القاعدة الكلية مثل قوله تعالى ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٢)، و﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) و﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤَكِّدِينَ﴾^(٤).

ليان قانون حب الله باعث على العمل الصالح ، ومانع من ارتكاب السيئات ، فليس من إنسان إلا وهو يرغب بالفوز بحب الله ، ومن يحبه الله عز وجل يستجيب لدعائه .

وهل تختص الإستجابة من الله عز وجل بالذين يحبهم ، يؤدون الوظائف العبادية ويتوجهون إليه تعالى بالدعاء .

ليتجلى قانون الجمع بين أداء العبادات والدعاء سعي للفوز بحب الله عز وجل للعبد ، وإثبات شئ لشي لا يدل على نفيه عن غيره ، فالإستجابة من الله عز وجل أعم وأوسع ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥).

بلحاظ أن الدعاء عبادة ، وعن عبد الله بن مسعود قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أعطى أربعاً أعطي أربعاً ، وتفسير ذلك في كتاب الله من أعطي الذكر ذكره الله لأن الله يقول ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٦)،

(١) سورة البقرة ١٩٥.

(٢) سورة البقرة ٢٢٢.

(٣) سورة التوبة ٤.

(٤) سورة آل عمران ١٥٩.

(٥) سورة الذاريات ٥٦.

(٦) سورة البقرة ١٥٢.

ومن أعطي الدعاء أعطي الإجابة لأن الله يقول ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١)،
ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة لأن الله يقول ﴿لَنُشْكِرَنَّكُمْ بِمَا شَكَرْتُمْ لَازِدًا نَّكُمْ﴾^(٢)،
ومن أعطي الاستغفار أعطي المغفرة لأن الله يقول ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾^(٣)^(٤).

وهل يصير الدعاء سبباً لحب الله للعبد ، الجواب نعم ، وهو من اللطف الإلهي إذ تدل آية البحث وتكرار قول (ربنا) خمس مرات في الآيات الأربعة السابقة على بعث المسلمين على الدعاء وأنه باب للفوز بحب الله ، وهو الذي يؤكد قوله تعالى في آية البحث ﴿أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلًا مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرَ وَأَنْتَى﴾^(٥).

و(عن كعب قال : قال موسى : أي رب : أقریب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ، قال : يا موسى أنا جليس من ذكرني ، قال : يا رب فإننا نكون من الحال على حال نعظمك أو نجلك أن نذكرك عليها؟ قال : وما هي؟ قال : الجنابة والغائط ، قال : يا موسى اذكرني على كل حال)^(٦).

الإحتجاج بالهجرة والإيواء يوم حنين

لقد ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واقعة هجرته في احتجاجه مع الأنصار يوم معركة حنين إذ وهب النبي محمد عطايا كثيرة من الغنائم للمؤلفة قلوبهم من كبار رجالات قريش الذين اسلموا يوم الفتح

(١) سورة غافر ٦٠.

(٢) سورة إبراهيم ٧.

(٣) سورة نوح ١٠.

(٤) الدر المنثور ١/ ٢٩٦.

(٥) سورة آل عمران ١٩٥.

(٦) الدر المنثور ١/ ٣٩١.

مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وحكيم بن حزام ، وعيينة بن بدر ، والأقرع بن حابس .

أعطى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كل واحد منهم مائة ناقة ، وأعطى كلاً من حويطب بن عبد العزى ، وعبد الرحمن بن يربوع خمسين ناقة يتأنفهم على الإسلام بالعطية ليؤمنوا فتكلم الأنصار .

وقالوا : فعلنا وفعلنا في سبيل الله ، فقال ابن عباس (فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم في مجالسهم . فقال : يامعشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي .

قالوا : بلى يارسول الله . قال : ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي .

قالوا : بلى يارسول الله . قال : أفلا تحيوني .

قالوا : ما نقول يارسول الله .

فقال : ألا تقولون ، ألم يخرجك قومك فآويناك ، أو لم يكذبوك فصدقناك ، أو لم يخذلوك فنصرناك .

قال : فما زال يقول حتى جثوا على الركب .

وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله تعالى ولرسوله ، قال : فنزلت ﴿قُلْ لَّا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ^(١) ^(٢) .

و(عن ابن عباس ، قال : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ

فِي الْقُرْبَى﴾ ^(٣) ، قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ قَرَابَتِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجَبَتْ

مَوَدَّتُهُمْ؟ قَالَ : عَلِيٌّ ، وَفَاطِمَةُ ، وَوَلَدَاهَا) ^(٤) .

(١) سورة الشورى ٢٣ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٥٤/١٢ .

(٣) سورة الشورى ٢٣ .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١٩٥/١٢ .

والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾^(١).

ويدل ذكر الأموال في الآية أعلاه على أن المهاجرين لم يكونوا فقراء ، ولكنهم صدقوا في إيمانهم ، وتضحيتهم في سبيل الله ، وأن هذا الفقر الطارئ عز لهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ولم تمر الأيام حتى توالى الغنائم على المدينة ، وتبدلت حالة فقر المهاجرين إلى السعة والغنى ، وهذا التبديل من الجزاء العاجل من الله عز وجل للمهاجرين الذين تحملوا المشاق في سبيل الله ، وللأنصار الذين استقبلوا النبي محمداً ودافعوا عنه ، وقاتلوا بين يديه لإقرارهم بصدق نبوته ، ومن مصاديق ثناء الله عز وجل عليهم بصدق إيمانهم وإخبار القرآن بأن غايتهم هي مرضاة الله ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٣).

وقد ذكرت الآية أعلاه ثلاث خصال للمهاجرين وهي :

الأولى : الإيمان .

الثانية : الهجرة .

الثالثة : الجهاد في سبيل الله .

وذكرت خصلتين للأنصار وهما :

الأولى : إيواء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من

المهاجرين .

الثانية : نصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة الحشر ٨.

(٢) سورة المنافقون ٨.

(٣) سورة الأنفال ٧٤.

وذكرت الإيمان سوراً جامعاً لهم ، وهل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ في وصف المهاجرين مرتبة وتفضيل خاص لهم ، الجواب نعم لإرادة أنهم ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾^(١) ، مع ذكر الآية للإيمان كسور جامع لهم وللأنصار بقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

وهل يدل هذا التفصيل على أن خلافة الرسول تكون في أهل البيت والمهاجرين الأوائل ، الجواب نعم ، ومن معانيه وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأنصار .

وعن أنس في آخر مرة صعد فيها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر (ولم يصعد بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه وقال أوصيكم بالأنصار فانهم عييتي وكرشي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي عليكم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)^(٢).

ولم ترد الآية بصيغة الطرد فلم تقل (وطردوا من ديارهم) لتنزيه المؤمنين عن لغة الطرد ، وما فيها من الذم ، كما تدل عليه قوله تعالى ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُورُهُمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

قانون التلاوة دعاء

من إعجاز القرآن أنه مدرسة أدعية الأنبياء ابتداء من آدم عليه السلام ، فما أن علّمه الله عز وجل الأسماء كلها حتى اتخذها وسيلة للتقرب إليه

(١) سورة الواقعة ١٠.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٢٩٤.

(٣) سورة هود ٢٩-٣٠.

تعالى وسؤال العفو والمغفرة إذ ورد على لسانه ولسان حواء في التنزيل ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

فمن البهاء في عمارة الإنسان للأرض أن تبدأ بالدعاء والاستغفار ليقتردي بهما أبناء آدم وذريته وأجيال المسلمين ، ثم جاءت أدعية نوح في القرآن وهي متعددة منها ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(٢) وسميت سورة من القرآن باسم سورة نوح .

ومع قلة آياتها وهي (٢٨) آية ففيها اثنا عشر دعاءً وشكوى إلى الله مع إقامة نوح الحجة على قومه في الدعوة والتبليغ ، وقيامه بالإعداد لتكون خارطة طريق للمؤمنين في الأجيال المتعاقبة في الدعوة إلى الله عز وجل . وتضمن القرآن أدعية إبراهيم عليه السلام وهي أدعية كثيرة ، ويستقرأ منها قرب بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنها ما هو مقدمة وتهيئة لهذه البعثة ، والأمن للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، والحرب على عبادة الأصنام ، ومنها قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٣) ، و﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٤).

(١) سورة الأعراف ٢٣.

(٢) سورة نوح ٢٨ .

(٣) سورة إبراهيم ٣٥ .

(٤) سورة إبراهيم ٤١.

وأدعية يوسف في القرآن ، منها ﴿تَوَقَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ﴾^(١) وكثرة أدعية موسى عليه السلام منها ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ
إِلَى مَن خَيْرَ فُقَيْرٍ﴾^(٢).

وأدعية يونس وأيوب وسليمان ، وزكريا ، وعيسى عليه السلام ،
وأدعية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلقين من عند الله عز وجل
﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣).

مكارم الأخلاق في السجن

كان يوسف عليه السلام يعود المريض من السجناء ويعزي حزينهم ،
ويحسن في تعبيره لبعضهم رؤياه ، ويخشى الله ويتقه فجاءت سيرته درساً
وموعظة لأصحاب السجن.

وعن الصادق عليه السلام: كان يوسف في المجلس ويقرض المحتاج.
وبيين قوله تعالى ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا
الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(٤)
موضوعية وشأن تأويل الرؤيا ، فقد جعله الله عز وجل سلاحاً بيد يوسف
يوظفه للدعوة الى الله وللنجاة من السجن وإنقاذ أهل مصر ومن حولها من
المجاعة بتوليهِ الوزارة ، وهي وجه من وجوه الدعوة الى الله ، ومناسبة لبثها
في عالم أوسع ، وجعلها رحمة ينتفع منها الناس ، وتكون حجة للمؤمن
وحجة على الكافر.

لقد أجابهم يوسف عليه السلام بالوعظ والدعوة إلى توحيد الله

(١) سورة يوسف ١٠١.

(٢) سورة القصص ٢٤.

(٣) سورة طه ١١٤.

(٤) سورة يوسف ٤١.

وعبادته وإخلاص الطاعة عبر البيئة وصيغ الإقناع في أسلوب جاء دعوة للاقتداء به في الفتيا ولينهله منه من يتوجه له الناس في أمور دينهم وأسرارهم الروحية تعظيماً لشعائر الله .

ثم جعل يوسف عليه السلام ذلك سبباً رزقه الله من خلاله القدرة على تأويل الرؤيا ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾^(١).

ليبان أن تعبير الرؤيا منحصر بأهل الإيمان والتوحيد ويكون عند غيرهم ولكن بالواسطة والمحاكاة والتعلم والاتفاق والصدفة في درك التأويل والغاية لسعة رحمة الله ، وانتفاع الناس جميعاً من الرؤيا .

وهذه الآية وفق مضامين تفسير القرآن بالقرآن بيان لعجز الملاء من الوجهاء عن تأويل رؤيا الملك وتعبيرها ، وهي السبب وراء اطمئنان وثقة من نجا من السجن وعمل عند الملك وشهادة لحسن تأويل يوسف عليه السلام لهما.

وفيه شاهد بأن مكارم الأخلاق ملكة حميدة وإرث كريم يتوارثه المؤمنون ، ويظهر في سجاياهم وأقوالهم وأفعالهم الحسنة مع الناس جميعاً ، من غير إيذاء أو إضرار بأحد .

تفسير ﴿ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي ﴾

تبين الآية لحوق الأذى للمؤمنين سواء بالقول أو الفعل ، بالنفس أو العيال أو المال ، ومن الإعجاز في الآية ذكر الأذى على نحو الخصوص وليس العذر ، لأن الضرر أشد وطأة ، والنسبة بينه وبين الأذى عموم وخصوص مطلق ، قال تعالى ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾^(٢)^(٣).

(١) سورة يوسف ٣٧.

(٢) سورة آل عمران ١١١.

(٣) أنظر الجزء الثاني والثمانين من تفسيري للقرآن الذي أختص بتفسير هذه الآية .

نعم من المؤمنين من يتلقى الأذى الشخصي ، فلا يتعارض مع إنتفاء الضرر العام في الآية أعلاه ، ومن هذا الإنتفاء سلامة المسلمين من الهزيمة في أي معركة من معارك الإسلام الأولى .

وتضمنت آية البحث الإخبار عن قتال المسلمين للمشركين ، وسقوط عدد من المسلمين قتلى إذ سقط أربعة عشر شهيداً في معركة أحد ، والقتل أشد الضرر ، لتدل الآية أعلاه ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾^(١) على إنتفاء الضرر العام للمسلمين ، خاصة وأن القتلى منهم شهداء أحياء عند الله عز وجل .

والدنيا دار ابتلاء وامتحان يلاقي الإنسان فيها فرائد السعادة ، ويواجه أسباب الأذى ، وكل فرد منها من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً .

وأخبرت آية البحث عن قانون الأذى في سبيل الله ، وأن المؤمن قد يصاب بالأذى الشديد لدخوله الإسلام وطاعته لله ورسوله استجابة لأمر الله الذي يحمل على الوجوب في قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) (٣) .

وقد يأتي الأذى بالعرض في طاعة الله ، وهذه الآية تقييد للأذى الذي يترتب عليه الأجر والثواب بأنه خاص بالأذى الذي في سبيل الله ، وهو من مصاديق ما ورد في آية البحث ﴿أَنْبِيَ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرِ أَوْ أَنْتَى﴾^(٤) .

(١) سورة آل عمران ١١١ .

(٢) سورة آل عمران ١٣٢ .

(٣) أنظر الجزء الثامن والتسعين من تفسيري للقرآن الذي اختص بتفسير هذه الآية .

(٤) سورة آل عمران ١٩٥ .

تفسير ﴿وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا﴾

وردت آية البحث بصيغة الماضي للإخبار عن حدوث اقتتال بين المسلمين والذين كفروا ، وسقوط قتلى شهداء من المسلمين في المعارك. وجاء هذا الإخبار بعد ذكر الهجرة ولكن موضوعه أعم لوقوع قتلى من الأنصار ، وأكثر قتلى المسلمين الأوائل من الأنصار .

فقد كان عدد قتلى المسلمين يوم بدر أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار .

ومع إشتراط عتبة بن ربيعة أن يبارزهم رجال من قريش إلا أن الله أخزاه وأخاه شيعة وابنه الوليد بن عتبة إذ سقطوا قتلى يومئذ .

أما في معركة أحد التي وقعت في النصف من شوال من السنة الثالثة للهجرة ، فكان عدد قتلى المسلمين سبعين شهيداً ، أربعة من المهاجرين والباقي من الأنصار .

(وعن ابن إسحاق : قتل من الانصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون ، أربعة من المهاجرين: حمزة و عبدالله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان والباقيون من الانصار ، وسرد أسماءهم على قبائلهم.

وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين، فصاروا سبعين على قول ابن هشام.

وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين، وهم اثنان وعشرون رجلاً^(١).

ولم يرد لفظ ﴿وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا﴾ في القرآن إلا في آية البحث لبيان أنه موضوع مستقل .

ولم تذكر الآية المسلمين والمسلمات الذين قتلوا صبراً من دون قتال ، الجواب تدل هذه الآية على ذكرهم بالدلالة التضمنية كما جاءت آيات قرآنية

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٩٢/٣ .

أخرى بشمولهم ، منها قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾^(١).

ومنه الإنفاق فقد ترد آية بالأمر بالإنفاق مطلقاً من غير تقييد القصد والغاية ، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٢).

ثم تأتي آيات تقييد الإنفاق بأنه في سبيل الله كما في قوله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣) ، بالإضافة إلى آيات الإنفاق التي وردت بصيغة الجملة الخبرية منها قوله تعالى ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾^(٤) ، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٥).

وهل يدل هذا التقييد على أن كل إنفاق لابد أن يكون في سبيل الله ، وبقصد القربة إلى الله ، الجواب نعم ، لإرادة الأجر والثواب ، حتى إذا كان الإنفاق على الكافر فهو من الإحسان لقانون الرفق والتراحم العام ، وموضوعية نية المسلم في الإنفاق وأنه لهداية الناس عامة ، و(عن عمر بن الخطاب قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله

(١) سورة محمد ٤.

(٢) سورة البقرة ٢٦٧.

(٣) سورة البقرة ١٩٥.

(٤) سورة البقرة ٢٧٢.

(٥) سورة الشورى ٣٨.

ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه^(١)، قال تعالى ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وقد تقدم في باب الإعراب واللغة تعدد معاني حرف العطف في ﴿وَقَاتِلُوا﴾ و﴿وَقَاتِلُوا﴾ وأن كلا منهما تفيد العطف والاستئناف مع بيان دليل هذا الجمع والتفصيل فهناك طائفة من الصحابة هاجروا واوذوا في سبيل الله ، وقاتلوا ، فتكون الواو في ﴿وَقَاتِلُوا﴾ للعطف .

وهناك رهط من الصحابة لم يهاجروا كالأنصار ، والذين لم يؤذوا في سبيل الله كالذي أسلم حديثاً ولكنهم قاتلوا حال إسلامهم لتفيد الواو في ﴿وَقَاتِلُوا﴾ الاستئناف كما في عمرو بن ثابت بن وقش الأنصاري الذي تأخر إسلامه لأن له مالاً ربوياً وخشي ضياعه .

فلما زحف كفار قريش وحلفاؤهم على المدينة لمعركة أحد أسلم وخرج للقتال مع النبي وأصحابه ، ورأه بعض المسلمين ، فقالوا له : إليك عنا ، فقال : إني آمنت ، ثم قاتل حتى اثبتته جراحه ، فحملوه إلى قومه بني عبد الأشهل ، فسألوا عن سبب خروجه للقتال هل هو حمية لقومه أم طمعاً في الغنائم ، أم غضب لله ورسوله .

إذ جاءه (سعد بن معاذ فقال لأخيه سلمة: حمية لقومه أو غضبا لله ولرسوله فقال: بل غضب لله ورسوله فمات فدخل الجنة وما صلى الله صلاة)^(٣).

(فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة)^(٤).

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٣/٣٣٨.

(٢) سورة البقرة ١٩٥.

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة ٢/٢٨٣ .

(٤) عيون الأثر ١/٤٢٣ .

والقرآن يفسر بعضه بعضاً فاذا ذكرت آية البحث قتال المسلمين للذين كفروا من قريش فان آيات أخرى قيدت القتال بأنه في سبيل الله ، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّا لِلَّهِ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

إذ قيدت الآية أعلاه من سورة البقرة القتال من جهتين :
الأول : كون القتال في سبيل الله ، وليس حمية أو ثأراً أو طمعاً في غنائم أو رياء وشهرة .

الثاني : لا يقاتل المسلمون إلا الذين يقاتلونهم من المشركين بمعنى أن المشركين هم الذين يبدأون القتال كما في معركة بدر أو هم الذين يزحفون نحو المدينة للقتال كما في معركة أحد إذ قطع المشركون أربعمائة وخمسين كيلو متراً من مكة إلى أطراف المدينة بعد أن كانوا يتوعدون ويهددون بالقتال مدة سنة كاملة من حين خسارتهم المدوية في معركة بدر .
أو تأتي جيوش قريش وحلفائها ليطوق عشرة آلاف منهم المدينة في معركة الخندق والتي سماها الله عز وجل الأحزاب بقوله تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾^(٢).

بحث أصولي

المطلق لغة ما سُرح وأُخلي ، والطالق من النساء التي انقطع عقد زواجها بالتخلية والإرسال ، والطالق من الإبل التي أطلقت في المرعى ولا قيد لها .
وفي اللغة يأتي الألف واللام لبيان الجمع والإشراك ، والكتاب الإنسان.

(١) سورة البقرة ١٩٠.

(٢) سورة الأحزاب ٢٢.

وقد يأتي الألف واللام ولا يدل على العموم والجمع من جهتين :

الأولى : إفادة العهد مثل ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾^(١) ، إرادة فرد مخصوص مثل لفظ ﴿الْفَارِ﴾ ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنِّي أَنزَلْتُ لَكَ الْفَارَ عَلَيْهِ وَأَيُّهُ بِجَنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) والمقصود غار حراء عند هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وملاحقة كفار قريش له ، مثل اسم الشجرة ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٣) ، ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٤) أي الشجرة التي كانت في الحديبية ، وعن قتادة ({ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم } .

قال : الوقار والصبر وهم الذين بايعوا زمان الحديبية وكانت الشجرة فيما ذكر لنا سمرة ، بايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه تحتها ، وكانوا يومئذ خمس عشرة مائة فبايعوه على أن لا يفروا ، ولم يبايعوه على الموت^(٥) .

الثانية : امتناع اللفظ عن الجمع والإشتراك كما في لفظ الإله لاستحالة وجود إله غير الله ، قال تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ

(١) سورة المزمل ١٦.

(٢) سورة التوبة ٤٠.

(٣) سورة الفتح ١٨.

(٤) سورة الفتح ١٨.

(٥) الدر المنثور ٩/٢٢٢.

يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

وقد يأتي القيد بمعنى الضبط والمنعة .

والمطلق في الاصطلاح هو ما دلّ على شائع في جنسه والنكرة في سياق الإثبات ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢).

والمطلق والمقيد من مباحث الأصول .

ومن تقسيمات الواجب ، أنه يقسم إلى قسمين :

الأول : الواجب المطلق ، ومنه الصلاة لا تترك بحال ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (٣).

الثاني : الواجب المشروط أو المقيد مثل حج بيت الله الحرام فانه مقيد بالإستطاعة ، والصيام مقيد بالصحة والحضر ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

ذكر فرد معين وهو المعرفة ، قوله تعالى ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مطلق وحده ما دلّ على الماهية بالذات والوصف الخاص ، أما المقيد فهو الذي يدل على معين بوصف زائد مثل ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ .

(١) سورة الأعراف ٥٨.

(٢) سورة البقرة ٦٧.

(٣) سورة النساء ١٠٣.

(٤) سورة البقرة ١٤٨.

وبيّن المطلق بالأمثلة التي تدل على ضده ، والحسن يظهر حسنه الضد ، وبالضد تتميز الأشياء ، ويمكن ان نستحدث علماً خاصاً في المقام وهو تقسيم التقييد إلى أقسام :

الأول : التقييد المتحد ، كما في قوله تعالى ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(١) ، ثم جاء قيد الإيمان في قوله تعالى ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾^(٢) .

الثاني : التقييد المتعاقب ، كما في القول : صل فهو مطلق . وصل العيد ، مقيد ويكون مطلقاً للقول : صل العيد في المسجد ، وهذا المقيد الأخير يكون مطلقاً بالنسبة للقول : صل العيد في المسجد جماعة .

وقد لا يدل التقييد على الحصر ، إنما يفيد البيان والتعدد كما في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾^(٣) ، وجاء لفظ الدم مطلقاً ، بينما ورد مقيداً بقوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾^(٤) .

الثالث : التقييد المتنوع كما في تقييد السنة لحكم السرقة . ويكون هذا التنوع من جهات كما في قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥) فان التقييد من جهتين : الأولى : الكيف ، إذ ورد في السنة القطع من مفصل الكف ، وقد ورد القطع من رؤوس الأصابع عن الإمام الجواد عليه السلام ، ولكن لو دار

(١) سورة النساء ٩٢.

(٢) سورة النساء ٩٢.

(٣) سورة المائدة ٣.

(٤) سورة الأنعام ١٤٥.

(٥) سورة المائدة ٣٨.

الأمر بين القطع من أصول الأصابع ومفصل الكف ، فيكون من أصول الأصابع لوجوه :

الأول : عمومات قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١).
الثاني : الإكتفاء بالأقل .

الثالث : التخفيف عن الحكم والمحكوم وعامة الناس .

الرابع : عمومات درء الحدود بالشبهات .

الخامس : صدق اسم اليد على الأصابع بقوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾^(٢) .

السادس : قوله تعالى ﴿وَأَنَ الْمَسَاجِدِ لِلَّهِ﴾^(٣) . والكفان من المساجد السبعة في الصلاة .

الثانية : الحكم إذ قيدت السنة النبوية مقدار السرقة التي يكون فيها القطع إذ ورد عن (عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً)^(٤) .

وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب قال إن أول حد أقيم في الإسلام لرجل أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرق فشهدوا عليه .

فأمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقطع .
 فلما حف الرجل نظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كأنما سقى فيه الرماد ، فقالوا : يا رسول الله ، كأنه اشتد عليك قطع هذا! .

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة ٧٩ .

(٣) سورة الجن ١٨ .

(٤) الدر المنثور ٣/٣٧٥ .

قال : وما يمنعي وأنتم أعون للشيطان على أخيكم ! قالوا : فأرسله .
قال : فهلا قبل أن تأتونني به ، إن الإمام إذا أتى بحد لم يسغ له أن يعطله)
(١).

ومن إعجاز آية البحث جمعها بين المطلق والمقيد أما المقيد فهو
الإستجابة للأدعية الواردة في الآيات الأربعة السابقة بدلالة (الفاء) في
﴿فَاسْتَجَابَ﴾ التي تفيد العطف والإستئناف ، وورد التقييد في خصال
المؤمنين الحميدة التي ذكرتها آية البحث وهي :
الأول : قيد الهجرة .

الثاني : قيد الإخراج من الديار .

الثالث : قيد تلقي الأذى ، وهذا القيد مطلق بالنسبة لقيد ﴿فِي سَبِيلِ
اللَّهِ﴾ و﴿وَأَوْذَوْا فِي سَبِيلِ﴾ .

الرابع : التقييد في عدد الجنات ، وهو سبعة .
وأما المطلق في الآية فمن وجوه :

الأول : قبول وتوثيق وإحصاء الله عز وجل لكل عمل عمله المؤمنون
بقوله تعالى ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ﴾ وهذا العمل مقيد بصفة محذوفة وتقديره : لا
أضيع عمل صالح .

الثاني : الإطلاق في الجنس الذكر والمؤنث ، وقبول العمل من المؤمنين
والمؤمنات .

الثالث : الإطلاق في التداخل بين المؤمنين والمؤمنات بقوله تعالى
﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ .

الرابع : الإطلاق في محو السيئات من جملتين :
الأولى : جميع السيئات .

الثانية : محو سيئات كل مؤمن ومؤمنة .

الخامس : دخول المؤمنين الذين عملوا الصالحات التي ذكرتها آية البحث الجنة .

وروي عن ابن عباس (أنها سبع جنات)^(١) .
وقول أنها ثمان جنان منها دار السلام ، جنة الخلد ، دار المقامة ، جنة المأوى ، جنة عدن ، الفردوس .
فلفظ (جنات) في الآية نكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق ، وقيدت بالآيات القرآنية والسنة النبوية ، منها قوله تعالى ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٢) .

السادس : الإطلاق في حسن الثواب من الله عز وجل ، فكل ثواب من الله هو حسن ، ولا يجزي بالثواب الحسن إلا الله تعالى ، ويؤتيه عبادة المؤمنين في الدنيا والآخرة .

علم المناسبة

لقد جمعت آية البحث بين القتال والقتل وعلى نحو العطف بكلمتين ، فلم يرد قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا قُتِلُوا﴾ ، في القرآن إلا في آية البحث ، وتحتمل وجوهاً :

الأول : قاتلوا في سبيل الله وقتلوا كما في شهداء معركة أحد السبعين ، فتكون الواو في ﴿وَقَاتِلُوا﴾ واو العطف .

الثاني : وقاتلوا ولم يقتلوا ، فتكون الواو واو استئناف .

الثالث : المؤمنون والمؤمنات الذين قتلوا صبراً في طاعة الله من غير أن يقتلوا ، لقد ورد لفظ ﴿قُتِلُوا﴾ خمس مرات في القرآن ، وهي على ثلاث وجوه :

(١) تفسير البحر المحيط ١/١٣٤ .

(٢) سورة الرحمن ٤٦ .

الأول : وردت أربع آيات في الثناء على شهداء الإسلام والإيمان منها قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١)

وماتوا لبيان عدم انحصار الأجر والثواب بالقتال والقتل في سبيل الله ، بل يشمل المؤمن الذي عمل الصالحات ومات على الفراش ، وذكرت الهجرة في الآية أعلاه كمثال جهادي في طاعة الله وليس للحصر .

الثاني : وردت آية في ذم الذين كفروا ، وتحذير المسلمين عن سيرتهم ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْيُسِيئَ وَيُبْغِضُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢) .

الثالث : وردت آية في إنذار ووعيد الذين وأدوا البنات وقتلوا أولادهم خشية الإملاق ، قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٣) .

ومن إعجاز الآية أعلاه صيغة الماضي في ﴿قَتَلُوا﴾ للبشارة للمسلمين وخاصة النساء بانقطاع الوأد وذبح النساء .

من أشعار يوم بدر

لقد جاء شعر حسان بن ثابت لتبكيك الذين كفروا بلغة الشعر التي كانت سائدة عند العرب ، وفيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر يوم بدر ، وإنذار المشركين من العودة لميدان القتال ، إذ قال :
(عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَثِيبِ ... كَخَطِّ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ

(١) سورة الحج ٥٨.

(٢) سورة آل عمران ١٥٦.

(٣) سورة الأنعام ١٤٠.

تَدَاوَلَهَا الرِّيحُ وَكُلَّ جَوْنٌ ... مِنَ الْوَسْمِيِّ مِنْهُمْ سَكُوبٌ
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خُلُقًا وَأَمْسَتْ ... يَبَابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَبِيبِ
فَدَعَّ عَنْكَ التَّذَكُّرُ كُلَّ يَوْمٍ ... وَرَدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكَثِيبِ
وَوَخَّرَ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ ... بِصِدْقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ الْكَذُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِكُ غَدَاةَ بَدْرٍ ... لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حَرَاءٌ ... بَدَتْ أَرْكَانُهُ جَنَحَ الْغُرُوبِ
فَلَقَيْنَاهُمْ مَنَا بِجَمْعٍ ... كَأَسَدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشَيْبِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وَازَرُوهُ ... عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْحُرُوبِ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٍ ... وَكُلَّ مُجَرَّبٍ خَاطِي الْكُفُوبِ
بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفُ وَازَرَتْهَا ... بَنُو النَّجَارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ
فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحًا ... وَعَتَبَةً قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ
وَشَيْبَةً قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالٍ ... ذَوِي حَسَبٍ إِذَا نَسَبُوا حَسِيبِ
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا ... قَذَفْنَاهُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ
أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا ... وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
فَمَا نَطَقُوا ، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا ... صَدَقْتَ وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبِ^(١) .

وهذا الشعر من الإستثناء الوارد في تنزه أهل الإيمان من الدماء الذي يلحق شعراء أهل الكفر والضلالة الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^(٢) ، والإستثناء هو ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣) .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٦٣٩/١ .

(٢) سورة الشعراء ٢٢٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢٢٧ .

و(عن كعب بن مالك أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله قد أنزل في الشعراء ما أنزل فكيف ترى فيه؟ فقال : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه - والذي نفسي بيده - لكأنما بوجههم مثل نضج النبل)^(١).
وعلى الجانب الآخر رثت بعض نساء قريش أهل القليب إذ قالت صفة بنت مسافر)

يَا مَنْ لَعِنَ قَذَاهَا عَائِرُ الرَّمْدِ ... حَدَّ النَّهَارِ وَقَرْنَ الشَّمْسِ لَمْ يَقْدِ
أَخْبِرْتُ أَنْ سَرَاةَ الْأَكْرَمِينَ مَعَا ... قَدْ أَحْرَزَتْهُمْ مَنَائِهِمْ إِلَى أَمَدٍ
وَفَرَّ بِالْقَوْمِ أَصْحَابُ الرِّكَابِ وَلَمْ ... تَغْطِفْ غَدَاتُذْ أُمِّ عَلِيٍّ وَلَدٍ
قَوْمِي صَفِيٍّ وَلَا تَنْسَى قَرَابَتَهُمْ ... وَإِنْ بَكَيْتِ فَمَا تَبْكِينَ مِنْ بَعْدِ
كَأَنَّا سَقُوبَ سَمَاءِ الْبَيْتِ فَانْقَصَفَتْ ... فَأَصْبَحَ السَّمَكَ مِنْهَا غَيْرَ ذِي عَمَدٍ^(٢).
وفي رثاء النساء لهم شاهد على النقص في رجالهم ، والإرباك والكبت الذي أصابهم .

مخاطبة النبي (ص) القتلى المشركين

لقد وقعت معركة بدر في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، إذ ابتدأ مشركو قريش القتال فيها ، ولم تستمر إلا يوماً واحداً ويسقط عندها سبعون قتيلاً من رجال قريش ، فيسحبون إلى القليب ، ويخاطبهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بعد ثلاث ليال : وقف عليهم وقد ركب راحلته وأمر بالرحيل من آخر الليل .

فقال : يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً.

وقال لهم فيما قال : بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتُموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتُموني ونصرني الناس ، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم .

(١) الدر المنثور ٤٢١/٧.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٠/٢ .

فقال له عمر : يا رسول الله تخاطب أقواماً قد جيفوا ، فقال : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون^(١).
(قال ابن إسحاق : وحدثني حميد الطويل . عن أنس بن مالك ، قال سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وسلم من جوف الليل وهو يقول يا أهل القلب ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام . فعددت من كان منهم في القلب : هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً .

فقال المسلمون يا رسول الله أتنادي قوماً قد جيفوا ؟ قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني . قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم هذه المقالة .

يا أهل القلب بشس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتُموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتُموني ونصرني الناس ثم قال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ للمقالة التي قال^(٢).

قانون الإقرار بالنسخ

قال تعالى ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ لَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

من علوم القرآن النسخ والمنسوخ .

النسخ لغة الإزالة والتغيير والإبطال ، ومنه ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي

(١) ابن كثير / قصص الأنبياء ١٦٢/١ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٦٣٨/١ .

(٣) سورة النحل ١٠١ .

الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١).

ومنه الحديث بصوم رمضان نسخ كل صوم .
واستنسخه : أي اكتتبه عن كتاب حرفاً بحرف .
والنسخ في الاصطلاح تبديل ورفع حكم كلي شرعاً بآخر يأتي بعده ،
مع انتفاء الملاك في الأول .

ومنه نسخ القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، إذ نزل قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) في اليوم السابع عشر من شهر رجب من السنة الثانية للهجرة .

(وقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : أنه دخل يوماً مسجد الجامع بالكوفة ، فرأى فيه رجلاً يعرف بعبد الرحمن بن داب ، وكان صاحباً لأبي موسى الأشعري^(٣) وقد تحلق عليه الناس يسألونه ، وهو يخلط الأمر بالنهي ، والإباحة بالحظر ، فقال له علي عليه السلام : أتعرف الناس من المنسوخ .

قال : لا ، قال : هلكت وأهلك ، أبو من أنت ؟

فقال : أبو يحيى ، فقال له علي عليه السلام : أنت أبو اعرفوني .

وأخذ أذنه ففتلها ، فقال : لا تقصن في مسجدنا بعد .

وروي في معنى هذا الحديث عن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس أنهما قالاً لرجل آخر مثل قول أمير المؤمنين علي عليه السلام ، أوقرياً منه . وقال حذيفة بن اليمان : لا يقصن على الناس إلا ثلاثة : أمير ، أو : مأمور ،

(١) سورة الحج ٥٢ .

(٢) سورة البقرة ١٤٤ .

(٣) كان أبو موسى الأشعري والياً على الكوفة قبل دخول أمير المؤمنين لها .

ورجل عرف الناسخ والمنسوخ. والرابع: متكلف أحقق^(١).
والإجماع على وقوع النسخ في القرآن ويدل عليه ظاهر الكتاب
والشواهد والوقائع ، وعليه الإجماع ولا عبرة بالقليل النادر .
نعم اختلف فيما وقع من النسخ كثرة وقلة فمثلاً قالت طائفة بأن آية
السيف نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية.

كما عن ابن عربي إذ قال (كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار
والتولي والإعراض والكف عنهم فهو منسوخ بآية السيف، وهي ﴿فَإِذَا
أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ
مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)،
الآية، نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية ثم نسخ آخرها أولها)^(٣)، وهو
بعيد.

وقد صدر لي أحد عشر جزءاً من (معالم الإيمان) بخصوص (آيات
السلم محكمة غير منسوخة) وهي الأجزاء ٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٤-٢١٥-٢٤٠-
٢٤١-٢٤٢-٢٤٨-٢٦٠.

الصلة المنطقية بين كل آيتين

نذكر هنا علماً مستحدثاً وهو النسبة المنطقية بين موضوع كل آيتين من
القرآن إن وجدت .

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾^(٤) وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٥).

(١) ابن سلامة / الناسخ والمنسوخ ١/١.

(٢) سورة التوبة ٥.

(٣) الإتيان في علوم القرآن ٦٩/٣.

(٤) سورة البقرة ٢١.

سَبِيلًا ﴿١﴾.

والنسبة بين موضوع الآيتين أعلاه هو العبادة العموم والخصوص المطلق فالعبادة أعم ، وحج البيت فرع منها .

وردت الآية بصيغة العموم الإستغراقي ، والجملة الخبرية ، وقيل أنها أقوى من الجملة الإنشائية أي أقوى من الأمر بوجوب الحج ، ولم يثبت هذا القول .

ويفيد الألف واللام في (الناس) العموم الإستغراقي فلم تقل الآية (ولله على المسلمين) ولا على بني آدم .

ليشمل وجوب حج بيت الله الحرام آدم وحواء ، وقد حج آدم سبعين حجة.

ففي (حديث مسائل الشامي أنه سأل عليا عليه السلام : كم حج آدم من حجة ؟ فقال : سبعين حجة ، ماشيا على قدميه ، وأول حجة حجها كان معه الصرد ، يدلّه على موضع الماء وخرج معه من الجنة ، وقد نهى عن أكل الصرد والخطاف) (٢).

ويجزي في الحج الواجب مرة واحدة ، واستدللت بهذه الآية على تكليف الكفار بالفروع كتكليفهم بالأصول لورود لفظ (الناس) في التكليف.

ولو حج المشرك هل يقبل منه ، الجواب لا ، لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (٣)، ولأن الإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار.

شمول المنافقين بندااء الإيمان والتكاليف

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) الوسائل ٢٠/٢٥٠ .

(٣) سورة التوبة ٢٨.

وتضمنت توبيخهم في جزعهم ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

وتدل آية البحث على حرمان المنافقين من الجنة لتخلفهم عن العمل في سبيل الله والصبر في طاعته ، وتحمل الأذى في سبيله ، قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

(عن جميل بن دراج قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(٣) قال : فقال هذه كلها يجمع الظلال والمنافقين وكل من أقر بالدعوة الظاهرة)^(٤).

وقوله عليه السلام هذه كلها أي نداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، وعن الإمام الصادق عليه السلام إنه سئل عن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (وعن قوله سبحانه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ فقال هذه كلها يجمع الضلال والمنافقين وكل من أقر بالدعوة)^(٥).

وفي الصحيح (عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن جميل قال: كان الطيار يقول لي: إبليس ليس من الملائكة وإنما أمرت الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فقال إبليس: لا اسجد، فما لابليس يعصي حين لم يسجد وليس هو من الملائكة .

قال : فدخلت أنا وهو على أبي عبد الله عليه السلام قال: فأحسن والله في المسألة .

(١) سورة آل عمران ١٦٨.

(٢) سورة آل عمران ١٤٢.

(٣) سورة البقرة ١٨٣.

(٤) تفسير العياشي ٨٥/١ .

(٥) تفسير الصافي ٢٤٠/١ .

فقال : جعلت فداك أرايت ما ندب الله عزوجل إليه المؤمنين من قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أدخل في ذلك المنافقون معهم؟ قال: نعم والضلال وكل من أقر بالدعوة الظاهرة وكان إبليس ممن أقر بالدعوة الظاهرة معهم^(١).

ويجب على المنافقين أداء التكاليف لنطقهم بالشهادتين ولكنهم يخرجون بالتخصيص من الأجر والثواب لاختيارهم الضلالة وإخفاء الكفر مع إعلانهم الإيمان ، والإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار لذا قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(٣)، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤).

قانون تثبيت الآية القرآنية التوحيد في الأرض

من إعجاز القرآن النفع العظيم للآية القرآنية في الدنيا والآخرة ، ومنه تهذيب النفوس ، وإصلاح المجتمعات فالآية القرآنية واسطة الفيض الإلهي ، والسلاح السماوي في الجهاد ضد مفاهيم الكفر ، والمعاصي ، ولا يحصي عدد الذين اجتنبوا السيئات بسبب الزجر الوارد في القرآن إلا الله عز وجل ، خاصة وأن هذا الإجتنب أحياناً كيفية نفسانية وعزوف وانصراف عن

(١) الكليني / الكافي ٥٦٨/٢ .

(٢) سورة غافر ٥١ .

(٣) سورة فصلت ٨ .

(٤) سورة المائدة ١٦ .

إرتكاب السيئة والفاحشة ، وفي يوسف عليه السلام قال تعالى ﴿كَذَلِكَ لَنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(١).

وقال الخليفة العباسي المأمون للإمام الرضا عليه السلام (فأخبرني عن قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٢)) فقال الرضا عليه السلام: لقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت، لكنه كان معصوما ، والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه^(٣).

ليبان تقدم جواب لولا كأداة للشرط عليها كما لو قلت (لولا السلطان لأكرمتك) والمعنى إمتناع الإكرام لضوابط وقوانين وضعها الحاكم.

ولقد امتنع هم يوسف عليه السلام بالفاحشة بفضل الله عز وجل عليه بالبرهان ، وقد تقدمت الإشارة إليه في كتابي الموسوم (تفسير سورة يوسف) والمسجل بدار الكتب والوثائق في بغداد برقم ٢٧٢ لسنة ١٩٩١ والحمد لله.

ولقد كانت الآية القرآنية مدداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حربه على الشرك ومفاهيم الضلالة ، ومنه السور المكية التي اتصفت بلغة الإنذار والوعيد بالعذاب الأليم في النار على الكفر وعبادة الأوثان ، ومنها سورة يوسف وآيات سورة الهمزة الثمانية ، وآيات سورة الكافرين ، وآيات سورة القارعة ومنها ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارُ حَامِيَةٍ﴾^(٤).

ولا تنحصر محاربة الآية القرآنية للكفر ومفاهيم الشرك والضلالة بأيام التنزيل بل هي متجددة في كل يوم إلى يوم القيامة ، وهو من رشحات

(١) سورة يوسف ٢٤.

(٢) سورة يوسف ٢٤.

(٣) البحار ٨٢/١١ .

(٤) سورة القارعة ٨-١١.

وجوب قراءة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات يومياً ، وعلى نحو الوجوب العيني .

ومع التداخل بين الشعوب والتقارب بينها بوسائط النقل ، وشبكات التواصل الاجتماعي تتجلى وظائف قدسية متجددة للآية القرآنية ، ومنها آية البحث التي تخبر عن استجابة الله عز وجل لأدعية المسلمين المتعددة ، وتعلق موضوع الإستجابة بأمور الدنيا والآخرة إذ يشمل قوله تعالى ﴿أَنِّي لَأُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أُنْشَىٰ﴾^(١)، الرزق الكريم وقضاء الحاجات وصرف البلاء في الدنيا .

وتفضل الله عز وجل بالأجر والثواب في الآخرة ، وفيه وجوه :

الأول : قانون تثبيت المسلمين في مقامات الإيمان ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢).

الثاني : قانون ترغيب للناس كافة إلى سبل الهداية والصلاح .

الثالث : قانون اتخاذ الدعاء مسلكاً وطريقاً مباركاً ، وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٣).

الرؤيا الصادقة باعث على الصبر

لقد أكرم الله عز وجل يوسف عليه السلام من صغره ومنه رؤياه بسجود أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ، كما في الآية أعلاه من سورة يوسف .

لقد جعل الله عز وجل القرآن ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)، ومنها قصص

(١) سورة آل عمران ١٩٥.

(٢) سورة الأنفال ٢.

(٣) سورة الفرقان ٧٧.

الأنبياء ، وموضوعية الرؤيا في حياة الأنبياء وعنايتهم بها ، وقيامهم بتأويلها وتأويل رؤيا أصحابهم ، ويوسف هو ابن يعقوب النبي .

ويدل قيام يوسف عليه السلام بتأويل رؤيا السجينين على جواز قيام العالم لتأويل رؤيا غير المسلم من أهل الكتاب وغيرهم .
لتكون رؤيا يوسف على وجوه :

الأول : البشارة بعلو منزلة يوسف عليه السلام .

الثاني : دعوة النبي يوسف للصبر والتحمل وانتظار الفرج فيما يلاقيه من الأذى .

الثالث : مواسة يعقوب عليه السلام ، وبعث السكينة في نفسه حال غياب يعقوب عنه عشرين سنة بانتظار تنجز مصداق الرؤيا ، لذا قال لولده ﴿يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢) .

الرابع : طرد اليأس والقنوط من بيوت الأنبياء ببقاء الأمل بسلامة يوسف كمقدمة لتحقيق رؤياه ، قال تعالى ﴿لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣) .

لقد رأى يوسف وعمره اثنتي عشرة سنة كأن أحد عشر كوكباً خرت من السماء وسجدت له ، كما رأى الشمس والقمر قد سجدا له مع هذه الكواكب فبادر بقصها على أبيه .

لقد علم يعقوب النبي عليه السلام تأويل رؤيا يوسف وأن الأحد عشر كوكباً هم إخوته ، إذ كانوا أحد عشر رجلاً ، والشمس والقمر أبوه وأمه . وهل كان تأويل يعقوب هذا بالوحي ومنزلة النبوة ، أم أنه بالاجتهاد ،

(١) سورة النحل ٨٩ .

(٢) سورة يوسف ٨٧ .

(٣) سورة يوسف ٨٧ .

وظهور الرؤيا.

المختار هو الأول ، وإلا كيف يكون سجود الأب والأم للابن ، خاصة
وأن الأب نبي ابن نبي ابن نبي رسول من الرسل الخمسة أولي العزم ، فهو
يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .



الجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١).

من إعجاز القرآن جمع هذه الآية بين أمور :

الأول : بعث الرسل من عند الله عز وجل .

الثاني : مخاطبة الرسل لقومهم ، ودعوتهم للإيمان .

الثالث : إعلان عيسى عليه السلام رسالته من عند الله عز وجل ليكون بلاغه وبشاراته حجة على الناس .

الرابع : إخبار عيسى عليه السلام بأنه مصدق للتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام.

ومعنى ﴿مُصَدِّقًا﴾ أي مؤمناً وشاهداً رسالياً على صدق نزول التوراة على موسى من عند الله ، وفيه دعوة لبني إسرائيل لتجديد الإيمان برسالة موسى عليه السلام ، واقتربت هذه الدعوة بالمعجزات التي جرت على يد عيسى عليه السلام ومنها إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، وقول عيسى كما ورد في التنزيل ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وفي هذه الآيات والمعجزات التي جرت على يد عيسى عليه السلام دعوة لبني إسرائيل وغيرهم للتصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله

(١) سورة الصف ٦.

(٢) سورة آل عمران ٤٩.

وسلم لأنه بشرهم برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الخامس : مجئ الرسل بالبشارات لأُمور الدنيا والآخرة وهو الذي تدل عليه مضامين الآية السابقة لآية البحث ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَكَأَنَّا تَخْزَنَانَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تَخْفُ الْمِعَادَ﴾^(١).

وهل تحتص بشارات الآخرة بدخول الجنة ، الجواب لا ، فهي أعم إذ تبدأ بدخول الميت القبر ، والأمن من ضغطة القبر ، والتوسعة في قبره واللفظ في سؤال منكر ونكير له ، وحسن النشور من القبور ، والنجاة من العطش يوم القيامة والأمن من الخوف والحزن في موطن الآخرة .
 وقد بشر الأنبياء من آدم عليه السلام برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السادس : البشارة العظمى التي جاء بها عيسى عليه السلام إلى الأجيال المتعاقبة من بني إسرائيل برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
 ترى لماذا قال عيسى عليه السلام ﴿وَبَشِّرَ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٢) ولم يقل (محمد) ، الجواب من جهات :

الأولى : تعدد أسماء النبي محمد ، و(عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لي خمسة أسماء : أنا محمد وأنا أحمد ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب ، والعاقب الذي ليس بعده نبي)^(٣).

الثانية : النبي محمد هو أحمد الحامدين لله عز وجل ، بحمده وحمده أمته لله عز وجل ، ومن الآيات في المقام تلاوة كل مسلم ومسلمة قوله تعالى

(١) سورة آل عمران ١٩٤.

(٢) سورة الممتحنة ٦.

(٣) الدر المنثور ٩/٤٩٦.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) ، سبع عشرة مرة في اليوم وإلى يوم القيامة ، وليس من دقيقة في هذا الزمان إلا وهناك أذان يرفع ومسلم يقول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سواء في الصلوات الخمسة لاختلاف أوقات الصلاة في أقطار الأرض أو خارجها في الرؤيا .

الثالثة : التورية على المشركين ، وعدم قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مهده ، فلو قال (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه محمد) لتعرض النبي محمد للأذى في مهده وفي صباه.

حتى إذا بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهاجر إلى المدينة نزلت سورة الصف وهي مدنية . مع إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل الهجرة ، وفي المدينة بعدها بأن من أسمائه أحمد ، ما رواه أبي بن كعب أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال (أعطيت ما لم يعط أحد من أنبياء الله ، قلنا يا رسول الله ما هو .

قال : نصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد ، وجعل لي تراب الأرض طهوراً ، وجعلت أمتي خير الأمم)^(٢).

الرابعة : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو حامل لواء الحمد يوم القيامة لسبقه زماناً على شريعة عيسى عليه السلام .

والماضي في الآية أعلاه من سورة الممتحنة هو رسالة موسى عليه السلام ونزول التوراة المتقدم زماناً على رسالة عيسى عليه السلام.

والحاضر هو بعثة عيسى عليه السلام ومجيؤها بالبينات ونزول الإنجيل عليه .

أما المستقبل فهو البشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . لبيان قانون بشارات الأنبياء حق صدق ، وأن الذي بشر به عيسى عليه

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) الدر المنثور ٩/٤٩٧ .

السلام حق ، فلا بد من سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مهده وصباه إلى حين بعثته بالرسالة ويدعو هذا القانون العلماء إلى إحصاء بشارات الأنبياء وبيان تنجز مصاديقها في الدنيا وقانون حتمية تحقق مصاديق بشاراتهم الأخروية .

شهادة هرقل على عصمة المسلمين من الإرتداد

من وجوه الثناء على المسلمين في آية البحث أن احتمال الانقلاب والإرتداد لا يحصل عند وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل بالدلالة التضمنية على سلامة المسلمين من الإرتداد في أيام حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما بلغ هرقل نبأ خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتصاراته ودعوته الناس للإسلام واستجابة الجماعات والقبائل له ، وتناقل الركبان لآيات التنزيل ووصول كتابه إلى هرقل بيد دحية الكلبي.

أراد هرقل أن يعلم خبره فارسل إلى أمير العرب التابع له في الشام، وأمره أن يبعث برجال من العرب يسألهم عن بعثته وأخباره، وكان أبو سفيان بن حرب في الشام في تجارة، تلك النعمة على قريش بفضل جوارهم للبيت وانتمائهم لإبراهيم الخليل وبركات التجارة في قوله تعالى ﴿إِلَّا بِقُرْشٍ﴾ * إِبْلَافِهِمْ رَحْلَةً شَتَاءً وَالصَّيْفِ ﴿١﴾ ، ولكنهم جحدوا بها واتخذوا المنافع والأرباح والأرباح التي تدرها عليهم مادة وسلاحاً لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهله وصحابه، وهو من أسباب لحوق الضرر والخزي بهم.

وجاءوا بأبي سفيان ومعه ثلاثون نفر من العرب وأدخلوا على هرقل (فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها، فقال هرقل: أرسلت إليك لتخبروني عن هذا الذي بمكة ما أمره ؟ قالوا: ساحر كذاب وليس بنبي. قال: فأخبروني من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا: هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله.

فلما أخبروه ذلك أمر بهم فأفرجوا عنه، ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره، قال: أخبرني يا أبا سفيان ؟ فقال: هو ساحر كذاب.

فقال هرقل: إنى لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال: هو والله من بيت قريش.

قال: كيف عقله ورأيه ؟ قال: لم نعب له رأيا قط.
قال هرقل: هل كان حلافا كذابا مخادعا في أمره ؟ قال: لا والله ما كان كذلك.

قال: لعله يطلب ملكا أو شرفا كان لاحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان: لا.

ثم قال: من يتبعه منكم .
(وأخرج البزار عن دحية الكلبي لما أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قيصر يدعو إلى الإسلام ، أن قيصر بحضرة دحية رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحامل رسالته سأل أبا سفيان من أتباعه ، قال : الشباب والسفلة ، قال قيصر هذه آية النبوة^(١)).

هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال: لا.
قال هرقل: هل يغدر إذا عاهد ؟ قال: لا ، إلا أن يغدر مدته هذه.
فقال هرقل: وما تخاف من مدته هذه ؟ قال: إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة.

قال هرقل: إن كنتم أنتم بدأتُم فأنتم أغدر^(٢).
وفي الخبر أعلاه مسائل :

الأولى : شهادة الأعداء بعصمة المؤمنين من الإرتداد مع حداثة عهدهم بالإسلام ليكون من باب الأولوية ثباتهم في منازلهم عند مغادرة النبي محمد

(١) البيهقي / الخصائص الكبرى ٨/٢.

(٢) ابن كثير السيرة النبوية ٥٠٣/٣.

صلى الله عليه وآله وسلم الحياة الدنيا، لذا جاءت الآية السابقة توطئة ومقدمة لهذا الثبات.

الثانية : في الخبر آية تتجلى ببعث الفزع والخوف في قلب هرقل من غزو بلاد المسلمين.

الثالثة : بعث اليأس في نفس هرقل وكسرى وغيرهما من سلاطين الدول والممالك آنذاك من إيجاد رجال وجيش من العرب لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والخشية من تزويدهم بالمال والسلاح والرواحل لرجحان وصولها إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجيش المهاجرين والأنصار .

الرابعة : خشية هؤلاء الملوك من إرسال جيوش إلى الجزيرة لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للخوف من قطع القبائل والمسلمين خاصة الطريق عليهم، لتموت جيوشهم عطشاً في الصحراء أو يدخلون الإسلام أو يقعون في الأسر .

ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أن أعداءه ينقلون ما يبعث الخوف والرعب في قلوب أطراف أكثر قوة وسلاحاً ، وما يبعث عن عزوفهم عن محاربته والإعانة عليها .

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نُصِرْتُ بِالرَّغْبِ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، وَأُعْطِيتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّلْ لِنَبِيِّ كَانَ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ خَمْسَ لَمْ يُؤْتَهَنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي^(١).

الخامسة : من معاني الرعب الذي ينتصر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم تخويف الأعداء بعضهم لبعض من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجند الإسلام.

السادسة : الهيبة العامة من النبوة والتنزيل .

(١) سيرة ابن هشام ٦٨٦/١ .

السابعة : امتلاء قلب أبي سفيان بالخوف .

الثامنة : من مصاديق الرعب الذي جعله الله سلاحاً ومدداً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، إخافة مشركي قريش بعضهم لبعض من النبي محمد ومحاربتة ، إذ يبينون في مجالسهم الخاصة وعلناً ، بذل المؤمنين أنفسهم في الجهاد والتضحية في سبيل الله .

ومنه الثناء على المسلمين الوارد في الآية ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾^(١) ، إذ يقوم الكفار بالحديث عن تمنّي المؤمنين الشهادة ويستحضرون الآيات التي تدل على الثواب العظيم الوارد في آية البحث الذي أعدّه الله لمن يقتل في سبيله ، وليس عند الكفار من ثواب أو أجر .

التاسعة : تجلي معنى من معاني الولاية المبغوضة في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعُضْمِ أُولِيَاءِ بَعْضٍ﴾^(٢) ، فمن ولايتهم هذه تخويف بعضهم لبعض ، والتحذير من إرادة محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قانون الدعاء عند المصيبة

وعن أم سلمة قالت حدثنا أبو سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتني فأجرني فيها وأبدلني بها خيراً منها)^(٣) .

وقد أصيبت أم سلمة بمصيبة وفاة أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي وهو أخو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة أرضعتها ثوية مولاة أبي لهب وهو ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برة بنت عبد المطلب ، وأصيب أبو سلمة بجرح في معركة أحد التي وقعت في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وأقام شهراً يداويه .

(١) سورة آل عمران ١٤٣ .

(٢) سورة الأنفال ٧٣ .

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٢٦٤/٦ .

فلما هلّ المحرم دعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال أخرج في هذه السرية ، وعقد له لواء ومعه خمسون ومائة من المهاجرين والأنصار إلى قطن إلى المدينة .

ولم يلقوا قتالاً ، وبعد عودته إلى المدينة انتفض عليه جرحه ، فمات لثلاث بقين من جمادى الآخرة من السنة الرابعة ، ولما انقضت عدة أم سلمة خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتزوجها ، ليكون من مصاديق الدعاء أعلاه ، واستجابة الله عز وجل له صيرورة أم سلمة من أمهات المسلمين ، قال تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(١).

وعن (أم سلمة فقالت: لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً أحب إلي من كذا وكذا سمعته يقول : لا يصيب أحدا مصيبة فيسترجع عند الله ثم يقول: اللهم عندك احتسبت مصيبتى هذه اللهم اخلفني فيها إلا أعطاه الله.

قالت أم سلمة: فلما أصيب أبو سلمة قلت ولم تطب نفسي أن أقول: اللهم أخلفني منها ثم قلت: من خير من أبي سلمة أليس أليس ثم قلت ذلك فلما انقضت عدتها أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتزوجته)^(٢).

لتجتمع خصال متعددة في مهاجري الحبشة إذ أخرجوا من ديارهم وأذوا في سبيل الله وهاجروا الهجرتين ، وقاتلوا ، ومنهم من قتل في ميدان المعركة ، كما في جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، ومن المهاجرين إلى المدينة حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي استشهد في معركة أحد ، وقبره وقبور شهداء أحد معلم شاخص ، ومزار إلى يومنا هذا.

(١) سورة الأحزاب ٦.

(٢) الإصابة في معرفة الصحابة ١٤٦/٢.

و(عن الضحاك في الآية قال : كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوماً كيوم بدر ، ييلون فيه خيراً ، ويرزقون فيه الشهادة ، ويرزقون الجنة والحياة والرزق . فلقوا يوم أحد ، فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى فقال {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً} ^(١) ^(٢)).

و(عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شئ مما يكره مما ينال أصحابه.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه .

فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمناً على ديننا، ولم نخش منه ظملاً ^(٣)).

شواهد إنذار الكفار في آية البحث

وتضمنت آية البحث الإنذار للذين كفروا من قريش ونحوهم من جهات:

الأولى : الإنذار من حمل المسلمين الأوائل على الهجرة ، وترك الأوطان لقوله تعالى في آية البحث ﴿وَأُذَوِّا فِى سَبِيلِى﴾ ^(٤) وقد آذت

(١) سورة البقرة ١٥٤.

(٢) الدر المنثور ٤٤٦/٢.

(٣) ابن إسحاق / السيرة النبوية ١٩٤/١ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٥.

قريش النبي ، وضربوا الحصار الإقتصادي والاجتماعي على أهل البيت لثلاث سنوات ، من السنة السابعة للبعثة النبوية ، وحصروهم في شعب أبي طالب خلف جبل الصفا ، وامتنعوا عن مبايعتهم ، والزواج منهم أو تزويجهم ، ولما أشد أذى قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أمر طائفة منهم بالهجرة إلى الحبشة .

وهو سبب نزول قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾^(١) ، وقال النبي لطائفة من أصحابه (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا)^(٢) .

وفي هذه الهجرة أذى للمهاجرين الذين ركبوا البحر وللنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم تكف قريش عن هؤلاء المهاجرين وعددهم ثلاثة وثمانون من الرجال سوى النساء والصبيان بل بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليردهم إليهم .

و (كان عمرو وعمارة متعادين فقالت قريش: كيف نبعث رجلين متعادين ؟ فبرئت بنو مخزوم من جناية عمارة ، وبرئت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص .

فخرج عمارة وكان حسن الوجه شابا مترفا ، فأخرج عمرو بن العاص أهله معه ، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر ، فقال عمارة لعمرو بن العاص: قل لاهلك تقبلني ، فقال عمرو: أيجوز سبحانه الله ؟ فسكت عمارة ، فلما انتشى عمرو ، وكان على صدر السفينة فدفعه عمارة وألقاه في البحر ، فتشبث عمرو بصدر السفينة وأدركوه وأخرجوه)^(٣) .

(١) سيرة ابن هشام ٣٢١/١ .

(٢) سورة .

(٣) البحار ٤١٤/١٨ .

للإنذار للكفار إذ يلقى الله عز وجل بأسهم بينهم في زجر لهم عن الإصرار على السعي في سبل الظلم والغي والجحود .

الثانية : يدل قوله تعالى ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾^(١) على مجئ الأذى للمؤمنين ومنه الأذى في سبل الهداية ، والأذى الذي يأتي من الكفار ، وكل فرد منها يلزم معه الصبر .

وتدل آية البحث على أن الإخراج من الديار أذى للمؤمنين ، وأن إيذاءهم أعم ويشمل غير إخراجهم ، لبيان شمول الآية للعناد والأذى الذي لاقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعامة أصحابه ، ومنهم :
الأول : الذين هاجروا إلى الحبشة .

الثاني : الذين هاجروا إلى المدينة المنورة .

الثالث : الذين بقوا في مكة من المستضعفين بخلاف الذين يستطيعون الهجرة وأقاموا وسط كفار قريش الذين نزل القرآن بعدم ولايتهم ، ومع هذا إذا سألوا النصره فيجب على المسلمين نصرتهم ، ليكون هذا الوجوب مقدمة لفتح مكة ، وإنقاذ المسلمين والمسلمات الذين فيها والذين تضاعف عددهم أضعافاً بعد صلح الحديبية ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢) لبيان قانون الملازمة بين إسلام أهل مكة ، ولحوقهم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته إلى المدينة إلا مع العذر ، لقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَكَأَيُّدُكُمُ الْيُسْرَ﴾^(٣) ولقاعدة نفى الحرج في الدين ، وقاعدة لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة الأنفال ٧٢ .

(٣) سورة البقرة ١٨٥ .

الثالثة : إنذار الذين كفروا وزجرهم عن غزوهم المدينة وقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وهذا الإنذار متجدد ، فنزل زجر الكفار عن محاربة الإسلام والمسلمين قبل الهجرة ثم قبل معركة بدر وبعدها ، ونزل بعد معركة أحد قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١) ، واقترن هذا الإنذار بالدعوة العامة للتوبة والإنابة والإيمان .

كما كانت السنة النبوية القولية والفعلية تدعو إلى نبذ القتال ، وتضمنت آية البحث مع إنذار الكفار ببيان الأجر والثواب للمؤمنين على صبرهم في قتال المشركين وارتقاء الشهداء إلى أسمى المراتب في الآخرة ، قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^{(٢)(٣)}.

الرابعة : إنذار الكفار في مفهوم آية البحث بالأجر والثواب للذين آمنوا وجاهدوا وقتلوا في سبيل الله ، إذ يحرم الكفار أنفسهم من الثواب في الآخرة وبالحسارة في النشأتين ، قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبُ اللَّهِ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾^(٤).

الخامسة : من خصائص القرآن إنذار الذين كفروا في النشأتين لتدل آية البحث على حرمان الذين كفروا من شم رائحة الجنة ، وليس من برزخ بين الجنة والنار ، وقد أخبر القرآن على أن مصير الذين كفروا هو الخلود في

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) سورة آل عمران ١٦٩.

(٣) أنظر الجزء السادس والخمسين بعد المائة ، والجزء السابع والخمسين بعد المائة من هذا السفر للذين اختصا بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة آل عمران ٥٦.

النار ، وفي التنزيل ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(١).

علم الإحصاء القرآني غير متناه

من بديع قدرة الله إحصاء كل شئ في عالم الأكوان والمخلوقات ، ودقائق تفصيلاتها ، وخلقها وأعمارها وأوان فنائها ، والوقائع والأحداث . ومن أسماء الله (العليم) و(المحصي) والنسبة بين صفة العلم والإحصاء عموم وخصوص مطلق ، فالعلم أعم وأوسع ، ومن إعجاز القرآن أن أول آية نزلت منه هي (اقرأ) لبيان وجوب التعلم على كل مسلم ومسلمة ، والنسبة بين المراد من القراءة والتحصيل وبين الإحصاء عموم وخصوص مطلق ، فعلم الإحصاء والحساب في الدنيا جزء من كلمة واحدة في القرآن ورد بصيغة فعل الأمر أمراً متحداً لجميع لأجيال المسلمين المتعاقبة وتقديرها (اقرأوا) بالحاق الأمة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الخطابات العامة مع تقييدها بما فيه النفع العام لقوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(٢).

وعلم الإحصاء والحساب من العلوم التي صاحبت الإنسان من أول خلق آدم عليه السلام ، وهو حاجة في أمور الدين والدنيا . وصدرت لي الأجزاء الخامس والأربعون بعد المائتين ، والجزء السابع والأربعون بعد المائتين ، والجزء الثامن والخمسون بعد المائتين من هذا السفر بخصوص علم الإحصاء القرآني .

المقولات العشرة

لكل علم موضوع ، وهو المشهور ، ولا يعني هذا إرادة الدقة العقلية إذ تتداخل العلوم في موضوعاتها ، وذات المصداق الواحد يصدق أن يكون

(١) سورة التوبة ٦٨.

(٢) سورة العلق ١-٣.

موضوعاً لعلوم متعددة بحسب اللحاظ كما في الكلمة إذ تكون مادة للفقيه في الصحة والفساد ، والأمر والنهي ، والنحوي في موضعها من الإعراب ، وعالم الصرف في ابنية الكلمة وأحوالها غير الإعراب ، والبلاغة في البيان وغيرها.

مع أن الوجوب والحرمة وباقي الأحكام التكليفية هي محمولات مسائل الفقه تعرض على المكلفين بالعرض وبواسطة الأفعال العبادية كالصلاة والصوم والزكاة .

بينما موضوع علم الفقه هو فعل المكلف وموضوع علم المعقول هو الوجود أو الموجود ، وينقسم الى :

الأول : واجب الوجود : وينفرد بهذه الصفة الله عز وجل وهو خالق كل شئ و﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

الثاني : الممكن : وينقسم الى الجوهر والمقولات التسعة العرضية ، وكلمة مقولة مترجمة من كلمة يونانية هي (category) ومعناها العلامة ، وقيل ان ارسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م هو الذي استعرض مظاهر العلم في زمانه ، وقال بأن الفكر المستقيم يتقوم بها ، واتخذها العلماء من أهل كل ملة قاعدة ، وتعرضوا لها بالشرح والبيان ، وجعلوها أصلاً في علم المنطق ، وجمعت المقولات العشرة في بيت شعر يتضمن ذكر مثال عن كل واحد منها وهو :

قمر غزير الحسن ألطف مصره ... لو قام يكشف غمتي لما انثنى

الأول : القمر : الجوهر .

الثاني : الغزير : الكم .

الثالث : الحسن : الكيف .

الرابع : ألطف : الإضافة .

الخامس : مصره : الالين .

السادس : قام : الوضع .

السابع : يكشف : الفعل .

الثامن : غمتي : الملك .

التاسع : لما : المتى .

العاشر : انثنى : الإنفعال .

تفسير ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾

تفيد اللام في لا كفروا التوكيد ، وقيل هي لام القسم ، وجاء التوكيد مرة أخرى في ذات الكلمة أعلاه بنون التوكيد الثقيلة ، وهي أشد من النون الخفيفة في مراتب التوكيد .

وفي الآية بشارة محو السيئات عن المؤمنين الذين يتصفون بالخصال الحميدة التي تضمنتها آية البحث .

وهل يشترط اجتماعها لتنجز مغفرة الذنوب ، الجواب لا ، فكل خصلة منها باب للفوز بالمغفرة ومحو الذنوب ، ليكون تقدير آية البحث على وجوه:

الأول : المسلمون الذين هاجروا ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ .

الثاني : المسلمون الذين أخرجوا من ديارهم ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ .

الثالث : المسلمون الذين أودوا في سبيلي ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ .

الرابع : الذين قاتلوا في سبيلي ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ .

الخامس : الذين قتلوا في سبيل الله ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ .

وقد تجتمع الخصال الخمسة أعلاه في شخص واحد من المؤمنين أو تجتمع أربعة أو ثلاثة أو إثنان منها في بعض المؤمنين .

ومن الآيات تقدم القيد ﴿فِي سَبِيلِي﴾ على ﴿قَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ ليكون

تقدير الآية على وجوه :

الأول : وقاتلوا في سبيلي .

الثاني : وقاتلوا مع الأذى الذي لاقوه في الهجرة من الديار والأوطان .

الثالث : وقاتلوا دفاعاً عن النبوة والتنزيل .

الرابع: وقاتلوا ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا
تَبْدِيلًا﴾^(١).

الخامس: وقاتلوا في سبيل الله وقتلهم الذين كفروا ظلماً وعدواناً كما
في شهداء الإسلام في معركة بدر ، ومعركة أحد ، ومعركة الخندق .

آية البحث حرب على الوأد

كانوا في الجاهلية إذا ولد لأحدهم بنتاً امتلاً غيظاً وتغيب عن أصحابه ،
قال تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ
الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ﴾^(٢).

ويبقى الأب حزيناً لولادة البنت ، وساخطاً على امرأته لأنها ولدت بنتاً
، وهو يحتاج الولد للقتال ويكره البنت التي قد تتعرض للسبي من قبيلة
أخرى ، فتكون عاراً عليه .

وقيل أول من وأد ابنته قيس بن عاصم المنقري التميمي ، وكان حليماً
يتصف بالكرم إذ أغار عليه أعداؤه ، فأسروا ابنته ، ثم تم بينهم الصلح ،
وخيرت ابنته ، فاختارت زوجها فألى عاصم على نفسه بدفن أي ابنة تولد له
حية .

وهذا بعيد خاصة وأن الوأد عادة بين العرب قبل زمان النبوة ، بينما
وفد عاصم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، نعم هو ممن وأد
بناته ، وقد تقدم كيفية وزمان الوأد بالنسبة للمولودة.

وقدم قيس بن عاصم (في وفد بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم وذلك في سنة تسع ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم قال: هذا سيد أهل الوبر.

(١) سورة الأحزاب ٢٣.

(٢) سورة النحل ٥٨-٥٩.

وكان عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم. قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته يوماً قاعداً بفناء داره محتبياً بمحامل سيفه يحدث قومه إذ أتى برجل مكتوف وآخر مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك .

قال : فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه، فقال: يا بن أخي بشس ما فعلت أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر: قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة^(١).

ولم تكن مسألة السبي والعار وحدها العلة التامة للوآد فقد كان العرب يقتلون بعض أبنائهم خشية الإنفاق عليهم ، أو للفقر وقلة ما في اليد ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنِ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا﴾^(٢).

لييان فضل الله عز وجل على النساء والمسلمين عامة بنبوته محمد صلى الله عليه وآله وسلم بانقطاع الوآد برسالته ، ونزول آيات القرآن في إكرام المرأة والأولاد مطلقاً ذكوراً وإناثاً ومنه آية البحث في قبول عمل المسلمات وفوزهن بالأجر عليه لذكرها عمل الأنثى على نحو التعيين .

وقد تنجز وعد الله عز وجل للمسلمين في الآية أعلاه ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(٣) ، بسعة الرزق وكثرة أموال المسلمين ، وصيرورة الابن والبنت للرزق والمكاسب ، وجاء بعد الآية أعلاه بآيتين ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤).

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٠٠/١ .

(٢) سورة الإسراء ٣١ .

(٣) سورة الإسراء ٣١ .

(٤) سورة الأنعام ١٥١ .

والوَاد مما حرم الله عز وجل .

ومن إعجاز القرآن الغيري نزول آيتين من بضع كلمات لتغير النظام الاجتماعي نحو الأحسن والأصلح ، وتقضي على العادة القبيحة والخبث في المعاملة ، إذ نزل قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(١) ، ليمتتع العرب عن وأد البنت للإشعار بنزول الظلم بها ، وأنها قُتِلَتْ من غير ذنب ، وهذا لا يمنع من توجيه السؤال أيضاً إلى اللأب القاتل بأي ذنب قتلها .

وهذا الإخبار عن عالم الآخرة ، من مصاديق الهدى وعلوم الغيب التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾^(٢).

ومن إعجاز آية الوَاد مجيؤها بصيغة المفرد (الموءودة) ولم تقل الموءودات سئلت) ليبان مسائل :

الأولى : قلة الوَاد عند العرب .

الثانية : قانون الجناية العظيمة بقتل الموءودة الواحدة .

الثالثة : الدعوة السماوية لإكرام كل مولود ذكراً كان أو أنثى ، وهو الذي تدل عليه آية البحث ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾^(٣).

الرابعة : إخبار القرآن بأن التباين في النفع من الأولاد من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، قال تعالى ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾^(١).

(١) سورة التكوين ٨-٩.

(٢) سورة النجم ٢٣.

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

أي النفع في الدنيا والآخرة ، وقد تكون البنت أكثر نفعاً للأب والأم ، وفيه شواهد يومية في المجتمعات المختلفة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ^(١).

ومن الإعجاز في الحديث النبوي أعلاه العموم الإستغراقي بلفظ (الإنسان) وفي رواية أخرى (ابن آدم) فدعاء الولد يصل الأب والأم في قبرهما وكذا عمله الصالحات .

(وروي عنه عليه السلام أنه قال : لكون الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديقه ، فإذا لحقته ، كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها) ^(٢).

وفي هذه الأحاديث زجر عن وأد البنات وأنه ظلم محض ، وتضييع لنفع الأب من ابنته ، هذا النفع الذي تذكره آية البحث .

وورد عن ابن عباس (أنها هي السائلة لقاتلها لم قتلت ، فلا يكون له عذر ، قاله ابن عباس وكان يقرأ : وإذا الموءودة سأل) ^(٣).

بصيغة الفعل المبني للمعلوم والذي يثد ابنته هل يسأل في القبر من قبل منكر ونكير عن هذا الوأد ، المختار نعم ، لبيان قانون نجاة المؤمنين من المسائلة المتعددة في القبر .

ومن إعجاز القرآن تعضيد آياته بعضها لبعض ، قال تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ ^(٤).

(١) سورة النساء ١١.

(٢) تفسير الثعالبي ٣٧٥/٢ .

(٣) تفسير الثعالبي ٣٧٥/٢ .

(٤) النكت والعيون ٣٨٩/٤ .

(٥) سورة النحل ٥٨-٥٩ .

فاذا أخبر أحدهم بأن زوجته ولدت بنتاً ظهرت الكراهة والإكثاب على وجهه ، وامتلاً حقناً وغيظاً ويتغيب عن قومه ومنتدياتهم ، وكأن البشارة بالنت عار وخزي ، ويتفكر هل يبقى ابنته مع اذلال وهوان لها ، أم يدفنها في التراب وهي حية .

وكان أشخاص وجماعات من أهل الجاهلية يقتلون بناتهم عند الولادة ويغذون ويطعمون كلابهم .

وبدل تفكر الإنسان بما يفعل ببنته المولودة حديثاً والإضرار بها ، تدعو هذه الآيات إلى التفكير في بديع صنع الله المقترن بطاعته في أداء الفرائض العبادية مع الدعاء رجاء العفو والرحمة من الله والنجاة في النشاطين ، كما ورد في التنزيل ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

وفيه دعوة للمسلمين لإصلاح النفوس واستقامة السيرة ، وتنزه المجتمعات من العادات المكروهة وإرتكاب الحرام وسفك الدماء بغير حق . ومن خصائص القرآن البعث على صلة الرحم في آيات متعددة ، وبه جاءت السنة النبوية .

والإمتناع عن وأد البنات من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(٢).

معاني تكفير السيئات

يكون تكفير السيئات على وجوه :

الأول : محو السيئات .

الثاني : ستر الذنوب والخطايا .

(١) سورة آل عمران ١٩١.

(٢) سورة الأنفال ٧٥.

الثالث : صيرورة السيئات حسنات ، قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).

الرابع : التأهيل للثواب بدخول الجنة ، لذا جاء ذكر دخول الجنات بعد قوله تعالى ﴿لَا تُخْزَنُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾^(٢) ، لبيان قانون المغفرة طريق إلى الجنة . ولا يعلم ثقل وضرر السيئات يوم القيامة إلا الله عز وجل ، كما أنها لا تختص بما يرتكبه الشخص من الذنوب ، بل تشمل من اقتبس منه واتبعه في فعلها .

وفي رسالة الحسن البصري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه وعمل به فله مثل أجور الذين اتبعوه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .

وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها فعليه مثل أوزار الذين اتبعوه ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً ، قال عون : وكان الحسن مما يقرأ عليها ﴿وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ...﴾ الآية^(٣)^(٤).

ومحو السيئات مقدمة لدخول الجنة ليتجلى قانون من فضل الله وهو الثواب يؤدي إلى ثواب أعظم منه ، وهذا المعنى لا يتعارض مع اجتماع محو السيئات ودخول الجنة في الثواب من الله عز وجل على الإيمان والهجرة وتحمل الأذى في سبيل الله .

لقد تقدم قبل آيتين دعاء المسلمين ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾^(٥) ، لتدل واو العطف في الآية أعلاه على التعدد بين الذنوب والسيئات .

(١) سورة الفرقان ٧٠.

(٢) سورة آل عمران ١٩٥.

(٣) سورة العنكبوت ١٣.

(٤) الدر المنثور ٢٩/٨.

(٥) سورة آل عمران ١٩٣.

وقيل الذنوب : الكبائر ، والسيئات : الصغائر .
والمراد من المغفرة الستر والعفو ، ومن تكفير السيئات إزالتها ومحوها
وصيرورتها حسنات .

وقيل (السيئات : الشرك)^(١) .
وقيل (ذنوبنا يعني ما عملوا في حال الجاهلية ، وكفر عنا سيئاتنا ، يعني
: ما عملوا في حال الإسلام)^(٢) .
ولكن مضامين الآية شاملة لأجيال المسلمين المتعاقبة ، وأكثرهم ممن ولد
لأبوين مسلمين .

والذنوب والسيئات مما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، وورد
تعدددهم في الدعاء تضرعاً وتوسلاً إلى الله عز وجل ، وإلحاحاً بالدعاء ،
وإحاطة بعالم الأفعال ، ورجاء فضل الله بالستر والعفو والمغفرة وخلو
صحائف الأعمال من الذنوب .

قانون لا يدخل الإنسان في النار إلا الله عز وجل

ليس للملائكة أو الأنبياء ادخال إنسان في النار إنما هو جزاء وحكم
يختص به الله عز وجل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَنْ يُلَاقِيَ الْمُلُوكَ الْيَوْمَ لِلَّهِ
الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣) ، وإنفراد الله عز وجل بادخال الإنسان النار رحمة بالعباد .
ونزول العفو عن كثير ممن يستحق دخولها من الظالمين والفاسقين
والفاسدين ، ومنها فتح الله عز وجل لباب الشفاعة للأنبياء والصديقين لمنع
دخول فريق ممن استحق دخول النار ، كما ويشفعون لإخراج فريق آخر ممن
دخلها ، وفي التنزيل ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾^(٤) .

(١) السمرقندي / بحر العلوم ١/ ٣٥٣ .

(٢) السمرقندي / بحر العلوم ١/ ٣٥٣ .

(٣) سورة غافر ١٦ .

(٤) سورة يونس ٣ .

ويتفضل الله عز وجل ويخرج أناساً كثيرين من النار برحمة منه ومن غير شفاعة أحد .

وانكر المعتزلة الشفاعة لمن استحق النار ، وكذا انكروا الشفاعة لمن دخل النار ، لصبغة الخلود فيها ولكن الأحاديث المتواترة تبطل قولهم ، ومنه حديث الشفاعة الطويل .

عن (أبي سعيد الخدري : ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل : يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة فيها خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم . حتى إذا خلاص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار .

يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون .
فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه .
ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول عز وجل ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار^(١) من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا .
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجوا^(٢) فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا .

(١) في رواية مثقال حبة خردل .

(٢) سهو من النساخ والصحيح هو ارجعوا .

وكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١) فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمماً^(٢).

تجليات التخفيف

ويدل واقع الحال أيام النبوة على اللطف الإلهي والتخفيف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، من جهات : الأولى : في معركة بدر التي وقعت في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة كان عدد الصحابة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الميدان ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وعدد جيش مشركي قريش تسعمائة وخمسين .

الثانية : في معركة أحد التي وقعت في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة كان عدد المسلمين ألفاً وانخزل منهم ثلاثمائة وسط الطريق إلى الميدان بأمر من رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول الذي نادى (ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس)^(٣).

ولما لحقهم عبد الله بن عمرو بن حزام والد جابر الأنصاري ، وحثهم على عدم خذلان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه قالوا : لو نعلم انكم تقاتلون لما اسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال^(٤) وهم يرون جيوش المشركين والذين كانوا يعدون للمعركة منذ سنة ومن حين يوم بدر هزيمتهم .

(١) سورة النساء ٤٠.

(٢) تفسير القرطبي ٢٥٦/٣ .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ٦٤/٢٠٠ .

(٤) ابن هشام ٦٤/٢ .

الثالثة : معركة الأحزاب التي وقعت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة حيث زحف عشرة آلاف من المشركين ، وكان عدد المسلمين يومئذ ثلاثة آلاف ، وتأتي ساعات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم خلف الخندق وليس معه سوى ثلاثمائة من الصحابة .

الرابعة : عقد صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة ، إذ سار النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحو مكة لأداء العمرة ، ومعه ألف وأربعمائة من الصحابة واضطرت قريش لعقد الصلح لعجزها عن القتال ، وتناقص عدد الرجال ، وتعطلت تجارتهم ﴿رَحَلَهُ الشِّتَاءُ وَالصَّيْفُ﴾^(١) رحلة الشتاء إلى اليمن لأنه بلد حامي ، ورحلة الصيف إلى الشام لأنه بارد ، ونزل قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) .

الخامسة : في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة سار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعه عشرة آلاف من أصحابه نحو مكة ودخلها فاتحاً مسلماً من غير قتال يعتد به وليس من طرف آخر لعقد صلح كما أن موضوع الصلح متنف بعد نقض قريش لبنود صلح الحديبية وتناقص عددهم ، وتم تنجز البشارة في قوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَدْخُلْكَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٣) .

(١) سورة قريش ٢.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) سورة الفتح ٢٧ .

وهل إزدياد عدد المسلمين من التخفيف الذي تذكره الآية ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾^(١) الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢) .

تفسير ﴿وَلَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

بشارة ووعد كريم من عند الله عز وجل للمؤمنين بدخول الجنة ، وهو أعظم وعد يتلقاه الإنسان في الحياة الدنيا بفضل الله عز وجل به على المؤمنين الذين اجتهدوا بالدعاء ، وصبروا في طاعة الله ، والله عز وجل يعطى بالأوفى ويهب الكثير ، ومع هذا الوعد العظيم فان الله عز وجل أنعم على المهاجرين والأنصار بالغبطة والسعة في الرزق والفتح في الدنيا ، قال تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَكَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) .

والجنان جمع جنة ، وهي لغة البستان الذي تكثر فيه الأشجار والثمار ، سمي به لأن الأشجار الكثيرة المتقاربة مجتمعة الملتفة بعضها على بعض تجن وتستر من بداخل البستان ، قال تعالى في بساتين الدنيا ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾^(٤) .
وجنات الآخرة أعظم مما في التصور الذهني للأشجار .
وقال القائل :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قُدْرَهُ...

إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا^(٥) .

(١) سورة الأنفال ٦٦ .

(٢) سورة النحل ١٨ .

(٣) سورة النحل ٣٠ .

(٤) سورة النبأ ١٦ .

(٥) تفسير ابن كثير ٤٤٢/٨ .

وجنات الآخرة أعظم وأبهج مما في التصور الذهني ، وعالم الخيال ،
قال تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(١).

وفي الحديث القدسي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال
(قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن
سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)^(٢).

وذكرت آية البحث جريان الأنهار من تحت أهل النعيم ، ورغد العيش
الخالد في الجنان ، قال تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ
آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ
مُصَفًّى﴾^(٣).

ووردت الآية بصيغة الإطلاق في دخول المؤمنين الجنة ، فلم تذكر
خلودهم وإقامتهم الأبدية فيها ، والتي لا تحول ولا تزول ولكن آيات عديدة
تذكر هذا الخلود ، قال تعالى ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّاتٌ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(٤).

ويتعدد العمل الصالح في آية البحث منها الهجرة ، والإخراج من الديار
والأوطان والأموال ، وتحمل المشاق في سبيل الله ، والدفاع عن النبوة
والتنزيل ، وتحمل وطأة لمعان السيوف .

ومن خصائص الجنة أنها لا تفنى ولا يفنى أهلها ، ولا تنقص النعم التي
فيها ، بل هي في ازدياد .

وقد وردت خصائص متعددة ونعم عظيمة على أهل الجنة في سورة
الواقعة ، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثَلَاثَةٌ مِّنَ

(١) سورة السجدة ١٧.

(٢) الدر المنثور ١١٢/٨.

(٣) سورة محمد ١٥.

(٤) سورة إبراهيم ٢٣.

الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مُّضَوَّاتٍ * مُّتَكِّينَ عَلَيْهَا
مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ
مَّعِينٍ * لَا يَصَدَّغُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ * وَخُورٌ عَيْنٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿١﴾ ثم تذكر هذه السورة ما يرزق

يرزق الله عز وجل أصحاب اليمين من النعم .
والظاهر أن وصف الجنة بأن الأنهار تجري من تحتها هو أكثر وصف
للجنة في القرآن ، إذ ورد فيه أربعاً وثلاثين مرة ، ومن إعجاز القرآن تعدد
معاني ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بحسب سياق الآيات ومضامينها وماهية
العمل الصالح الذي جعل الله هذه الجنة ثواباً له .

وذكر لفظ (فاكهة) في القرآن إحدى عشرة مرة ، عشرة منها في فاكهة
الجنة ، وواحدة في الدنيا بقوله تعالى ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ (٢) .

وعن (عبد الله بن قيس ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية
منها أهل ما يرون الآخريين ، يطوف عليهم المؤمنون) (٣) .

وعبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري ، وعنه (أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : جنان الفردوس أربع : جنتان من ذهب حليتهما
وآنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، وما بين

(١) سورة الواقعة ١١-٢٦ .

(٢) سورة الرحمن ١١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٠٨/٧ .

القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن^(١).

الجنة لغة واصطلاحاً

الجنة لغة هي الأرض ذات الشجر والنخل يستتر ما بداخلها مشتقة من مادة : جنن وهي بمعنى الستر ، ومنه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأنظار ، والجن خلق خلاف الإنس .

وسمي الجنين لاستتاره في بطن أمه ، ومنه جنّ الليل اختلاط ظلامه .
(قال الشاعر - هو المتنخل :

حتى يجيءَ وجنّ الليل يُوغِلُهُ ... والشوكُ في وَضَحِ الرجلين مركزُ
ويقال : جنّون الليل ، وجنّان الليل .

قال الشاعر دريد بن الصمة الجشمي :

فلولا جنّون الليل أدرك ركنُنا...بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب

ويقال : جنّ الليل وأجنه وجنّ عليه ، إذا ستره وغطاه ، في معنى واحد .

وكل شيء استتر عنك فقد جنّ عنك . ويقال : جنّان الرجل ، وبه سُميت الجن . وكان أهل الجاهلية يسمّون الملائكة : جنّة لاستتارهم عن العيون . والجنّ والجنّة واحد^(٢) .

وسمي القبر جنناً لأنه يستتر جسد الميت .

(والجنين : المدفون ، قال الشاعر في جنين القبر هو عمرو ابن كلثوم

التغليبي :

ولا شمْطاءَ لم يترك شقاها ... لها من تسعةٍ إلا جنينا^(٣) .

(١) الدر المنثور ٣٦٧/٩ .

(٢) جمهرة اللغة ٢٣/١ .

(٣) جمهرة اللغة ٢٣/١ .

والجنة في الاصطلاح الشرعي هي دار الخلود في النعيم والكرامة الأبدية التي يتفضل بها الله عز وجل على عباده المؤمنين الذين عملوا الصالحات في حياتهم الدنيا ، جزاء وثواباً وإحساناً من الله عز وجل .

كما ورد في آية البحث ﴿وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١).

وجاءت الآية بصيغة الجمع (جنتات) لبيان التعدد والكثرة وسعة رحمة الله عز وجل بالمؤمنين في الآخرة ، ومراتبهم في الآخرة حسب درجة اليقين وعملهم الصالح ، وما ذكرته آية البحث من الهجرة وتلقيهم الأذى والصبر في سبيل الله عز وجل .

وتتضمن آية البحث إدخالهم إلى الجنة ، ووردت آيات قرآنية بلبثهم الدائم فيها وأنها دار الخلد ، قال تعالى ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾^(٢).

ولم يرد لفظ (الخلود) في القرآن إلا في الآية أعلاه وورد لفظ (الخلد) في القرآن ست مرات ، منها مرة واحدة لخصوص الجنة بقوله تعالى ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾^(٣).



(١) سورة آل عمران ١٩٥.

(٢) سورة ق ٣٤.

(٣) سورة الفرقان ١٥.

قانون انقطاع التجوال في الأرض دفعة

قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(١).

النفخ الأول في الصور انقطاع للحياة على الأرض لتبدأ حياة جديدة ، حياة الخلد التي يتباين ويتضاد سكن الناس فيها فلا يسكن الكافر بجوار المؤمن ، فالإنسان إما إلى الجنة وإما إلى النار بحسب الأعمال في الدنيا ، التي ترد على الناس يوم القيامة على نحو الجزاء .

وفي الحديث القدسي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم).

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.
يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً .

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً .

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً

فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه^(١).

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتبايعانه ، ولا يطويانه . ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه ، فلا يسقي فيه . ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته ، فلا يطعمه . ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فمه فلا يطعمها)^(٢).

لذا ذكر أن الساعة تقوم على شرار الناس ، فليس من فرصة للتوبة والإستغفار .

والمراد من الصور هو قرن عظيم كهيئة البوق .

والذي ينفخ فيه الملك إسرائيل .

وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ما الصور ، قال : قرْنُ ينفخ فيه).

والنفخ هو إخراج الهواء من الفم .

وكيفية النفخ في الصور بحيث يسمعها ويفزع منها أهل الأرض لا يعلمها إلا الله عز وجل ، وهل ذكرها في القرآن من باب تشبيه المعقول بالمحسوس كما قيل ، الجواب لا ، إنما هو النفخ حقيقة لأن الأصل حمل الكلام العربي على الحقيقة إلا مع القرينة التي تصرفه إلى المجاز ، ليكون النفخ على مرحلتين متباعدتين :

الأولى : نفخة الإمامة ، وهو نهاية الحياة الدنيا ، وانقطاع سكن الناس في

الأرض ، ومقدمة ليوم القيامة ، والصعق والفرع كناية عن الموت .

وعن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عَجَبُ ذَنْبِهِ ، قيل : وما هو يا رسول الله ، قال : مثل حبة خردل منه ينشئون) وعجب الذنب هو العصعص .

(١) صحيح مسلم ١٩٤/٤ .

(٢) الدر المنثور ٣٠٦/٨ .

الثانية : نفخة الإحياء وجمع الناس في المحشر بقوله تعالى ﴿ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى﴾ وقال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾^(١)، لقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ﴾^(٢) أي يأتون أذلاء صاغرين .

وهل يدل قوله تعالى ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾^(٣) على انتقال الإنسان للسكن في الأفلاك السماوية أم أن القدر المتيقن من الآية هو سكان السموات من الملائكة ، المختار المعنى الأعم ليكون في الآية إشارة إلى انتقال شطر من الناس إلى السكن في الأفلاك السماوية .
والمختار موت الإنس والجن قبل موت الملائكة .
ويدل مجئ (ثم) في ﴿ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى﴾ على طول المدة بين النفختين ،
لإفادة ثم التراخي .

ولا يعلم المدة بين النفختين إلا الله عز وجل .
وهل هذه المدة من عالم البرزخ أم من يوم القيامة ، المختار هو الأول ،
لعمومات إماتة الناس بانتظار نفخة الإحياء والنشور .
وهل يتلقى الناس النفخ في الصور بهيئة واحدة ومتشابهة من الفرع أم
أن المؤمنين الذين ذكرتهم آية البحث في أمن من الفرع حيثئذ ، المختار هو
الثاني .

وتأتي النفخة في الصور في القرآن بلفظ :الصيحة ، والصاخة ، والزجرة ،
والنقر ، والرافجة ، والرادفة .

لتدل آيات القرآن على موت الناس جميعاً ، قال تعالى ﴿إِنَّكَ نَبِيٌّ وَابِّئُهُمُ

(١) سورة الكهف ٩٩.

(٢) سورة النمل ٨٧.

(٣) سورة الزمر ٦٨.

مَيَّوَن ﴿١﴾.

مواطن يوم القيامة

تتعدد مواطن يوم القيامة منها :

الأول : العرض (عرض الأعمال).

الثاني : تطاير الصحف واستلام شطر من الناس كتبهم بإيمانهم ، وهم المؤمنون اللذين عملوا في الدنيا الصالحات ، واستلام الذين كفروا كتبهم في شمائلهم .

الثالث : الحوض .

الرابع : الميزان الذي توزن فيه الأعمال .

الخامس : الصراط والمرور عليه ، قنطرة المظالم .

ويمكن أن نخبر عن موطن خاص يسمى موطن العدد لقوله تعالى ﴿وَأُخْصِيَ كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٢).

فكل عمل للإنسان يكون بصيغة العدد والرقم وكلما كان العمل أكبر كان عدده أكبر ، ولا يعلم ولا يحصي أعداد أعمال بني آدم وأطوالها اللامتناهية إلا الله عز وجل برموز ظاهرة للناس يعرفونها أقرب وأوضح من الرموز الحسابية وفق المقياس القصير فمثلاً رقم المليار (10^9) (عشرة إلى الأس التاسع) أو التريليون (10^{12}) (أي عشرة إلى الأس الثاني عشر).

وهو لا يتعارض مع حساب الأعمال بالثقل ورجحان كفة الميزان لقوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(٣).

(١) سورة الزمر ٣٠.

(٢) سورة الجن ٢٨.

(٣) سورة القارعة ٨-٩.

ليان تعدد مواطن الحساب والاستحقاق للثواب أو العقاب لاقامة الحجة على الناس وقطعها للجدال ولمصاديق قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١).

النسخ رحمة وتخفيف وامتحان

من إعجاز القرآن النسخ ورفع حكم بحكم ثابت ، لولاه لبقى ذات الحكم ، ومنه نسخ قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى المسجد الحرام ، قال تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾^(٢). ووردت مادة نسخ أربع مرات في القرآن ليس فيها بخصوص النسخ إلا قوله تعالى ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، وهو لغة بمعنى المحو والإزالة ، والنسخ رحمة وتخفيف ، وشاهد على أمور :

الأول : شدة الأذى الذي لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين ، ونعتهم له بالساحر لنزول آية ناسخة إذ قالوا لو كان من عند الله لما بدله وما نسخه ، والله أعلم بالمصلحة وأسباب التخفيف.

الثاني : إرتقاء المسلمين في سلم المعارف الإلهية بالعمل بالناسخ حال نزوله ، وفي تسمية مسجد القبلتين لأن المصلين فيه استداروا إلى البيت الحرام حالما ناداهم شخص بنزول آية تحويل القبلة أو ان النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والمصلين معه من المهاجرين والأنصار تحولوا عند نزول الآية إلى البيت الحرام ، كما لو صلى صلاة العصر التالية لنزول آية النسخ ، وكان

(١) سورة النحل ١١١.

(٢) سورة البقرة ١٤٤.

(٣) سورة البقرة ١٠٦.

هذا المسجد يسمى مسجد بني سلمة ، وهل تدل هذه الواقعة على حجية خبر الواحد إذ صدقوا الشخص استداروا ، الجواب نعم .

الثالث : تلاوة المسلمين للآية المنسوخة والآية الناسخة إلى يوم القيامة ، مع عملهم بالثانية فقط .

والإجماع على وقوع النسخ في القرآن ، ولا عبرة بالقليل النادر الذي أنكره ، ومن النسخ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ..﴾^(١) ، وانشغل العمل في وقوع النسخ في هاتين الآيتين ، والرد على الذي نفاه ، والمختار وقوع النسخ بينهما ، وهو ظاهر وجلي ، ولكن الآية تبين ازدياد عدد المسلمين وقلة عدد المشركين ، فينما ذكرت الآية المنسوخة عشرين صابرين من المسلمين ابتدأت الآية الناسخة بذكر مائة من المسلمين ثم ذكرت ألفاً منهم .

وتمحيص من جهتين :

الأولى : امتحان للمسلمين بالعمل بالمنسوخ ثم تلقي الناسخ بالقبول والرضا ، ولما نزل تحويل القبلة في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بقوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾^(٢) توجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في صلاتهم إلى البيت الحرام ، وتوجه معه أصحابه .

وعن مجاهد وغيره (نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد بني سلمة ، وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب ، وحول الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين)^(٣).

(١) سورة الأنفال ٦٥.

(٢) سورة البقرة ١٤٤.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٢٦١/١.

ويشكل على هذا القول بأنه لم يرد نزول آيات القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي بالمسلمين جماعة ، كما أن نزول الآية القرآنية أمر عظيم يتصعب معه النبي محمد عرقاً في اليوم البارد ، ويكون بحال انقطاع عن الناس ، قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

و(أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها - يعني صدرها - على الأرض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه .

وفي الموطأ وغيره : انه عليه السلام سئل : كيف يأتيك الوحي ، فقال : احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشدّه علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال و احيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول) قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه لتفصد عرقاً)^(٢).

وورد خبر يفيد أن الآية أعلاه نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل صلاة الظهر ، وأنه وأصحابه صلوا الظهر مستقبلين البيت الحرام من أولها .

إذ ورد عن أبي سعيد بن المعلى قال ، كنا (عن أبي سعيد بن المعلى قال : كنا نغدو إلى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فنمر على المسجد فنصلي فيه ، فمررنا يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعد على المنبر ، فقلت : لقد حدث أمر فجلست.

(١) سورة الحشر ٢١.

(٢) تفسير القرطبي ٣٧/١٩.

فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ﴿قَدْ نَزَّى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾^(١) حتى فرغ من الآية ، فقلت لصاحبي : تعال نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فنكون أول من صلى فتوارينا فصلينا ، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى للناس الظهر يومئذ إلى الكعبة^(٢).

ورواية أبي سعيد بن المعلى أعلاه أرجح من قول التابعي مجاهد ، فقد كانت لأبي سعيد بن المعلى صحبة واسمه رافع وشهد معركة أحد ، و(عن عكرمة في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾^(٣) قال : نزلت في رافع بن المعلى وغيره من الأنصار ، وأبي حذيفة بن عتبة ، ورجل آخر^(٤).

و(عن البراء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة، نزل على أجداده -أو أخواله- من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى صلاة العصر ومعه قوم. فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم ركوع فقال: أشهد لقد صليت مع رسول الله قبل مكة. فداروا كما هم قبل البيت^(٥).

الثانية : الإمتحان والنهي لغير المسلمين بعدم التعدي على التنزيل والنبوة بسبب النسخ ، لذا نزل قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

(١) سورة البقرة ١٤٤.

(٢) الدر المنثور ١/٢٨٨.

(٣) سورة آل عمران ١٥٥.

(٤) الدر المنثور ٢/٤٦٦.

(٥) تفسير الطبري ٢/١٣٤.

مُسْتَقِيمٌ^(١)، وفيه إعجاز للإخبار عن صدور التشكيك بأمر نسخ القبلية من طائفة من غير المسلمين ، ويدل على التبعيض والغيرية أنه سيصدر القول من خفي العقل من الناس غير المسلمين ، ليكون قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ من علوم الغيب.

الرؤيا في بيت النبوة

لقد صدر لي (فلسفة الرؤيا في الإسلام) بجزئين ، ومن آخر ما كتبت في هذا السفر :

الأول : قانون الرؤيا الصادقة شعبة من الخلافة في الأرض .

الثاني : قانون الرؤيا الصادقة من نفخ الروح في آدم .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في تأويل الرؤيا ، ومن منافعه دعوة المسلمين للعناية بالرؤيا ، وعدم التفريط بدلالاتها .

قالت (أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت : رأيت رؤيا أعظمها أن أذكرها لك ، أي أن الرؤيا هالتها وأفزعتها وخشيت من روايتها للنبي كيلا تحزنه .

فقال : اذكرها ، لبيان عدم إخفاء الرؤيا ذات الاعتبار والإعطاء ، وللدلالة على دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى عدم التفريط بالرؤيا سواء كانت رؤيا بشارة أو إنذار ، وإن كان ظاهر كلام أم الفضل أنها رؤيا إنذار .

فقالت رأيت كأن بضعة منك قطعت فوضعت في حجري .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن فاطمة حبلى تلد غلاماً أسميه حسيناً وتضعيه في حرك ، وكأنه من التأويل بالضد .

ليكون تحديده لجنس المولود من الوحي ، وهذه النعمة الخاصة ببيت النبوة صارت عامة للناس في هذا الزمان بالارتقاء الطبي ، وكشف المختبر

والسوناار في هذا الزمان ، لأن الله عز وجل إذا أنعم على أهل الأرض بنعمة فانه أكرم من أن يرفعها .

ولييان البون الشاسع بين خشيتها من الرؤيا وبين تأويل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها ليشرق على الأرض نور ولادة الحسين في الثالث من شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة ، وشاء الله أن يشع بريق صبره وجهاده ما بين المشرق والمغرب .

قالت أم الفضل : فولدت فاطمة حسينا فكان في حجري أريه . وهكذا ساهم تأويل الرؤيا في ترسيخ الإيمان وتوكيد صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجمعه وحيازته للعلوم والمعارف والكمالات بقسميها الكسبي والهبية فضلاً من الله ورحمة وحجة ودعوة للإيمان.

وقالت أم الفضل (فدخلت به يوما على النبي فوضعت في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله تهرقان بالدموع ، فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لك ، قال : أتاني جبرئيل فأخبرني أن أمتي تقتل ابني هذا وأتاني بترية حمراء من تربته)^(١).

وقالت أم الفضل (فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي يوماً وحسين معي فأخذه يلاعبه ساعة ثم ذرفت عيناه فقلت ما يبكيك قال هذا جبريل يخبرني أن أمتي تقتل ابني هذا)^(٢).

عن أم سلمة قالت: بينا رسول الله ذات يوم جالسا والحسين جالس في حجره إذ هملت عيناه بالدموع، فقلت ﴿له﴾ يا رسول الله ما لي أراك تبكي جعلت فداك ؟

قال: جاءني جبرئيل فعزاني بابني الحسين وأخبرني أن طائفة من أمتي تقتله، لا أناها الله شفاعتي.

(١) البحار ٢٣٩/٤٤ .

(٢) تاريخ دمشق ١٩٦/١٤ .

قانون ملازمة الإحسان للنبوة مع تباين الحال

من إعجاز القرآن ورود جملة ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) مرتين في القرآن ، كل منهما خطاب متوجه إلى يوسف عليه السلام ، الأولى ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأًا بَأْوِيلَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) ، والثانية في إخوته ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخَا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

ليبان اتصاف يوسف عليه السلام بذات مكارم الأخلاق وهو في السجن.

وكذا عندما أصبح عزيز مصر ومجئ الوفود له من أطراف مصر والشام ، وقد أصابت أهلهم المجاعة .

ليبان قانون الملازمة بين النبوة والأخلاق الحميدة ، وقال تعالى في الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) وقول الغلامين ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥) معنا ومع غيرنا من السجناء.

وهل في كلامهما هذا إنكار واستهجان لدخوله السجن ، الجواب نعم . وفيه دعوة لكل مسلم بالتحلي بالإحسان والرفق بالآخرين ، والإمتناع عن البطش والإرهاب الذي هو ضد الإحسان .

(١) سورة يوسف ٣٦.

(٢) سورة يوسف ٣٦.

(٣) سورة يوسف ٧٨.

(٤) سورة القلم ٤.

(٥) سورة يوسف ٣٦.

ويدل حسن عاقبة يوسف عليه السلام وتولييه الوزارة في مصر على الحسن الذاتي للإحسان ، وترشح المنافع عنه .

وفيه شاهد على الأجر والثواب على الإحسان والرفقة ، ولم تذكر آية البحث إحسان المؤمنين لغيرهم ، الجواب ذات الإيمان إحسان للذات والغير ، وكذا العمل بأحكامه والصبر على الأذى في مرضاة الله الذي تدل عليه آية البحث ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

ويدل وصف يوسف عليه السلام بالإحسان وتكرار صيغة الجمع (المحسنين) في القرآن على أن الأنبياء أئمة الإحسان ، والهداية إليه ، ويمكن تأليف مجلد خاص بمصاديق إحسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن والسنة ، قال تعالى ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، وقال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣).

وذكرت الآية أعلاه من سورة يوسف الخبز وأنه غذاء للناس من قديم الزمان يلتقي في أكله على نحو يومي الغني والفقير ، فلا يستغني عنه الملوك ، ويصل إلى الفقراء بفضل من الله ، وتيسير للغلامين ، لتكون الرؤيا مدرسة الأجيال .

لقد ذكر القرآن رؤيا الغلامين على نحو البيان الذي يفقهه كل إنسان بأي لغة يتكلم ، وذكر أن الساقى قال (أيها العالم إنني رأيت كأنني غرست حبة من عنب عليها ثلاث عناقيد من عنب فحبستها ،

(١) سورة العنكبوت ٦٩.

(٢) سورة التوبة ١٢٨.

(٣) سورة آل عمران ١٥٩.

وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه.
وقال الخباز : إني رأيتُ كأنَّ فوق رأسي ثلاثَ سِلالٍ فيها الخبزُ واللوان
الأطعمة فإذا سباع الطير تنهش منه^(١).

وهل اختصر تفسير يوسف للرؤيا في السجن برؤيا الغلامين ، المختار لا ، إذ أن يوسف حينما دخل السجن قال أني أعبر الرؤيا ، ومن خصائص السجن السكون ، وعدم إنشغال السجين بأمور الدنيا ، والعمل اليومي ، ويتطلع إلى الفرج فيرى في المنام الرؤيا الصادقة بفضل ورأفة من عند الله ، وهو من مصاديق صيغة العموم في رحمة الله ورأفته بالمستضعفين وعامة الناس.

والسجن سور جامع يضم المستضعف والظالم والمجرم والمظلوم ويتغشى الله عز وجل الجميع برجمته ، وهو مناسبة للتوبة والإنابة والإجتهاد بالدعاء والهداية إلى مقامات الإيمان .

وترغب آية البحث الناس جميعاً بالدعاء إذ تبدأ بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابْ﴾ وتبين الحاجة إلى الصبر وما يؤدي إليه من سبل الفرج .

تفسير ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾

لم يرد هذا الشطر من الآية في القرآن إلا في آية البحث ، وورد لفظ ﴿ثَوَابًا﴾ بالنصب في القرآن أربع مرات لبيان قانون وهو لا يقدر على الثواب والجزاء بمجنات النعيم إلا الله عز وجل .

وفيه دعوة للناس للتوحيد ونبد الشرك ، وفي التنزيل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢) ومن موارد استعانة المسلمين بالله عز وجل الصبر على الذي لاقوه من المشركين .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٨٠/٧.

(٢) سورة الفاتحة ٥.

ومن معاني الثواب الجزاء على الطاعة ، والله عز وجل ملك السموات والأرض ، وهو سبحانه إله في الدنيا وإله في الآخرة ومن جوده وكرمه أنه يجازي على عمل الصالحات .

وفي الذين جاهدوا وقاتلوا في سبيل الله من أصحاب الأنبياء ودعائهم بالمغفرة والثبات في مقامات الإيمان ، قال تعالى ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١).

وتضمنت آية البحث ثواب الآخرة بالمغفرة ودخول الجنة ، وإثبات شئ لشيء لا يدل على نفيه عن غيره ، وتدل الآية أعلاه على مجيئ ثواب الدنيا للمسلمين الذين هاجروا وأوذوا في سبيل الله وقاتلوا ، لوحدة الموضوع في تنقيح المناط .

وتبين آية البحث قانون الحياة الدنيا مزرعة للثواب الأخروي .

وقيدت آية البحث الثواب بأنه من عند الله عز وجل ، لبيان وجوه :

الأول : قانون لا يقدر على الثواب الأخروي إلا الله عز وجل .

الثاني : قانون مضاعفة الحسنات أضعافاً كثيرة ، وفي الإنفاق في سبيل

الله ، قال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢).

الثالث : قانون الثواب العظيم في الآخرة فضل من عند الله عز وجل .

الرابع : ليس من ثواب يوم القيامة إلا من عند الله ، قال تعالى ﴿ لَنْ

الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٤٨.

(٢) سورة البقرة ٢٦١.

(٣) سورة غافر ١٦.

وتتضمن آية البحث بالدلالة التضمنية البشارة بالأجر والثواب ونمائه في الدنيا والآخرة ، وتتضمن ترغيب الناس جميعاً لما عند الله من الأجر والثواب على الإيمان وفعل الصالحات .

وتقدير الآية على وجوه :

الأول : ثواباً من عند الله ﴿فَاسْتَبَشِرُوا بِبَيْعِكُمْ﴾^(١).

الثاني : ثواباً من الله ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

الثالث : ثواباً من عند الله ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٣).

الرابع : والله عنده حسن الثواب للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

طاعة الأب في مسالك الإيمان

قال تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤).

يتعلق موضوع الآية في إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل .

لقد تفضل الله عز وجل وجعل الملائكة تبشر إبراهيم بغلام حلیم بعد تقدمه في العمر ، فلما ولد غمرته السعادة ، واعتنى به حتى إذا صار يسعى معه في قضاء حوائجه رأى في المنام أنه يذبحه .

وقيل كان عمره ثلاث عشرة سنة ، واختلف في الغلام هل هو إسحاق أم إسماعيل والمشهور أنه إسحاق .

وروي عن ابن عباس في المقام قولان ، فمرة أنه إسحاق ، وأخرى

(١) سورة التوبة ١١١.

(٢) سورة آل عمران ١٧١.

(٣) سورة آل عمران ١٩٨.

(٤) سورة الصافات ١٠٢.

إسماعيل .

والمختار أنه إسماعيل .

إذ ورد قوله تعالى ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾^(١) ، وفيه دلالة على عدم أمره بذبح إسحاق ، وكذا قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(٢) ، فلا بد أن يتزوج إسحاق ويولد له يعقوب .

وتدل الأخبار بأن الأمر بالدبح كان في مكة ، وأن قرن الكبش كان معلقاً بالكعبة .

وعن (ابن عباس : فوالذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه من ميزاب الكعبة وقد ييس)^(٣) .
وقيل أن الذبح في الشام ولكن الرأس نُقل إلى مكة ولكنه خلاف أصالة الظاهر والمتبادر .

ويدل هذا الاختلاف على اتحاد مشكاة النبوة ، وأن أبناء إبراهيم طائعون لله وللرسول ، وأن الخلاف والفرقة دبّت فيما بعد بين أبناء يعقوب بالمر بـيوسف من قبل إخوته ، لمحبة أبيه له ولأخيه من أمه وأبيه .
لقد رأى إبراهيم في المنام بأنه يذبح ابنه ، وأدرك أن هذه الرؤيا من الوحي وهي كاليقظة ، وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا)^(٤) .

وقوله ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ نوع مشورة ، وطلب الإذن من ابنه هل يرضى بالذبح أم لا .

ولو لم يرض إسماعيل بالذبح فهل يقوم به إبراهيم قهراً لأنه وحي ، أو

(١) سورة الصافات ١١٢ .

(٢) سورة هود ٧١ .

(٣) تفسير القرطبي ٩٢/١٥ .

(٤) تفسير القرطبي ٨٨/١٥ .

يصبر ويعاود عليه السؤال قبل إرغامه ، المختار لا يهّم بذبحه ولكن إسماعيل تلقى رؤيا أبيه بالقبول والرضا بقضاء الله وقدره ، فقال ﴿أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي أن إسماعيل يعلم بأن هذه الرؤيا أمر من عند الله عز وجل .

وتحتمل هذه الرؤيا وجهين :

الأول : إنها خاصة بإبراهيم عليه السلام .

الثاني : تشمل الأنبياء ، فقد يرد أمر لهم بذبح ابنائهم .

المختار هو الأول ، ولا تشمل الأنبياء الآخرين ، ولا المؤمنين وعامة

الناس ومن الأنبياء من لم يكن عنده ولد مثل يحيى وعيسى .

فاذا رأى شخص مثل هذه الرؤيا فهي أضغاث أحلام ، مؤمناً كان أو

غير مؤمن ، وهو من لطف الله عز وجل بالناس ، أما بالنسبة لإبراهيم فهذه

الرؤيا وحي ، لينزل الوحي بعدها بالفداء ، قال تعالى ﴿وَقَدْ يَتَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾^(١)

وغير النبي لا ينزل عليه الوحي لرفع ذبح الابن .

تفسير ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾

لم يرد لفظ ﴿حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ في القرآن إلا في آية البحث لبيان فضل الله

عز وجل على المؤمنين ، وبعثهم للصبر في طاعة الله ، والسعي في العمل

الصالح ، قال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) .

ليبين قانون من الإرادة التكوينية قبل أن يخلق الله عز وجل آدم ، في

سعة رحمة الله وأنها تتغشى الملائكة والخلائق ، نعم النسبة بين الرحمة

والثواب عموم وخصوص مطلق ، فالرحمة أعم ، والثواب فرع الرحمة .

(١) سورة الصافات ١٠٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٣٣ .

وقال الحسن البصري في آية البحث (أمرهم الله أن يدعوا بتكفير ما مضى من الذنوب والسيئات والعصمة فيما بقي ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي على السنة رسلك وعد الله المؤمنين على السنة رسله أن يدخلهم الجنة إذا أطاعوه فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض أشرك الله بين الذكر والأنثى فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم إلى قوله حسن الثواب هذا للرجال دون النساء فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل على النساء جهاد قال نعم جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة^(١).

ولكن موضوع وأحكام آية البحث أعم وتشمل الرجال والنساء لعمومات التكليف ، ووحدة الموضوع في تنقيح المناط ، وتغليب صيغة التذكير .

(ومن كلام الصاحب بن عباد تهنته بنت: أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصبهار، وأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتنافسون، ونجباء يتلاحقون.

فلو كان النساء كمثل هذي ... لفضلت النساء على الرجال وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهِلال^(٢). ونسب هذا الشعر للمتنبى في تهنته لكافور الإخشيدي لولادة بنت له . ومن إعجاز الآية منعها اللبس والأختلاف ذكرها للنساء على نحو التعيين بقوله تعالى ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾^(٣) ومن الصحايات من هاجرن مع أزواجهن أو آبائهن أو هاجرن بمفردهن كما في هجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .

(١) تفسير ابن أبي زمنين ١٠٩/١.

(٢) نهارب الأرب في فنون الأدب ٦٨/٢.

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

ومع سقوط القتال عن النساء ، فمن الصحابيات من قاتلت في سبيل الله ، منهن (نسيبة بنت كعب أم عمارة ، وهي امرأة غزية بن عمرو ، وشهدت أحدها وزوجها وابناها ؛ وخرجت معها شن لها في أول النهار تريد أن تسقي الجرحى ، فقاتلت يومئذ وأبلى بلاء حسناً ، فجرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف .

فكانت أم سعد بنت سعد بن ربيع تقول دخلت عليها فقلت لها : يا خالة حدثيني خبرك . فقالت خرجت أول النهار إلى أحد ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعهم سقاء فيه ماء فأنتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في أصحابه والدولة والربح للمسلمين .

فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعلت أباشر القتال وأدب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلى الجراح . فرأيت على عاتقها جرحاً له غور أجوف .

فقلت : يا أم عمارة من أصابك بهذا ؟ قالت أقبل ابن قميثة وقد ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصيح دلولي على محمد ، فلما نجوت إن نجا فاعترض له مصعب بن عمير وأناس معه فكنت فيهم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان^(١).

وشهدت أم عمارة نسيبة ببيعة العقبة ثم شهدت مع ابنها عبد الله معركة اليمامة (فقاتلت حتى أصيبت يدها وجرحت يومئذ اثني عشر جرحاً من بين طعنة وضربة . روت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة)^(٢).

(١) مغازي الواقدي ٢٦٩/١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٣٣/١.

التفسير بالتقدير

ومن وجوه تقدير تفسير الآية

الأول : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(١) على العمل الصالح .

الثاني : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ في الدنيا والآخرة .

الثالث : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ باللبث الدائم في الجنة

الرابع : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ للمؤمنين والمؤمنات .

الخامس : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ للذين هاجروا وأوذوا في سبيل الله

السادس : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ لمن ﴿كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾^(٢) .

السابع : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ ومنه جنات تجري من تحتها الأنهار .

الثامن : الله وحده القادر على حسن الثواب ، وللأولين والآخرين من المؤمنين .

التاسع : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ وهو وعد كريم من الله وبشارة متجددة كل يوم تبعث على التوبة والإنابة والثبات على الإيمان والصلاح .

العاشر : ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ للجن والإنس ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة البلد ١٧ .

(٣) سورة النمل ٥٦ .

بحث بلاغي

البلاغة هي تأدية المعنى بما يلائمه من اللفظ بايجاز غير مغل وإطالة من غير ملل .

ولما أنزل الله عز وجل على النبي ﴿ {حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم} ﴾^(١) إلى قوله : ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ قرأها النبي (عليه السلام) في المسجد الحرام والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته .

فلما فطن النبي (عليه السلام) لإستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حذاء مجلس قومه بني مخزوم فقال : والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يُعلَى. ﴿^(٢)﴾ .

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ ﴿فَلَمَّا اسْتِأْذِنُوا مِنْهُ خُلُّوا نَجِيًّا﴾^(٣) فقال أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام .

(وسمع أعرابي رجلاً يتلوها فسجد وقال: سجدت لفصاحته، ذكره أبو عبيد) ^(٤) ^(٥) .

وقال السكاكي (توفي سنة ٦٢١ هجرية) بتقسيم علم البلاغة إلى ثلاثة :

الأول : علم البيان

الثاني : علم المعاني .

الثالث : علم البديع .

(١) سورة غافر ١-٢ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٤٢٠/١٣ .

(٣) سورة يوسف ٨٠ .

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٦٦/٢ .

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب التويري ت ٧٣٣ هجرية .

ومن إعجاز القرآن عجز العقول عن الإحاطة بضروب البلاغة فيه ،
وفصاحة مفرداته باسمى مراتب الفصاحة ، وتفرع المسائل عن إيجازه المهيّب
، وتعدد دلالات الكلمة الواحدة منه ، وإحكام نظمته وبراهينه ، وبعثه
الشوق في النفوس لتلاوته ، وبديع بيان قصص القرآن وما يترشح عنها من
الوعظ الخاص والعام .

والنسبة بين إعجاز القرآن وبين بلاغته العموم والخصوص ، فاعجاز
القرآن أعم ، وفيه حجة على الناس العربي وغير العربي مع أنه نزل
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(١) .

موضوع الإستجابة

هل الإستجابة في آية البحث عامة أم خاصة بالأدعية الواردة في الآيات
الأربعة المتقدمة ، الجواب إنها عامة وخاصة ، فقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ
رَبُّهُمْ﴾ خاص بالأدعية التي في حيز هذه الآية ثم جاء بعده العام بقوله تعالى
﴿إِنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَشَى﴾^(٢) ، والنسبة بين العمل
والدعاء عموم وخصوص مطلق ، فالدعاء شعبة من العمل الصالح ، وكذا
تلاوة القرآن .

والقرآن يفسر بعضه بعضاً فقد وردت كلمة ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ في القرآن ثلاث
مرات بخصوص قضية خاصة ، والآيتان الأخريان هما :
الأولى : قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^(٣) ، فالآية خاصة بمعركة بدر وإجتهد النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء .

(١) سورة الشعراء ١٩٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٣) سورة الأنفال ٩ .

وعن (ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو في قبة يوم بدر: اللهم أني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لاتعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، لقد ألححت على ربك^(١).

وجاءت الآية أعلاه بصيغة الجمع، والمراد دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأدعية أصحابه. وهل يشمل عامة أدعيته أم خصوص أدعيتهم يوم بدر لقوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾^(٢).

المختار هو المعنى الأعم لأصالة الإطلاق، ولقوله تعالى في آية البحث ﴿أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى﴾^(٣).

الثانية: قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤)، ونجاة يوسف من مراودة امرأة العزيز، وكيد وفتنة النسوة صويحاتها.

لو آمنت قريش أول البعثة

الأصل تلقي قريش رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتصديق، خاصة مع توارث البشارات ببعثته، وتسمية أهل مكة له (الصادق الأمين) قبل البعثة، وجريان المعجزات تترى على يديه، والإعجاز الجلي لآيات القرآن.

(١) سبل الهدى والرشاد ٣٨/٤.

(٢) سورة الأنفال ٩.

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

(٤) سورة يوسف ٣٤.

وتتضمن السور المكية الإنذار والوعيد الذي يأتي أحياناً بالتذكير بفضل الله عز وجل على قريش ، ولزوم مبادرتهم للإيمان ، كما في قوله تعالى ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٌ * إِلَافِهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(١).

ليبان وجوب توارثهم لخنيفة إبراهيم ، والتنزه عن مفاهيم وأفعال الشرك ، وانتهاك الحرمات.

وتتجلى عبادة الله في الآية أعلاه عند بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتصديق برسائله واتباعه ، ولكنهم آذوه وأهل بيته وأصحابه ، فسُحب إلى القليب يوم بدر سبعون كافراً من رجالاتهم .

وليصدق ويؤيد وينصر أهل المدينة (يثر) النبي محمداً في رسالته ودعوته إلى الله عز وجل .

ومن معاني مكة في القرآن بأنها أم القرى في قوله تعالى ﴿لَتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى

وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢) ، وفود الناس إلى مكة لأداء الحج في الموسم والعمرة وللتجارة على مدار أيام السنة ، وإنصاتهم واتباعهم لأهلها ، فلو آمن أهل مكة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السنين الأولى لبعثته لتسارع الناس في دخول الإسلام مع رؤية المعجزات الحسية والعقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ترى لماذا لم يهد الله قلوبهم للإيمان وإجتنب وقوع معركة بدر ، ومعركة أحد والخندق .

الجواب لقد جعل الله عز وجل الدنيا دار اختبار وامتحان وملأها بالآيات الكونية والحجج الساطعة ثم بعث الأنبياء بالمعجزات ليهتدي بنبوتهم شطر من الناس ، فظلم أهل مكة أنفسهم بالجحود برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة قريش ١-٣.

(٢) سورة الشورى ٧.

وآله وسلم ، قال تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

ولقد هدى الله عز وجل المهاجرين والأنصار للتصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والدفاع عنها بالنفوس والمال .

ليكون هذا الدفاع دعوة لأجيال المسلمين لتعاهد الإيمان ، وتكون معارك الإسلام الأولى الدفاعية حجة وبرهاناً على صدق نبوته ، وزاجراً عن الإقتداء بكفار قريش خاصة مع سوء عاقبتهم .

قوانين الجزء ٢٦٤

وفيه القوانين التالية :

الأول : قانون بركة الصلاة ، وتلاوة القرآن فيها .

الثاني : قانون حاجة المسلمين والمسلمات للدعاء والإستغفار.

الثالث : قانون إنتفاع المسلمين من الملائكة في الدنيا والآخرة ، والذي ابتدأ من اختلاط آدم عليه السلام وحواء مع الملائكة في الجنة ، ثم صيرورة الملائكة وسائط الوحي إلى الأنبياء.

الرابع : قانون النعم المصاحبة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : بيان حاجة الإنسان لقانون ملازمة التسييح والحمد لله للإنسان .

السادس : قانون النجاة في النشاطين بذكر الله والثناء عليه وتلاوة آيات القرآن وأداء الفرائض العبادية.

السابع : بيان قانون لا يقدر على استجابة الدعاء إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق الربوبية المطلقة له سبحانه.

(١) سورة إبراهيم ٢٧.

الثامن : قانون المشيئة الإلهية فوق الأسباب ، وأعم من قانون العلة والمعلول .

التاسع : قانون عدم إنحصار الخزي يوم القيامة بالكافرين ، إنما يشمل الظالمين والفاسقين إلا أن يعفو الله عز وجل .

العاشر : من وجوه الدعاء ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قانون مغادرة الدنيا على الإيمان والسلامة من الكفر والإرتداد ، ومن تلاعب الشيطان بالإنسان ساعة الإحتضار .

الحادي عشر : قانون الفوز برحمة الله أعم من الدعاء .

الثاني عشر : قانون الدعاء بالمعنى الأعم والأوسع ، فكما يستحب تكرار الدعاء فيستحب تعدد مسائل الدعاء ، وعدم حصره وتقييده ، نعم يشترط في هذا التعدد أن يكون في أمور يرتضيها الله ، وليس من الحرام أو قطع الرحم .

الثالث عشر : قانون ما جاء به الرسل من الوعد الإلهي محكم وغير منسوخ ، فصحيح أن الشرائع ينسخ بعضها بعضها في موارد لكن هناك موارد لا يطرأ عليها النسخ .

الرابع عشر : قانون حاجة المسلمين مجتمعين ومتفرقين إلى الدعاء وسؤال ما وعدهم الله وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١) .
الخامس عشر : قانون دعاء المسلم للمسلمين والمسلمات وهم غير حاضرين معه .

السادس عشر : قانون تفقه المسلمين في مصاديق وأفراد الدعاء .

السابع عشر : من لطف الله قانون سبق الدعاء للمؤمنين قبل أن يولدوا ، ليكون من عمومات قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢) ، أي المؤمنون من الأولين والآخرين .

(١) سورة الفرقان ٧٧ .

(٢) سورة الحجرات ١٠ .

الثامن عشر : قانون الجزاء اللاحق لمن فارق من المؤمنين ، إذ يأتيه الثواب بعد موته بعمل الذراري وعامة المؤمنين الصالحات .

التاسع عشر : قانون الانتفاع من بعثة الرسل .

العشرون : قانون النفع الأمثل للمسلمين من بعثة الرسل .

الواحد والعشرون : قانون كثرة عدد الرسل نعمة على المسلمين .

الثاني والعشرون : قانون كل نبي يقوم بالبشارة والإنذار .

الثالث والعشرون : قانون في كل يوم من أيام الحياة الدنيا هناك دعاء ، وهناك استجابة لذات الدعاء وغيره .

الرابع والعشرون : قانون إنتفاع السابق من عمل المؤمن اللاحق .

الخامس والعشرون : إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر نزول جبرئيل بتحويل القبلة لبيان مسألة وهي قانون سبق الوحي في موضوع خصوص نزول الآية القرآنية بخصوصه .

السادس والعشرون : قانون كل تلاوة لآية في القرآن نداء للإيمان ، ومن مصاديق ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا .. ﴾^(١)

ولا يحصي عدد الذين آمنوا بتلاوة القرآن وسماع آياته إلا الله عز وجل .

السابع والعشرون : قانون كل خطبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نداء للإيمان .

الثامن والعشرون : قانون المناجاة إقرار بالربوبية .

التاسع والعشرون : قانون الإيمان بالتوحيد باب لإستجابة الدعاء .

الثلاثون : قانون كل فرض من الصلاة مناجاة متعددة لما فيها من تكبيرة الإحرام وتلاوة القرآن ، والتسبيح في الركوع والسجود ، ومصاديق الخشوع والتطامن في الصلاة .

الواحد والثلاثون : قانون لا ينجي الإنسان من الخزي يوم القيامة إلا الله عز وجل .

الثاني والثلاثون : قانون الحاجة إلى الدعاء للنجاة من الخزي في الدنيا والآخرة ، ومنه فضل الله بهداية الإنسان لعمل الصالحات .

الثالث والثلاثون : قانون عدم إضاعة الله لأي عمل صالح للمسلمين والمسلمات .

الرابع والثلاثون : قانون بشارة النجاة من الخزي في عالم البرزخ ، ويوم القيامة ، وبيان لنعمة الله عز وجل في ادخار ما يعمله المسلمون من الصالحات.

الخامس والثلاثون : قانون حضور الصالحات يوم الحساب .

السادس والثلاثون : قانون حرمان المشركين أنفسهم من الأسباب التي تمنع الخزي أمام الخلائق يوم النشور .

السابع والثلاثون : قانون امتناع الكفار عن الدعاء ورجاء استجابة الله عز وجل لهم .

الثامن والثلاثون : قانون انعدام الناصر للظالمين مجتمعين ومتفرقين يوم القيامة .

التاسع والثلاثون : قانون النفرة من الخزي .

الأربعون : اجتناب أسباب الخزي يوم القيامة لقانون نفرة النفوس من الخزي.

الواحد والأربعون : قانون حرص الإنسان على إجتناّب الخزي.

الثاني والأربعون : قانون بغض الناس للذي يتجاهر بفعل المعاصي ، وجواز غييبته بخصوص المعصية التي يتجاهر فيها.

الثالث والأربعون : قانون التضاد بين المؤمن والكافر يوم القيامة.

الرابع والأربعون : قانون الإمتناع عن الدعاء ظلم للنفس والغير ، فقد قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

الخامس والأربعون : قانون انتفاء البرزخ بين الجنة والنار يوم القيامة.

السادس والأربعون : قانون تنجز الوعود الإلهية في القرآن ، وهو ومن أسرار سلامته من التحريف والزيادة والنقصان.

السابع والأربعون : قانون لا يقدر على خلق الأكوان إلا الله عز وجل .

الثامن والأربعون : قانون الملازمة بين أعمال العقل وبين عبادة الله .

التاسع والأربعون : بيان قانون عمل الصالحات لا يذهب سدى .

الخمسون : قانون الترغيب بعمل الصالحات ، إذ تبعث آية البحث الناس على الإجهاد في طاعة الله.

الواحد والخمسون : قانون الدعاء حاجة لكل إنسان في النشاطين .

الثاني والخمسون : قانون التفكير في خلق السموات والأرض مع الإقرار

بأن الله عز وجل هو الخالق لها وللناس وفيه أجر وثواب .

الثالث والخمسون : قانون التفكير في بديع صنع الله ثناء على الله عز

وجل .

الرابع والخمسون : قانون إحاطة الله بكل شئ علماً وإحصاءً ورحمةً ،

وفي التنزيل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١).

الخامس والخمسون : بيان قانون إكرام القرآن للمرأة .

السادس والخمسون : بيان قانون من الإرادة التكوينية وهو تنجز وعد

الله ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٢).

السابع والخمسون : قانون اللطف الشخصي والخاص والعام .

الثامن والخمسون : قانون اللطف الشخصي.

التاسع والخمسون : قانون الخلافة في الأرض ، قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ

فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣)،

(١) سورة الطلاق ١٢.

(٢) سورة النساء ١٢٢.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

الستون : ورد اسم (اللطيف) سبع مرات في القرآن كلها لله عز وجل
ليان قانون لا يقدر على الإطراد في اللطف واستمراره وعمومه إلا الله عز
وجل.

الواحد والستون : قانون تعدد البشارة في الآية الواحدة .

الثاني والستون : قانون من الإرادة التكوينية وهو أن الله عز وجل
يستجيب للدعاء ، ويزيد عليه بأضعافه من المنن والعطايا .

الثالث والستون : قانون ترغيب الناس بالدعاء .

الرابع والستون : بيان قانون الإستجابة العامة من الله للسائلين .

الخامس والستون : قانون أعظم بشارة يتلقاها الناس في الحياة الدنيا .

السادس والستون : قانون إختصاص المؤمنين بكثرة البشارات في الحياة
الدنيا هي استجابة الله الدعاء.

السابع والستون : قانون حضور البشارة في الدنيا يوم القيامة ، وهو من
مصاديق قوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّنَذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَبَشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

الثامن والستون : قانون الترغيب بالدعاء ، وأن الإستجابة لعموم
المسلمين من الأجيال المتعاقبة من آدم وإلى يوم القيامة .

التاسع والستون : تبين الآية أن ما يحدث للمؤمنين وذوهم لا يختص
بقانون العلة والمعلول ، والسبب والمسبب وحده ، بدليل الإستجابة المطلقة
من الله عز وجل لدعائهم ، وقضاء حوائجهم .

السبعون :

الواحد والسبعون : بيان قانون باب الله لا يغلق ، فيلجأ الإنسان إلى الله
عز وجل في حال الرخاء والشدة ، أما حال الرخاء فلاستدامته وزيادته

لقوله تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١)، وأما حال الشدة والضراء فلدفعها ومحوها .

الثاني والسبعون : بيان قانون من الإرادة التكوينية ، وهو الدنيا دار الإستجابة من عند الله عز وجل لأدعية المؤمنين ، وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢).

الثالث السبعون : قانون سرعة الاستجابة من الله عز وجل .

الرابع والسبعون : بيان قانون لا يحصى استجابة الله لأدعية المسلمين والمسلمات إلا الله عز وجل .

الخامس والسبعون : قانون الملازمة بين الإيمان واستجابة الدعاء .

السادس والسبعون : قانون النسبة بين الدعاء والإستجابة عموم وخصوص مطلق ، فالإستجابة أعم وأكثر .

السابع والسبعون : قانون سرعة الاستجابة في الحاجات الخاصة والعامة ، ولأموال الدين والدنيا .

الثامن والسبعون : يتجلى قانون دلالة الإستجابة على حب الله للداعي من المؤمنين.

التاسع والسبعون : قانون اجتماع الإستجابة مع فضل من الله عز وجل.

الثمانون : قانون تعدد معاني (الفاء) في الكلمة الواحدة.

الواحد والثمانون : قانون استجابة الله للدعاء لطف منه تعالى .

الثاني والثمانون : قانون الترغيب بالدعاء في أوقات مخصوصة منها عند

الأذان ، ودبر الصلوات المكتوبة لصلاة الفجر وصلاة الظهر .

الثالث والثمانون : قانون ملائمة كل الأوقات للدعاء .

الرابع والثمانون : قانون الوعد العام.

الخامس والثمانون : بيان قانون الثواب العظيم على الهجرة في طاعة

(١) سورة إبراهيم ٧.

(٢) سورة الفرقان ٧٠.

الله .

السادس والثمانون : قانون لزوم تعاهد سلامة الدين في طاعة الله بالهجرة .

السابع والثمانون : قانون الهجرة في سبيل الله أمان من الخزي يوم القيامة .

الثامن والثمانون : قانون استدامة العمل بأحكام الآية القرآنية بسنن العبادة والصلاح .

التاسع والثمانون : قانون الدعاء نعمة عظمية .

التسعون : بيان قانون الملازمة بين العبادة والدعاء .

الواحد والتسعون : قانون لا يقدر على استجابة الدعاء إلا الله عز وجل

الثاني والتسعون : قانون دلالة الدعاء على التباين بين المؤمن والكافر ، إذ يسارع المؤمن للالتجاء إلى الله عز وجل بحاجاته الدنيوية والأخروية ، أما الكافر فينظر إلى ما هو أمامه مجرداً ، ويأخذه العناد والإستكبار ، وفي الآية التالية قال تعالى ﴿لَا يَغْرَنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(١).

الثالث والتسعون : قانون الدعاء نعمة عظمية على الفرد والجماعة .

الرابع والتسعون : قانون الدعاء كنز وثروة وتركه كريمة .

الخامس والتسعون : قانون الفوز بالإستجابة .

السادس والتسعون : قانون حفظ آيات القرآن نعمة ورحمة للناس

جميعاً ، لينهلوا منه ، ويصدروا عنه .

السابع والتسعون : قانون صدق سعي المسلمين في طاعة الله .

الثامن والتسعون : قانون وقوف الناس للحساب يوم القيامة ، ليكون

ذات السؤال ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ باباً للأجر والثواب .

التاسع والتسعون : قانون توثيق استجابة الله عز وجل لأدعية المؤمنين .

المائة : قانون تفسير القرآن بالقرآن .

الواحد بعد المائة : بيان قانون وهو الجمع بين الصفات الحسنى في القرآن خاص بالله عز وجل ومنه ﴿اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فان قلت قد جمعا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإكرامه في قوله تعالى ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

الثاني بعد المائة : يتجلى قانون تعقب الثواب لثناء الله عز وجل على طائفة من الناس في قوله تعالى ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

الثالث بعد المائة : قانون طرد اليأس من نفوس المؤمنين .

الرابع بعد المائة : قانون الترغيب بالإيمان والعمل الصالح.

الخامس بعد المائة : قانون إخوة المسلمين للنبي (ص).

السادس بعد المائة : قانون تفضيل الرجال بالقوامة ، قال تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لَلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^(٣).

من غير أن يتعارض هذا القانون مع قانون تعلق الإكرام بين الرجال والنساء بالتقوى لقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٤).

السابع بعد المائة : قانون الإيمان الجامع المشترك بين المسلمين والمسلمات ، وأن أسباب الهداية متداخلة وكذا الأخوة بينهم .

الثامن بعد المائة : بيان قانون جهاد المسلمين في مرضاة الله وصبرهم

(١) سورة التوبة ١٢٨.

(٢) سورة آل عمران ١٢٢.

(٣) سورة النساء ٣٤.

(٤) سورة الحجر ١٣.

على الأذى الشديد في التفريع عن قوله تعالى ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾^(١).

التاسع بعد المائة : قانون هجرة النسوة جهاد

العاشر بعد المائة : قانون الهجرة سلام.

الحادي عشر بعد المائة : قانون الهجرة سلام محض.

الثاني عشر بعد المائة : قانون الهجرة صبر.

الثالث عشر بعد المائة : بيان قانون الهجرة جهاد في سبيل الله .

الرابع عشر بعد المائة : قانون الهجرة في مرضاة الله عمل صالح ، وفيها الأجر والثواب.

الخامس عشر بعد المائة : قانون حقوق الضرر في الآخرة بسبب التخلف عن الهجرة مع إمكانها لمن يخاف على دينه عند الإقامة بين ظهرائي المشركين .

السادس عشر بعد المائة : قانون الهجرة قوة للمؤمنين لما فيها من سلامة الدين ، والاجتماع خارج مكة التي تسود فيها مفاهيم الشرك .

السابع عشر بعد المائة : قانون الهجرة في سبيل الله عمل صالح.

الثامن عشر بعد المائة : قانون تحول الأذى العام إلى أمن وعز ونصر للمؤمنين بفضل من الله عز وجل.

التاسع عشر بعد المائة : قانون حب الله باعث على العمل الصالح.

العشرون بعد المائة : قانون عدم تضييع الله عز وجل عمل الصالحات ، ومنه ذكر الله عز وجل عن قيام وقعود وفي حال الإضطجاع عند المرض ومطلقاً.

الواحد والعشرون بعد المائة : بيان قانون الثناء من الله طريق إلى الجنة.

الثاني والعشرون بعد المائة : بيان قانون حب الله باعث على العمل الصالح ، ومانع من ارتكاب السيئات.

الثالث والعشرون بعد المائة : قانون الجمع بين أداء العبادات والدعاء سعي للفوز بحب الله عز وجل للعبد.

الرابع والعشرون بعد المائة : قانون التلاوة دعاء

الخامس والعشرون بعد المائة : قانون الأذى في سبيل الله ، وأن المؤمن قد يصاب بالأذى الشديد لدخوله الإسلام وطاعته لله ورسوله وفيه الأجر والثواب.

السادس والعشرون بعد المائة : قانون الرفق والتراحم العام.

السابع والعشرون بعد المائة : قانون وموضوعية نية المسلم في الإنفاق وأنه لهداية الناس عامة.

الثامن والعشرون بعد المائة : قانون الإقرار بالنسخ.

التاسع والعشرون بعد المائة : قانون تثبيت الآية القرآنية التوحيد في الأرض.

الثلاثون بعد المائة : قانون تثبيت المسلمين في مقامات الإيمان، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١).

الواحد والثلاثون بعد المائة : قانون ترغيب للناس كافة إلى سبيل الهداية والصلاح.

الثاني والثلاثون بعد المائة : قانون اتخاذ الدعاء مسلكاً وطريقاً مباركاً ، وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢).

الثالث والثلاثون بعد المائة : بيان قانون بشارات الأنبياء حق صدق.

الرابع والثلاثون بعد المائة : قانون الدعاء عند المصيبة.

(١) سورة الأنفال ٢.

(٢) سورة الفرقان ٧٧.

الخامس والثلاثون بعد المائة : بيان قانون الملازمة بين إسلام أهل مكة ، ولحوقهم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته إلى المدينة إلا مع العذر.

السادس والثلاثون بعد المائة : قانون نجاة المؤمنين من المساءلة المتعددة في القبر .

السابع والثلاثون بعد المائة : قانون المغفرة طريق إلى الجنة .

الثامن والثلاثون بعد المائة : قانون من فضل الله وهو الثواب يؤدي إلى ثواب أعظم منه .

التاسع والثلاثون بعد المائة : قانون لا يدخل الإنسان في النار إلا الله عز وجل .

الأربعون بعد المائة : قانون انقطاع التجوال في الأرض دفعة .

الواحد والأربعون بعد المائة : قانون ملازمة الإحسان للنبوة مع تباين الحال .

الثاني والأربعون بعد المائة : بيان قانون الملازمة بين النبوة والأخلاق الحميدة .

الثالث والأربعون بعد المائة : قانون وهو لا يقدر على الثواب والجزاء بجنات النعيم إلا الله عز وجل .

الرابع والأربعون بعد المائة : قانون الحياة الدنيا مزرعة للثواب الأخروي .

الخامس والأربعون بعد المائة : قانون لا يقدر على الثواب الأخروي إلا الله عز وجل .

السادس والأربعون بعد المائة : قانون مضاعفة الحسنات أضعافاً كثيرة ، وفي الإنفاق في سبيل الله ، قال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ

اللَّهُ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^(١).

السابع والأربعون بعد المائة : قانون الثواب العظيم في الآخرة فضل من عند الله عز وجل .

الثامن والأربعون بعد المائة : بيان قانون من الإرادة التكوينية قبل أن يخلق الله عز وجل آدم ، في سعة رحمة الله وأنها تتغشى الملائكة والخلائق ، نعم النسبة بين الرحمة والثواب عموم وخصوص مطلق ، فالرحمة أعم ، والثواب فرع الرحمة .

(١) سورة البقرة ٢٦١.

يوميات علمية للمرجعية الإسلامية

المرجع الصالح الطائي

إسباغ الوضوء

إسباغ الوضوء مستحب وهو إبلاغه مواضعه وإتمامه وإكماله وإعطاء كل عضو حقه، ويستحب أن يكون ماء الوضوء بمقدار مدٍّ، أي بمقدار ملئ الكفين معاً، ويكره الإسراف في ماء الوضوء، وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته وأدى زكاة ماله، وكف غضبه وسجن لسانه، وإستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيت نبيه فقد استكمل حقيقة الإيمان.

العدد: ٢٤/٢٤٨ في ٢٠٢٤/٩/٤

الحمد لله الذي جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لتكون من معاني الخلافة إشاعة الإحسان والرفق والإخلاص الحميدة، والإرهاب ضد لها مجتمعة ومتفرقة.

وقد تم بفضل من الله عز وجل تأليف الجزء (٢٦٣) من معالم الإيمان بعنوان (التضاد بين القرآن والإرهاب). ونطبعه على نفقتنا الخاصة، وهو من أفضل موارد الخمس والحقوق الشرعية.

العدد: ٢٤/٢٤٩ في ٢٠٢٤/٩/٥

أفعال الوضوء

الأول: النية: وهي مركبة من الإرادة وقصد القربة ولا يشترط التلفظ بها.

الثاني: غسل الوجه: وحده من قصاص الشعر إلى الذقن طولاً وما اشتملت عليه الإبهام والوسطى عرضاً.

الثالث : غسل اليدين: من المرفقين إلى أطراف الأصابع وتقديم اليد اليمنى على اليسرى وعليه الإجماع .

الرابع : مسح الرأس: يمسح الرأس بما بقي من بلة الوضوء في اليد، والأحوط ان يكون على الربع المقدم من الرأس وعلى الناصية وهي قصاص الشعر فوق الجبهة.

الخامس : مسح الرجلين: من رؤوس الأصابع إلى الكعبين وهما قبتا القدمين ، ومشهور المسلمين غسل الرجلين (وأخرج عن ابن عباس قال : الوضوء غسلتان ومسحتان)^(١).

العدد : ٢٤/٢٥٠ في ٢٤/٩/٦ ٢٠٢٤

يتضمن الجزء (٢٦٣) من معالم الإيمان الذي تم تأليفه هذه الأيام أكثر من (٢٠٠) قانون وهي على قسمين :

الأول : القوانين التي ذكرت بالاسم فقط .

الثاني : القوانين التي ذكرت مع بيان وتفصيل وشواهد لها من الكتاب والسنة ، ومنها :

الأول : الإرهاب ضد لقانون الخلافة في الأرض .

الثاني : السلم الأهلي في السنة النبوية .

الثالث : قانون وجوب النهي عن الإرهاب .

الرابع : قانون الملازمة بين الاسلام والسلام .

الخامس : قانون مناعة الإرهاب لقواعد الهجرة .

السادس : قانون الرفق العام .

السابع : قانون الإرهاب ضرر خاص وعام .

الثامن : قاعدة لا ضرر ولا ضرار .

العدد : ٢٤/٢٥١ في ٢٤/٩/٧ ٢٠٢٤

لقد ارتقت علوم التكنولوجيا ووسائل الإتصال الإجتماعي في هذا الزمان ارتقاءً خارقاً للتصور الذهني ، وبسرعة فائقة ، وتتوج بالذكاء الإصطناعي ، وهو من مصاديق فضل الله عز وجل باكتساب الناس للعلوم ، وجعلها قريبة من الجميع ، قال تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ .
 مما يلزم الشكر لله عز وجل على هذه النعمة بتسخيرها في طاعة الله والوثام والنفع العام للناس جميعاً.

العدد : ٢٤/٢٥٢ في ٢٠٢٤/٩/٨

تبديل تسمية آية السيف طرد للإرهاب

وآية السيف هي ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ولم يرد لفظ السيف في القرآن ، ويتعلق موضوع الآية أعلاه بمشركي مكة وما حولها أيام التنزيل ، إذ توالى بعدها نزول آيات الأمر بالجدال والإحتجاج والعفو والصفح والإحسان للناس.

وقد انتقل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير أخذه لأهله ، وفيه شاهد على وجود أهل الكتاب في المدينة بعد نزول آية السيف وإحسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ويدل على انتفاء الأصل لتسمية آية السيف ولم تكن هذه التسمية معهودة أيام النبوة أو زمان الصحابة وأئمة أهل البيت عليهم السلام مع عنايتهم بالتفسير ، ولا بد من تغيير هذه التسمية ، وتسميتها مثلاً آية (فَإِذَا

(١) سورة التوبة ٥.

أُستلخ) بلحاظ تسمية الآية بأول كلماتها ، خاصة وأنه لم يرد اللفظ أعلاه في القرآن إلا في هذه الآية .

وفي هذا التغيير والتبديل إعانة في سبل الصلاح ، ونبذ للعنف ، وطرده للإرهاب ، وفيه دعوة للتسامح والتآلف بين أهل الملل ، وتغليب للغة الحوار.

العدد : ٢٤/٢٥٣ في ٢٠٢٤/٩/٩

هل يدل قوله تعالى ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ على أن هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله عز وجل وليس بفعل المشركين الذين أرادوا قتله في ليلة الهجرة ، الجواب نعم ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

لقد عزموا على إخراج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة والحرم إلى جهة مجهولة يكون فيها قتله ، وضياع دمه ، فاختر الله عز وجل له الهجرة إلى المدينة تلك الهجرة التي غيرت تاريخ الإنسانية نحو الصلاح والإصلاح ، واستتصال الظلم والإرهاب ، ولا عبرة بالقليل النادر في زمن مخصوص.

العدد : ٢٤/٢٥٤ في ٢٠٢٤/٩/١٠

إهداء الجزء (٢٦٣) من معالم الإيمان
الحمد لله الذي جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ومن معاني هذه الخلافة إشاعة الإحسان والرفق والسنن والأخلاق الحميدة .

(١) سورة الأنفال ٣٠.

وقد جعل الله عز وجل الدنيا دار الأمن والسلام ، ليكون الخوف والفرع والقتال أمراً طارئاً سرعان ما يزول ، ويبقى صفحة قائمة من صفحات التاريخ تبعث على الندامة والأسى .

وهذا الجزء من معالم الإيمان هو الجزء (٢٦٣) ويختص بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) والذي صدرت بخصوصه الأجزاء (١٨٤-١٨٥-١٨٨-١٩٨-١٩٩-٢٠٣-٢١٠-٢١١-٢١٩-٢٣٥-٢٣٦-٢٣٨-٢٤٣-٢٤٤-٢٤٦) من هذا السفر.

ويقوم المرجع الوالد بتأليف كتبه في التفسير والفقه والأصول وتصحيحها ومراجعتها بمفرده ، بفيض ومدد ولطف من عند الله عز وجل.
العدد : ٢٤/٢٥٥ في ٢٠٢٤/٩/١١

ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في شهر ربيع الثاني سنة ٢٣٢ هجرية .

وقد أثنى عليه أبوه الإمام علي الهادي (ع) إذ كتب إلى أبي بكر الفهفكي (أبو محمد ابني أصح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه ينتهي عرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلني منه فاسأله عنه، وعنده ما تحتاج إليه) البحار ٢٤٥/٥٠.
وكانت أخلاق الإمام الحسن العسكري كأخلاق رسول الله (ص) نبياً فاضلاً كريماً ، وهو أعلم أهل زمانه .

وكان طويل السجدة ، وعندما سجن في سجن صالح بن وصيف قال الموكلون عليه أنه يصوم النهار ويقوم الليل كله ، ولا يتكلم ، ولا يتشاغل بغير العبادة .

استشهد الإمام العسكري في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠ وعمره ثمانين وعشرون سنة .

العدد : ٢٤/٢٥٦ في ٢٠٢٤/٩/١٢

بيانان في موضوع متحد بينهما (٢٢) سنة
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، ويرتقى في سلم العلم
والتحصيل.
ويشرع البحث الخارج لفضلاء الحوزة العلمية في الفقه ، والأصول ،
والتفسير غداً السبت العاشر من ربيع الأول ١٤٤٦ هـ .
وأدناه نشر الصحف المحلية لبياننا ابتداء الدروس الحوزوية بعد سقوط
النظام السابق ، سنة ٢٠٠٣ ميلادية.
العدد : ٢٤/٢٥٧ في ٢٠٢٤/٩/١٣



لمناسبة المولد النبوي الشريف

لقد نسبت كتب السيرة النبوية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ستاً وعشرين غزوة ، وفي خبر ثمانين وعشرين غزوة ، والمختار أنه لم يغز
أحداً ، إنما كان المشركون هم المعتدون الغزاة والذين يبدأون القتال ، كما في
معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين .

وقد صدرت لي والحمد لله ثمانية وعشرون جزءاً من تفسيري (معالم
الإيمان) بخصوص براءة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الغزو وإن
كان حاجة للمصالح ولكن معجزاته العقلية والحسية أقوى من السيف وهي

الأجزاء : (١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٨-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٤-١٧٦-١٧٧-
١٧٨-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٧-١٩٣-١٩٤-١٩٦-٢٠٤-٢١٢-٢١٦-٢٢١-
٢٢٩-٢٣٩-٢٥٦-٢٦١)

وكتبي في التفسير والفقه والأصول والكلام معروضة على موقعنا
(www.marjaiaa.com).
العدد : ٢٤/٢٥٨ في ٢٤/٩/٢٠٢٤

لا بأس بادخال الثقافة القانونية في المناهج الدراسية لترغيب الشباب في
الإطلاع على القوانين ، ومعرفة موضوعيتها وحضورها في الواقع اليومي
طوعاً وقهراً وانطباقاً ، والحاجة إلى قانون عدم الغفلة عن الأحكام
والقوانين ، وقانون عموم التفقه والإحاطة الإجمالية بالقوانين ، وبحسب
البلد والحال وبما يكفل عصمة الشباب من الميل إلى الظلم والتعدي
والإرهاب .

ولابد من الوعي والفقاهة بالحاجة إلى التعايش السلمي في المجتمعات في
زمان العولمة ، وإشاعة ثقافة الحوار والتفاهم بلباس الإيمان ، ونشر التعليم
ومراحلته ، وفتح أبواب المعرفة لعامة الناس ، ومن إعجاز القرآن في المقام
أن أول آية نزلت منه هي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.
العدد : ٢٤/٢٥٩ في ٢٤/٩/٢٠٢٤

من كتابنا (قوانين البرزخ) تحت التأليف
دأب المسلمون على قراءة القرآن على القبور ، وتلاوة سور مخصوصة
منه ، لورود دليل على منفعة الميت من قراءتها وفيه أخبار عديدة .
ومن تلك السور سورة يس ، والواقعة ، وسورة الملك .
وروي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن سورة الملك ﴿تَبَارَكَ
الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هي الواقية من عذاب القبر ،

أي تنجي وتحفظ الذي يقرأها في حياته من عذاب القبر وتنفع الميت حين تتلى على قبره .

وعن الإمام الرضا عليه السلام : إن أهل المقبرة يدعون الله أن يمر بهم المؤمن فيقرأ سورة الفاتحة فيتقاسمون ثوابها دون أن ينقص من ثواب كل واحد منهم شيء .

العدد : ٢٤/٢٦٠ في ٢٠٢٤/٩/١٦

الإحسان لغة مصدر أحسن أي قام بفعل حسن وممدوح ، وضد الإساءة ، وجمعتهما كضدين آية ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ .

وقد يكون الفعل أحسن لازماً ، لقولك أحسنت كذا .
أو متعدياً بحرف الجر : أحسنت إلى كذا ، ويمكن تقسيم الإحسان تقسيماً مستحدثاً هنا إلى أقسام :

الأول : الإحسان إلى الذات ، ومنه أداء الفرائض العبادية ، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ .

الثاني : الإحسان إلى الغير ، قال تعالى ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ^(١) .

الثالث : الإحسان للذات والغير في الفعل المتحد ، ومنه الصبر والتحمل والقول الحسن ، قال تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ^(٢) .

(١) سورة .

(٢) سورة الإسراء ٥٣ .

وكثيرة هي الآيات التي أمرت بالإحسان ، ورغبت فيه ، وقد كانت السنة النبوية القولية والفعلية إحساناً محضاً .

(عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الخلق عيال الله ، فأحب الناس إلى الله من أحسن إلى عياله).

العدد : ٢٤/٢٦١ في ٢٠٢٤/٩/١٧

من العلوم التي استحدثتها والحمد لله في علوم القرآن باب إعجاز الآية عند تفسيرها ، ثم قسمت هذا الإعجاز إلى قسمين :

الأول : إعجاز الآية الذاتي .

الثاني : إعجاز الآية الغيري .

وكذا قسمت معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى قسمين:

الأول : المعجزات الذاتية .

الثاني : المعجزات الغيرية .

وكل من إعجاز الآية الغيري ، ومعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الغيرية تتجدد فصول منها كل يوم .

وقد يجتمعان في مصداق واحد ، كما في هجرة طائفة من الصحابة إلى الحبشة عندما اشتد أذى كفار قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم في مكة .

ومن الإعجاز في المقام أيضاً ثباتهم على الإيمان في بلاد الهجرة مع بعدها وأهوال الطريق والبحر ، ومشاق الغربة وعددهم ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة ، ولم يترد منهم إلا فرد واحد هو عبيد الله بن جحش ، ومات في الحبشة على الخمر وتزوج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعده زوجته أم حبيبة لتنال مرتبة أم المؤمنين .

العدد : ٢٤/٢٦٢ في ٢٠٢٤/٩/١٨

اختلف في الخضر هل هو ملك أم بشر ، والمختار هو الثاني ، وهو حي ، وهل كان نبياً أو ليس بنبي ، المختار هو الثاني ، وقيل إنه نبي ، وقيل مات قبل بعثة النبي محمد ص ، ويقدس الخضر عند ملل أخرى أيضاً مثل النصرانية واليهودية .

وتسمية الخضر لأنه إذا صلى في مكان اخضر ما حوله ، وقد قيل لموسى عليه السلام إنك تلقى الخضر في موضع تنسى فيه متاعك ، إذ قال يوشع لموسى ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾^(١).

(قال ابن عباس لما اقتفى موسى أثر الحوت انتهى إلى رجل راقد وقد سجي عليه ثوبه ، فسلم عليه موسى ، فكشف ثوبه عن وجهه ورد عليه السلام وقال : من أنت .

قال : موسى . قال صاحب بني إسرائيل ، قال : نعم .
قال : وما لك في بني إسرائيل شغل ، قال : أمرت أن آتيك وأصحبك).
العدد : ٢٤/٢٦٣ في ٢٠٢٤/٩/١٩

الحمد لله الذي جعل القرآن بياناً و﴿ثِيَابًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ومنه وجوب عبادة الله ، والتحلي بالصبر ، والإحتجاج بالقرآن والموعظة الحسنة ، والإستعداد لليوم الآخر بمصاديق التقوى .

ومع قلة كلمات الآية الكريمة ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) فقد صدرت الأجزاء (١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩) من تفسيري للقرآن خاصة بكشف ذخائرها وتفسيرها .

وكل جزء منها أكثر من ثلاثمائة صفحة والحمد لله .

(١) سورة الكهف ٦٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٣٨ .

العدد : ٢٤/٢٦٤ في ٢٠/٩/٢٠٢٤

قضاء العبادات عن الميت

يجب على الوارث متحداً أو متعدداً قضاء ما فات الميت من الصلاة والصيام وحج البيت الحرام والزكاة والخمس ، وهو من البر بالوالدين والأرحام.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فحق الله أحق بالقضاء .
وفي صحيحة حفص بن البختري عن الإمام الصادق عليه السلام (يقضي عنه أولى الناس بميراثه ، قلت : فإن كان أولى الناس به امرأة ؟ فقال : لا ، إلا الرجال).

وعنه عليه السلام (يدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبر والدعاء ، ويكتب أجره للذي يفعله وللميت).
(وفي الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من مات وعليه صيام صام عنه وليه).

العدد : ٢٤/٢٦٥ في ٢١/٩/٢٠٢٤

(أنا ابن الذبيحين)

هذا قول للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو من ولد إسماعيل (ع) الذي أراد أبوه الرسول إبراهيم (ع) ذبحه بناء على رؤيا هي شعبة من الوحي قال تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ٥ ﴾

أما الذبيح الآخر فهو أبوه عبد الله إذ نذر عبد المطلب لئن ولد له عشرة أولاد ، وبلغوا معه وصاروا يمنعون ويذبون عنه لينحرن أحدهم ، فلما تكامل عددهم عشرة جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم للوفاء به ، وأخذهم وأجرى القرعة بينهم في جوف الكعبة بالأزلام وهي أقداح كل واحد منهم

له قدح عليه اسمه ، فخرجت القرعة على عبد الله ، وهو أصغر ولده وأحبهم إليه .

فأخذ عبد المطلب بيده ومعه الشفرة ليذبحه ، فمنعته بنو مخزوم وأخوه أبو طالب وولده ، وقالوا لئن فعلت هذا تكون سنة .

فذهب عبد المطلب وجماعة من قريش إلى المدينة (يثرب) وفيها عرافة اسمها سجاح لها تابع (من الجن) فقالت كم الدية عندكم قالوا عشرة من الإبل ، فقالت اقرعوا بينه وبين عشرة من الإبل ، وكلما خرجت عليه زيدوا عشرة إلى أن تخرج على الإبل فتتحر وينجو صاحبكم ، فلما بلغت مائة خرجت القرعة على الإبل فنحرت ، لا يصد أو يمنع عنها إنسان .

ومن فضل الله عز وجل برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بطلان مثل هذا النذر ، وكذا نذر المعصية .

العدد : ٢٤/٢٦٦ في ٢٢/٩/٢٠٢٤

(لا تجوز تسمية الشيعة بالرافضة)

الرفض لغة هو الترك بنية وقصد ، والرافضة في الاصطلاح يطلق على الشيعة أو خصوص الإمامية منهم ، ولا أصل له عقائدياً وفقهياً وتاريخياً .

وأول ما ظهر لفظ الرافضة في ثورة زيد بن علي بن الحسين (ع) سنة ١٢٢ للهجرة ضد حكم هشام بن عبد الملك من بني أمية ، إذ قال له أبو الخطاب وأصحابه : ما تقول في أبي بكر وعمر ، وكان زيد يحتاج التأييد والنصرة من الجميع فقال : لا أقول فيهما إلا خيراً ، فقالوا رفضنا صاحبنا ، وقد لعن الإمام الصادق (ع) أبا الخطاب هذا وتبرء منه .

والذين قالوا هذا القول ليسوا من أصحاب الإمام جعفر الصادق (ع) الذي أوصى أصحابه عندما ثار زيد (كونوا أحلاس بيوتكم)^(١)، أي الزموها الزموها فلا تخرجوا على السلطان .

(١) البحار ٥٢/١٢٨ .

أما ما روي (عن أبي الجارود قال: أصم الله أذنيه كما أعمى عينيه إن لم يكن سمع أبا جعفر عليه السلام ورجل يقول: إن فلانا سمانا باسم، قال: وما ذاك الاسم؟ قال: سمانا الرافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام بيده إلى صدره: وأنا من الرافضة وهو مني قالها ثلاثاً) فالخبر ضعيف سنداً ودلالة .

وقد تبرأ الإمام الباقر ثم الإمام الصادق عليهما السلام من أبي الجارود وما يعتقده ، وهو من الموالى ، وأسس فرقة الجارودية ، ومال إلى زيد بن علي ، لذا ترى الكتب الأربعة الكافي ، الإستبصار ، من لا يحضره الفقيه ، تهذيب الأحكام ، لم تذكر هذا الحديث ونحوه .

وقد نهى الإمام محمد الباقر (ع) أخاه زيد بن علي عن الخروج عندما عرض عليه زيد كتب أهل الكوفة يدعونه إليهم ، فغضب زيد وقال (ليس الامام منا من جلس في بيته ، وأرخى ستره ، وثبط عن الجهاد، ولكن الامام منا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهاده... الحديث)^(١).

وقد جادل وجوه الشيعة زيداً في خروجه بأن الإمام علي عليه السلام (أكان إماماً وهو مرخ عليه ستره)^(٢) ، أي أيام خلافة أبي بكر وعمر وعثمان .

وكان الصادق عليه السلام يذيع نهي أبيه الباقر لزيد عن الخروج .
وابتدأ النهي من أيام الإمام زين العابدين (ع) عندما كان زيد صبيّاً فوقع على عتبة الباب فانشج وجرى الدم منه ، فقال الإمام : يا بني اعيذك بالله أن تكون المصلوب في الكناسة ، فقال أبو حمزة الثمالي : أي كناسة : قال : كناسة الكوفة ... الحديث .

(١) البحار ٢٠٣/٤٦ .

(٢) البحار ١٩٧/٤٦ .

لذا فان وجوه الشيعة في الكوفة لم يخرجوا مع زيد ومن بداية ثورته ، فلا صلة لهم بتسمية الرافضة وهم جماعة أيده ثم انسحبوا وتخلوا عن نصرته مع تعدد أسباب هذا الإنسحاب والتخلي ، منها إنكشاف ضعف الحركة وانحصارها بمدينة الكوفة مع سعة سلطان بني أمية وتبعية الأمصار لهم ، وإغراء وتخويف السلطان للشوار.

فليس من صلة بين الشيعة وتسمية الرافضة ، وما يقال بأن هذه التسمية مدح لهم مستحدث ، ولا أصل له ، وقد ذكرت في كتابي (فلسفة الإمامة في الصحيفة السجادية) والمطبوع قبل أكثر من ثلاثين سنة (أن المراد من هذه التسمية حض الشيعة على الخروج على السلطان ليكون سبباً لقتلهم والتأليب عليهم).

وتبعث تسمية الرافضة الحكام على الإضرار والبطش بالشيعة ، إذ يقول أهل الكيد والمكر للحاكم : لما رفضت الشيعة حكم أبي بكر وعمر فمن باب الأولوية رفضهم لحكمك ، في دعوة للسلطان لعدم تقريب الشيعة وتوليهم المناصب ، وللتضييق عليهم ونعتهم باللقاب غير مناسبة ، لذا لا يجوز إطلاق لفظ الرافضة على الشيعة والإمامية خاصة ، وقد صدر لي والحمد لله الجزء الثالث والستون بعد المائتين من تفسيري للقرآن (معالم الإيمان) ولازلت في سورة آل عمران .

العدد : ٢٤/٢٦٧ في ٢٣/٩/٢٠٢٤

قصيدة العلامة الجليل السيد عبد الستار الحسيني "رحمه الله"
عند قدوم المرجع الطائي من سفره سنة ٢٠٠٠ أي قبل (٢٤) سنة

إلى سماحة شيخنا آية الله العظمى صاحب المؤلفات القيمة والبحوث
النفيسة الفقيه المفسر الشيخ صالح الطائي دام ظله الوارف
أقدم هذه المقطوعة المتواضعة
بمناسبة عودته إلى النجف من سفره الميمون ١٤٢٠ هجرية

وَأَفَى الْبَشِيرُ بِأَبْهَجِ الْأَنْبَاءِ	مَذَّابُ النَّجْفِ الْفَقِيهِ الطَّائِي
عَلَّمَ الْهَدَايَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالتَّقَى	فَخَرُ الشَّرِيعَةِ صَالِحِ الْعُلَمَاءِ
فَتَجَلَّيْنَتْ حُلَّ الْهَنَاءِ رُبُوعَنَا	بِقُدُومِ حُجَّةِ دِينِنَا الْغُرَاءِ
وَمَعَالِمِ الْإِيمَانِ يَعْْبَقُ نَشْرُهَا	بَيْنَ الْأَنَامِ بِأَعْطَرِ الْأَشْدَاءِ
ذَاكَ الَّذِي وَفَى الْفَقَاهَةَ حَقَّهَا	دَرْسًا وَتَحْقِيقًا بِغَيْرِ مَرَاءِ
وَجَلَائِلِ الْأَثَارِ شَاهِدَةً لَهُ	كَالشَّمْسِ قَدْ لَاحَتْ لَعَيْنُ الرَّائِي
كَمْ خَطَّ سَفَرًا بِالْحَقَائِقِ نَاطِقًا	تَعْلُو رُتَبَتِهِ عَلَى الْجُوزَاءِ
بَهَرَتْ بَنِي الْعَالِيَا مَنَاقِبُهُ فَمَا	أَغْنَاهُ عَنْ مَدْحِي وَعَنْ إِطْرَائِي

العدد : ٢٤/٢٦٨ في ٢٤/٩/٢٠٢٤

في حديث للإمام موسى بن جعفر (ع) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اختار الله من البلدان أربعة فقال عز وجل ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزُّيْتُونَ﴾ * وَطُورِ سَيْنِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿١﴾) فالتين المدينة والزيتون بيت المقدس وطور سينين الكوفة ، وهذا البلد الامين مكة .
واختار من النساء أربعة : مريم وآسية وخديجة وفاطمة .
واختار من الأيام أربعة : يوم الجمعة ، ويوم التروية ، ويوم عرفة ،
ويوم النحر. أنظر الخصال ١/٢٣٣
العدد : ٢٤/٢٦٩ في ٢٥/٩/٢٠٢٤

أقوال الحكماء عند موت الإسكندر

لقد أولت الشرائع السماوية الموت واستحضاره في الذهن عناية خاصة كمدخل للصلاح والهداية ، وأولى الحكماء عناية خاصة بموضوع الموت مادة لبيان زيف زخارف الدنيا ومتاعها ضمن موازين العقل ودواعي الحكمة ، إلا أنها كانت قاصرة في إعطاء المفاهيم الروحية للموت وما بعده فمثلاً عند موت الإسكندر اجتمع عند تابوته الحكماء ، وكما يفعل أطباء

الابدان في هذا الزمان بالاجتماع عند جثة الميت للبحث عن سبب الوفاة ونحوه.

استثمر الحكماء تلك المناسبة وتكلموا فقال أحدهم: حركنا بسكونه. وقال الآخر: قد كان سيفك لا يجف وكانت مراقبك لا ترام وكانت نقماتك لا تؤمن وكانت عطايك يفرح بها، وكان ضياؤك لا ينكشف فاصبح ضوؤك قد خمد واصبحت نقماتك لا تخشى وعطايك لا ترجى ومراقبك لا تمنع وسيفك لا يقطع. وقال آخر انظروا إلى حلم المنام كيف انجلى وإلى ظل الغمام كيف انسل.

وقال آخر: ما كان أحوجه إلى هذا الحلم وإلى هذا الصبر والسكون أيام حياته. وقال آخر: القدرة العظيمة التي ملأت الدنيا العريضة الطويلة طويت في ذراعين، أي في الكفن. وقال آخر: أسر الأسراء أسيراً، وقاهر الملوك مقهوراً كان بالامس مالكا فصار اليوم هالكا.

وولد الإسكندر المقدوني سنة ٣٥٦ ق.م في مدينة بيل المقدونية (اليونان) ومات سنة ٣٢٣ ق.م وعمره ٣٣ سنة، في مدينة بابل في العراق تولى الحكم بعد مقتل أبيه على يد حارسه.

والإسكندر من أعظم القادة العسكريين وكان يعتمد الهجوم المفاجئ، وخطة الحمامة، وهو تلميذ أرسطو، وفتح مصر والعراق والهند وفارس التي غزاها تحقيقاً لحلم والده، ولم يهزم في معركة.

وأختلف في سبب موته وسرعان ما تفككت الممالك التي استولى عليها، قال تعالى ﴿وَبَلَّغَ الْيَوْمَ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

وقال الإمام علي عليه السلام (غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي).

(١) سورة آل عمران ١٤٠.

ولم يترك الإمام علي عليه السلام للحكماء وغيرهم أن يتحدثوا عند جنازته بل كفاهم هذا الحديث وهو سيد البلغاء ، عندما أصيب تكلم قبل موته بخطبة بليغة مملوءة موعظة وعبرة وتقوى ومما جاء فيها، انا بالإمس صاحبكم، وأنا اليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم، غفر الله لي ولكم .
إلى أن قال : وإنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً وستعقبون مني جثةً خلاءً ساكنة بعد حراك. وصامته بعد نطوق ليعظكم هدوي وصفوت اطلاقي وسكون أطرافي. فانه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع.

العدد : ٢٤/٢٧٠ في ٢٦/٩/٢٠٢٤

لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (من مات فقد قامت قيامته).

ليبان بقاء باب العمل والأجر مفتوحاً وتمام مستلزمات الحساب ووضوح مقام الإنسان في الآخرة ، وفيه دلالة على بدء مراحل الحساب بالموت وانتقال الإنسان إلى العالم الآخر .

ومن فضل الله عز وجل على الناس عدم إقطاع الرجاء والصلة مع الدنيا بعد الموت ، فقد يأتي الثواب العظيم من الأولاد والأصدقاء والأخيار بالإستغفار والدعاء له ، وإهداء الصالحات في ثوابه ، وهذا يوم الجمعة فاذكروا موتاكم ليأتيكم الأجر والثواب .

العدد : ٢٤/٢٧١ في ٢٧/٩/٢٠٢٤

البكاء على الميت

يقال بكى يبكي بكى وبكاء بالقصر والمد، قيل القصر مع خروج الدمع ، وقد جمع حسان بن ثابت بينه وبين النياحة فقال :
بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ .
والبكاء مظهر نفساني وهو مرآة لحال الحزن الشديد عند الانسان واطلاقه العنان للتعبير عما يلم بالنفس من الجزع والاسى ، وقد ثبت في

تجارب الطب القديم ودراسات الطب الحديث وجود منافع للإنسان في البكاء عند المصيبة لما فيه من التخفيف من وطأتها على النفس.

(وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَظَفَرَ - أَيَّ يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ أَحَدٍ - فَسَمِعَ الْبُكَاءَ وَالنَّوَائِحَ عَلَى قَتْلِهِمْ فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ لَكِنْ حِمْزَةٌ لَا بَوَاكِي لَهُ فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَمْرًا نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَمْنَ ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيُبْكِينَ عَلَى عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

لقد بكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على شهداء أحد ، ثم ذكر مصيبته باستشهاد حمزة بن عبد المطلب لبيان أنه أيضاً فقد عمه شهيداً . وفي مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي توفي فيه كانت فاطمة عليها السلام عنده وهي تقول (واكرباه لكربك يا أبتاه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا كرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمة ، إن النبي لا يشق عليه الجيب ، ولا يخمش عليه الوجه ، ولا يدعى عليه بالويل ، ولكن قلولي كما قال أبوك على إبراهيم : تدمع العينان وقد يوجع القلب ، ولا تقول: ما يسخط الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، ولو عاش إبراهيم لكان نبياً.

العدد : ٢٤/٢٧٢ في ٢٨/٩/٢٠٢٤

يُنْظَرُ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ بِأَنَّ الصَّلَاةَ أَمْرٌ مَفْرُوضٌ ، وَفِي أَوْقَاتٍ مُحَدَّدَةٍ ، وَلَكِنْ لِلآيَةِ دَلَالَاتٌ وَمَفَاهِيمٌ أُخْرَى مِنْهَا :

الأول : منافع أداء الصلاة في يومها كغفران الذنوب ، وفي أيام الدنيا والآخرة .

الثاني : قانون الأجر العظيم في تعاهد أوقات الصلاة.

الثالث : المصالح المترشحة عن أداء الصلاة ومنها تهذيب النفوس وإصلاح المجتمعات ودفع المفساد ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١).

الرابع : قانون أداء الصلاة من أبهى مصاديق طاعة الله ، والإقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : حضور الصلاة عوناً عند الموت ، وشفيعاً في عالم البرزخ ، ومواطن متعددة يوم القيامة .

و(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى ملكاً ينادي عند كل صلاة يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على أنفسكم فاطفئوها).

العدد : ٢٤/٢٧٣ في ٢٩/٩/٢٠٢٤

يحتمل قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَخِلفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢) من جهة البشارة وجوهاً :
الأول : إنه بشارة متحدة .

الثاني : إنه بشارة بخصوص عالم الآخرة حسب نظم الآية ، ومجئ خاتمها بعد سؤال السلامة من الخزي يوم القيامة .
الثالث : إنه بشارة في أمور الدنيا والآخرة .

والصحيح هو الأخير ، فمصاديق خاتمة الآية حاضرة في كل يوم من أيام الدنيا بما فيه النفع العظيم للناس ، ويكون حضورها أظهر في جميع مواطن الآخرة ، لذا ورد قوله تعالى بخصوص أهل الجنة ﴿وَأَخِرْ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة العنكبوت ٤٥.

(٢) سورة آل عمران ١٩٤.

(٣) سورة يونس ١٠.

ومنه الشكر لله عز وجل على تنجز وعده للمؤمنين ، وهل قولهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خاص بنعم الآخرة ، أم يشمل النعم وفضل الله عز وجل في الدنيا ، الجواب هو الثاني .

خاصة وأن الدنيا مزرعة للآخرة ، والعمل الصالح فيها بتوفيق من عند الله ليكون نوع طريق إلى الخلود في النعيم ، ومنه تلاوة آية البحث في الصلاة وخارجها ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) في الدنيا والآخرة .

ليتجلى قانون مصاحبة الوعد الإلهي وتنجزه للناس في الدنيا والآخرة .

العدد : ٢٤/٢٧٤ في ٢٠٢٤/٩/٣٠

بحث كلامي

من وظائف الإنسان الايمان والتصديق بالملائكة

وإيمان الناس بالملائكة على وجوه :

الأول : أنهم خلق لله مسكنهم السماء .

الثاني : خلق الله الملائكة من نور ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارج من نار ، وخلق آدم كما وصف لكم) .

الثالث : الملائكة عباد مكرمون لله عز وجل ، فهم ليسوا أولاداً أو بناتاً لله ، أو شركاء له في السماء .

الرابع : الملائكة سفراء بين الله والأنبياء ، وهو من أسباب تسميتهم ملائكة والتصديق بهم من قانون اللازم والملزوم .

الخامس : الإيمان بالملائكة مقدمة للتصديق بالوحي ونزول الكتب ، وقد رزق الله عز وجل الإنسان الخلافة في الأرض ، ولم يمنح هذه المرتبة إلى الملائكة .

(١) سورة آل عمران ١٨٩ .

وهل يدل هذا المائز على أن الأنبياء أفضل من الملائكة ، الجواب لا بد من الجمع بين أوجه التفضيل للطرفين كتاباً وسنة .

السادس : خلق الملائكة سابق لخلق الإنسان لقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ .

السابع : من بديع صنع الله أن الملائكة يفعلون ما يأمرهم الله ، قال تعالى ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وهل فيه إقامة للحجة على الناس بأن بإمكانهم التشبه بالملائكة في عمل الفرائض العبادية ومطلق الصالحات ، الجواب نعم .

الثامن : كثرة أعداد الملائكة ، ولا يحصي كثرتهم إلا الله عز وجل منتشرين في السموات ، وآفاق الكون ، ويمكن استقراء هذه الكثرة من نصوص عديدة بلحاظ الوقائع منها ما ورد (عن أبي قلابة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من خرج من بيته يطلب علماً شيعة سبعون ألف ملك يستغفرون له).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال (إن سعداً لما مات شيعة سبعون ألف ملك، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبره فقال: ومثل سعد يضم).

فقال أمه : هنيئاً لك يا سعد وكرامة، فقال لها رسول الله: يا أم سعد لا تحتمي على الله، فقالت: يا رسول الله قد سمعناك وما تقول في سعد، فقال: إن سعداً كان في لسانه غلظ على أهله).

كما تتجلى كثرة الملائكة يوم القيامة حينما يكشف عن الأبصار ، قال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ .

التاسع : لا يفتر أو يتكاسل الملائكة عن التسبيح وعبادة الله .

العدد : ٢٤/٢٧٥ في ٢٠٢٤/١٠/١

قانون الملازمة بين التقوى والطمأنينة

الطمأنينة في الدنيا هي إمتلاء نفس الإنسان باليقين في التوحيد والنبوة والمعاد ، وعصمتها من الشك والريب ، فتجده يتنزه عن الإقتراب من الشبهات ، ويمنع نفسه من الوقوع في الفواحش والسيئات ، وإن زلت قدمه يبادر إلى ذكر الله والإستغفار ، النفس تسكن لذكر الله والوعد عليه بالجنة الواسعة.

وأما الطمأنينة في الآخرة فهي الإمتناع بفضل الله عن الخوف عند الموت ، وعند سؤال منكر ونكير في القبر ، ويوم البعث والحساب وهو موضوع نزول قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ . ولو دار الأمر في معنى الآية أعلاه بين إرادة إطمئنان النفس في الآخرة أم في الدنيا والآخرة ، الجواب هو الثاني من وجوه:

الأول : أصالة الإطلاق.

الثاني : دلالة لفظ الآية أعلاه على العموم.

الثالث : سعة رحمة الله عز وجل في الدارين ، والله يعطي بالأوفى والأتم.

الرابع : قانون الدنيا مزرعة للآخرة ، فالإيمان والعمل الصالح سبب للطمأنينة في النشاطين .

الخامس : في قوله تعالى (إرجعي) إشارة إلى إستدامة الإيمان قبل مغادرة الدنيا ، وإستصحابه عند الرجوع إلى الله والانتقال إلى عالم الآخرة .
(عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : قل اللهم إنني أسألك نفساً مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك).

ويدل الحديث على نعمة النفس المطمئنة واليقين في الدنيا ، للأمن من فتنة وعذاب القبر ، وفيه دعوة لإصلاح النفس ، والتنزه عن الشك والريب والرياء والنفاق.

وكل من التقوى والطمأنينة نعمة عظمى ، وحاجة للإنسان في الدنيا ،
وفي عالم القبر ، ويوم القيامة ويترشح الملازمة بينهما الصبر واليقين ، وهو
أعلى مراتب الإيمان ، وهذه الملازمة من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

العدد : ٢٤/٢٧٦ في ٢٠٢٤/١٠/٢

وجوب معرفة التوحيد

يجب على كل إنسان ذكراً أو أنثى الإيمان بالله عز وجل ومعرفة صفاته
الثبوتية المطلقة كالقدرة والعلم والحياة والإرادة والكلام ، وأنه تعالى قديم
أزلي باق أبدي .
ولو معرفة إجمالية تتضمن التسليم والإقرار وتجب على المكلفين عبادة
الله وحده .

ومعرفة الصفات السلبية أي ما ينفي عن الله تعالى فهو سبحانه ليس
بمركب ولا جسم ولا عرض ، وليس في جهة أو مكان ، ولا تصح عليه اللذة
والألم ، وهو سبحانه منزّه عن أين ومتى وكيف ، وأنه واحد أحد لا شريك
له ، وهذا الوجوب عليه إجماع علماء الإسلام .
وعن الإمام الصادق عن أبيه (أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
إن الله تبارك وتعالى يأتي يوم القيامة بكل شئ يعبد من دونه من شمس أو
قمر أو غير ذلك ، ثم يسأل كل إنسان عما كان يعبد ، فيقول كل من عبد
غيره : ربنا إنا كنا نعبدها لتقربنا إليك زلفى .
فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة : اذهبوا بهم وبما كانوا يعبدون إلى
النار ما خلا من استثنيت).

العدد : ٢٤/٢٧٧ في ٢٠٢٤/١٠/٣

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

الموت هو مغادرة الروح للجسد ، وزوال القوة الحسية ، وانعدام الحركة ، والموت ضد الحياة ، وهو أمر وجودي وليس عديمياً ، ومقدمة لدخول عالم البرزخ وأهواله وكل ما هو آت قريب .

وقد صدر والحمد لله الجزء الأول من (قوانين البرزخ) في (٣٢٠) صفحة ، يليه إن شاء الله في أسبوعين الجزء الثاني .

العدد : ٢٤/٢٧٨ في ٢٠٢٤/١٠/٤

فتوى حرمة حرق المضائف

الحمد لله الذي أنعم علينا بصدور الجزء (٢٦٣) من كتابي (معالم الإيمان في تفسير القرآن) في آية علمية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، وأقوم بالتأليف والمراجعة والتصحيح بمفردي بمدد من عند الله عز وجل ، ونطبع أجزاءه المتتابعة على نفقتنا الخاصة والحمد لله ، مع أنه من أفضل موارد الخمس والحقوق الشرعية ، وعنوان هذا الجزء هو (التضاد بين القرآن والإرهاب) فهل يلحق حرق المضائف عمداً بالإرهاب ، خاصة مع ما فيه من الضرر والكدورة والنفرة والإستهجان العام .

وذكرت في هذا الجزء إنشاء المسلمين للملايين المنابر في المساجد ودور العبادة والمضائف ، وحتى في البيوت ففيه تعظيم شعائر الله .

وعدد المساجد في العالم نحو ثلاثة ملايين وستمئة ألف مسجد ، وفي اندونيسيا وحدها تسعمائة ألف مسجد .

وفي كل مسجد وحسينية منبر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد لا تجد أحداً في العالم يجرأ على حرق منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أولئك الذين يحرقون المضائف عندنا ظلماً وتعدياً ، وأعلنت بعض وسائل الإعلام اليوم عن حرق ثلاثة مضائف وأشجار نخيل في إحدى نواحي مدينة الناصرية العزيزة ، في نزاع بين طائفتين من عشيرة واحدة ، لذا

يحرم حرق المضائف عند النزاع ، خاصة وأن أسبابه في الجملة شخصية ، وفي حرق المضيف ، والإضرار به الضمان .

ومن أيام العرب في الجاهلية حرب البسوس التي استمرت نحو أربعين سنة ، وأقل قول في مدتها سبع سنوات (٥٧٧-٥٧١) قبل الميلاد بسبب قتل ناقة .

وجرت بين قبيلتين تغلب وبني مرة ، وفي أعداد القتلى فيها نوع مبالغة فقليل أن عددهم في أيامها مائة ألف ، ولكنها كانت أيام قتال متفرقة .
ويوم داحس والغبراء لإرادة المعارك التي وقعت بين قبيلة عبس وذبيان ، وكل منهما فرع من قبيلة غطفان .

وداحس فرس لقيس بن زهير ، والغبراء فرس لحذيفة بن بدر ، وقعت الحرب بسبب سباق بينهما واستمرت هذه الحرب نحو عشرين سنة ، وحرب بعث ، لبيان فضل الله عز وجل على العرب والمسلمين برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانقطاع هذه الحروب ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

ويتصف أهل العراق بالكرم والجود فشيّدوا عبر التاريخ المضائف طلباً لمرضاة الله عز وجل وإكرام الضيف ، ومرآة لكرم أهل البيت ، وفي النبي إبراهيم عليه السلام وهو من أهل العراق (ولد في أور الناصرية) نزل قوله تعالى ﴿ فَزَاعِلًا إِلَىٰ أَهْلِهِ فَبَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴾ وفي آية أخرى ﴿ بِعِجْلِ حَنِيزٍ ﴾ أي نضيج مشوي بالحجارة وسخونة الحصى ، إذ دخل عليه أربعة من الملائكة ، وكان يظن أنهم من البشر ولكنه استغرب فلم تكن عليهم مظاهر السفر وعنائه ، وقام بخدمتهم بنفسه وزوجته سارة معه ، وكذا خدمة الضيوف في مضائف أهل العراق إلى يومنا هذا .

وتجلت هذه الخصلة الحميدة بأبهى صورها في فتح المضائف لزوار الحسين عليه السلام ، ويتجلى قانون المضائف مرآة لكرم أهل البيت ، وقانون المضائف تعاهد للخلق الحميد ، ورجاء للثواب والأجر .

والمضيف محل لأداء الصلاة جماعة وفردا ، ومناسبة لإجتماع الناس ،
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحل الخصومات .
وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم : من أطلع ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان.
وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام أنه إذا دخل الضيف (منزلك
دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك
وذنوب عيالك) أي تمحى هذه الذنوب ، وفي التنزيل ﴿يُحْوِلُهُ اللَّهُ مَآيَشَاءُ وَيُثَبِّتُ
وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

ومن عادة أهل العراق أنه في كل مضيف منبر رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله وسلم للخطابة والوعظ وإحياء مصيبة كربلاء .
ولا تختص المضائف في العراق بالقرى ، فلها أولوية في تخطيط وبناء
المساكن في المدن مع العناية الخاصة المتصلة بها ، وإن صارت في الغالب جزء
من بناء الدار إلا أنها في مقدمته بينما المضائف في القرى مستقلة شاحخة ،
وتبنى من القصب أو الطابوق .

وقد كان للمرحوم والدي مضيف في محاذة شارع الحبوبي في الناصرية
ومجاور لجامع الشيخ حسن الخويراوي ، يرن فيه هاون القهوة عصراً أمانة
على استقبال الضيوف .

وبيت فيه بعض خطباء المنبر الحسيني القادمين من النجف الأشرف
للتوجه إلى الأطراف والقرى.

ويجب أن تكون المضائف بمعزل عن الخصومات ، وأجنبية عنها لحرمتها
الخاصة .

كما أدعو الخطباء والعشائر العراقية ووسائل الإعلام للتنبيه على حرمة
حرق المضائف .

وهل تحضر المضائف يوم القيامة للشهادة ، الجواب نعم ، فانها تشهد لمن
صلى وتلا القرآن ومن عظم شعائر الله فيها ، واحيي واقعة الطف للموعظة

والصلاح فيها ، وهل تشهد المضائف يومئذ على الذي قام بحرقها ، وحرق المنابر وشواهد الضيافة والذكر ، المختار نعم ، وبالمناسبة صدر لي هذا اليوم والحمد لله الجزء الأول من (قوانين البرزخ) لبيان جانب من أهوال الآخرة ، قال تعالى ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ .

العدد : ٢٤/٢٧٩ في ٢٠٢٤/١٠/٥

كتاب الوقف

الوقف هو تحييس العين وتسييل المنفعة أي عدم جواز نقل ملكيته مع اباحة المنفعة على نحو الدوام للجهة الموقوف عليها كما لو كانت داراً فتبقى وقفاً ولكن منفعتها سكناً وإيجاراً تكون للموقوف عليهم .
وعن النبي محمد (ص) : إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ، والوقف أحد أهم مصاديق الصدقة الجارية .

يشترط في الوقف أمور منها :

الأول : الصيغة وهي كل ما دل على انشاء المعنى المذكور مثل (وقفت) الذي لا يحتاج الى قرينة ، أو حبست وسبلت بل وتصدقت اذا اقرن به بعض ما يدل على ارادة المعنى المقصود كقوله صدقة مؤبدة لا تباع ولا توهب ونحوه قوله : جعلت أرضي أو داري أو بستاني موقوفة أو محبسة أو مسبلة على كذا ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الوقف : حبس الأصل وسبل الثمرة .

(مسألة ١) العربية أو صيغة الماضي ليست شرطاً في الوقف وتكفي فيه الجملة الإسمية كقوله هذا وقف أو هذه أرضي موقوفة أو محبسة أو مسبلة ونحوها مما يفيد الوقف ويدل عليه .

(مسألة ٢) لا بد في وقف المسجد من قصد عنوان المسجدية ، نعم يكفي القصد الإجمالي الإرتكازي ولو لم يكن تفصيلاً فلو خصص مكاناً لصلاة المصلين لا يصبح بذلك مسجداً وان تعارف عند الناس حالته ، كما لو وقف

موضِعاً في محل استقبال الضيوف لصلاتهم وتنسكهم، وفي وقف المسجد الظاهر كفاية قوله جعلته مسجداً وان لم يذكر لفظ الوقف صريحاً في صيغته نعم الأحوط اجراء الصيغة بانه يقول: وقفت هذا المكان او البناء مسجداً او على ان يكون مسجداً.

(مسألة ٣) الوقف عقد لازم ولا يجوز الرجوع فيه ويجب فيه التنجيز وترتيب أثره عليه حال وقوعه، نعم لا يشترط في الانتفاع بالعين الموقوفة ان يكون في الحال، بل تكفي القوة والمتوقع كالأرض التي يشيد عليها البناء تدريجياً، وكالحيوان الصغير.

(مسألة ٤) الظاهر كفاية المعاطاة في مثل المساجد والحسينيات والدور الخيرية والمقابر والشوارع والقناطر والأشجار المغروسة لإنتفاع المارة بظلالها او ثمرها، وكذا الفرشة والقناديل واجهزة التبريد والتدفئة ونحوها للمساجد والمشاهد والحسينيات وبالجملة ما كان محبساً على مصلحة عامة .
(مسألة ٥) يجوز التوكيل في الوقف كباقي العقود والإيقاعات، وهل تجري فيه الفضولية فيه قولان الظاهر جريانها، فلو وقع الوقف فضولاً يكتفي بالإجازة من المالك والأحوط تجدد الصيغة.

لا يشترط قصد القرية في الوقف ولكنه الأحوط خصوصاً وان الثواب يتوقف عليه، وفي الغنية والسرائر أدعي الإجماع على اشتراط القرية، ولم يثبت بل نسب الى الأكثر عدم الاشتراط.

(مسألة ١١) يكفي في وقف المسجد ايقاعه والصلاة فيه كمصداق خارجي للوقف وقيل يتحقق القبض بقبض المتولي او الحاكم الشرعي.

العدد : ٢٤/٢٨٠ في ٢٠٢٤/١٠/٦

ترجمة مختصرة لرجال كل حديث

ينقسم علم الحديث إلى قسمين :

الأول : علم الحديث رواية : وهو الذي يتعلق بمتن الحديث الذي أضيف وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام ، وضبط الحديث وتحرير ألفاظه .

الثاني : علم الحديث دراية : وهو العلم بالقواعد الخاصة بأحوال وشروط ووثاقة رجال السند ، وحقيقة الرواية ، وهل هي من الصحيح أم الحسن أم الموثق أم الضعيف ، ومرتبة الحديث بأضعف رجاله .

وعدد الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتب المسلمين أكثر من ثلاثين ألف حديث بعد حذف المكرر .

وأدعو إلى التحقيق دراية في رجال سند كل حديث على نحو الإختصار كما في الأحاديث الواردة في وسائل الشيعة.

فيكون التعريف بالهامش بكل واحد منهم هل هو ثقة ثقة ، أم ثقة ، أم حسن ممدوح ، أم ضعيف ، أم أن الحديث مرسل أو موقوف حسب كتب الرجال ، وكذا التعريف برجال صحيح مسلم وصحيح البخاري ، كل حسب مذهبه ، ومن غير جرح وتعرض .

العدد : ٢٤/٢٨١ في ٢٠٢٤/١٠/٧

من مصاديق الصراط

وفي معنى الصراط ذكرت وجوه ومصاديق :

الأول : أنه كتاب الله ، وهو المروي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن الإمام علي عليه السلام وعبد الله بن مسعود ، وبالإسناد عن الحارث الأعور عن الأمام علي بن ابي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصراط المستقيم كتاب الله .

الثاني : الإسلام ، وهو المروي عن جابر وابن عباس .

الثالث : دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره ، وهو المروي عن محمد بن الإمام علي .

الرابع : سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنهاجه واهل بيته على جادة الحق والشرعية ، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في الآية انه قال : صراط محمد واهل بيته .

الخامس : حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومودة اهل بيته التي وردت بنص القرآن الكريم فهي سبيل هداية وطريق فلاح وتمسكاً

بعرى الإيمان، لذا ورد عن ابن عباس في الآية قوله : قولوا معاشر العباد ارشدنا الى حب محمد واهل بيته.

السادس : نهج الأنبياء والمرسلين الذين حملوا راية التوحيد وتغشاهم الله عز وجل بنعمة الهداية والإيمان.

السابع : ورد عن الإمام علي عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ آدم لنا توفيقك الذي به اطعنك في ما مضى من أيامنا حتى نطيعك ايضاً في مستقبل اعمارنا لتكون العبادة متصلة وتستوعب الحياة الدنيا.

الثامن : في العيون ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير الآية وما فيها من مضامين الدعاء قال: "يعني ارشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلغ إلى جنتك والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا ونهلك".

التاسع : إنه الطريق الحق.

العاشر : عن الإمام الصادق عليه السلام : إنه الطريق إلى معرفة الله عز وجل.

الحادي عشر : جسر ممدود على جهنم يعبر المؤمنون عليه بسرعة وأمان وعن عبد الله بن مسعود قال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط مرة، ويكبو أخرى، ويمشي مرة ويحبو أخرى، وتصفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها فقال: الحمد لله الذي نجاني منك لقد أعطاني شيئاً لم يعطه أحد من الأولين، ولن يعطيه أحداً من الآخرين) وعن عبد الله بن مسعود قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهايم، ثم يرون والملائكة تقول: رب سلم سلم).

الثاني عشر : وعنه أيضاً : أن الصراط المستقيم في الدنيا ما قصر عن الغلو وأرتفع عن التقصير واستقام، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة.

العدد : ٢٤/٢٨٢ في ٢٠٢٤/١٠/٨

ينشر في شبكات التواصل الإجتماعي قول ينسب إلى الإمام علي عليه السلام وهو (إذا استمر الظالم في ظلمه فاعلم أن نهايته محتومة ، وإذا استمر المظلوم في مقاومته فاعلم أن نصره محسوم بإذن الله)
ولا أصل أو إسناد لهذا القول في كتب المسلمين كافة .
كما أنه يتخلف بمراتب عن لغة وبلاغة الإمام علي عليه السلام وأهل البيت الذين هم ترجمان القرآن .

نعم هو من المعاني المستقرة من الكتاب والسنة وشواهد التاريخ .
قال تعالى ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ وقال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ يَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهُمْ أُمَمَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾
العدد : ٢٤/٢٨٣ في ٢٠٢٤/١٠/٩

فقد النبي (ص) المصيبة العظمى

قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ آخِذْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ .

يكثر القرآن من التذكير بالموت ، لدعوة الناس للإستعداد له ، ومن ضروب التهيء للموت التقوى وإجتنب التعدي .

لقد ورد قوله تعالى أعلاه منعا للغلو بشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومواساة متقدمة للمسلمين على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكون أول من نعاه ورثاه هو الله عز وجل ، وفيها دعوة لمنع الإرتداد عند فقدته ، إذ تفضل الله وأخبر المسلمين بموته قبل أن يغادر الدنيا .

لتفتقد برحيله إلى الرفيق الأعلى فيوضات منها :

الأول : التنزيل ، إذ ينقطع نزول آيات القرآن إلى يوم القيامة ، وليس من كتاب آخر غير القرآن ينزل بعده فهو خاتم الكتب السماوية .

الثاني : إنقطاع الوحي ، فلا ينزل الملك بقصد وحي النبوة ، وبين الوحي والقرآن عموم وخصوص مطلق ، فكل قرآن هو وحي وليس العكس .

لقد كانت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبباً للحزن المركب والأسى .

الثالث : فقد شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والحرمان من طلعه البهية ، وارتقائه المنبر ، وإمامته للجماعة ومن سؤاله .

الرابع : فوات نعمة إستغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ .

الخامس : انقطاع الحديث النبوي ، والسنة النبوية القولية والفعلية ، والتي هي المصدر الثاني للتشريع ، ومن الوحي ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ

الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

العدد : ٢٤/٢٨٤ في ٢٠٢٤/١٠/١٠

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز/ ملك المملكة العربية السعودية "حفظه الله"
- ٢- صاحب السمو رئيس وزراء دولة الكويت.
- ٣- صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض
- ٤- صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة .
- ٥- صاحب السمو الشيخ وزير خارجية مملكة البحرين.
- ٦- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٧- الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي.
- ٨- سماحة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.
- ٩- سماحة العلامة الشيخ أ.د مفتي جمهورية مصر العربية.
- ١٠- سيادة مستشار الأمن القومي .
- ١١- سماحة العلامة المفتي العام لسلطنة عمان .
- ١٢- المدير العام لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة/ إيسيكو
- ١٣- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ١٤- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل/ المملكة العربية السعودية
- ١٥- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.
- ١٦- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة .
- ١٧- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية /العراق .
- ١٨- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ الأردن.
- ١٩- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ٢٠- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجزائر.
- ٢١- سعادة أ.د. رئيس جامعة سومر/ العراق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
(١٧٤)
إمارة منطقة الرياض
(٠٠١)
مكتب الأمير
إدارة العلاقات العامة

فضيلة الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:-

تلقينا خطابكم رقم ٢٢٤ وتاريخ ١٤٣٠/٥/٤ هـ .. ومشفوعه نسخة من كتابكم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء (٦٧).

نشكركم على هذا الإهداء متمنين لكم دوام التوفيق.. ولكم تحياتنا. ،،،

أمير منطقة الرياض

سلمان بن عبدالعزيز

The Prime Minister
State of Kuwait



رئيس مجلس الوزراء
دولة الكويت

سماحة الأخ الكريم الشيخ / صالح الطائي المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

تحية طيبة وبعد...

تلقينا مع الشكر تهنتكم الكريمة بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، مع إهدائكم
الطيب من الجزء الحادي والخمسين من تفسير "معالم الإيمان" والذي تناولتم فيه
تفسير قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ الآية ١١٠ من سورة آل عمران.
ويسرنا ان نعرب لكم عن خالص تقديرنا لمبادرتكم الكريمة، مشيدين بجهودكم الطيبة
التي تبذلونها لخدمة الإسلام، وإيضاح معاني الكتاب الشريف، آملين ان تسهموا
بهذا العمل الصادق في تقريب المقاصد الربانية للآيات بما يعود بالخير على أمتنا
الإسلامية.

نكرر الشكر، آملين لكم دوام التوفيق والسداد في خدمة كتاب الله، وان يحفظ أمتنا
العربية والإسلامية، ويجمع كلمة المسلمين ويوحدتهم لما فيه خيرهم.
مع أطيب التمنيات.

ناصر المحمد الأحمد الجابر الصباح



الكويت في : 13 محرم 1429 هـ
الواثق: 22 يناير 2008 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية

وزارة الداخلية

(٢٧٢)

إمارة منطقة الرياض

(٠٠١)

مكتب الأمير

إدارة العلاقات العامة

فضيلة الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

تلقينا خطابكم رقم ٤٥٥ في تاريخ ٢٠١٢/٥/١٩ م ومشفوعة بنسخة
من كتاب الجزء الثاني والتسعين من التفسير من القسم الثاني من
تفسير الآية (١٣٥) من سورة (آل عمران).

نشكركم على هذا الإهداء متمنين لكم دوام التوفيق. ولكم

تحياتنا...،،،

امير منطقة الرياض

سطان بن عبدالعزيز



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَهُدًى كَرِيمًا
وَزَارَةُ الدَّخْلَةِ
إِمَارَةُ مَنَاطِقِ الْمَكَّةِ
الدراسات والعلاقات العامة

المحترم

سعادة الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارة إلى خطابكم رقم ١٦/٧٨١ وتاريخ ٢٠١٦/٢/١٨
والمرفق به الجزء الثامن والعشرون بعد المائة من (معالم الإيمان في
تفسير القرآن).

نشكركم على ذلك متمنين التوفيق للجميع، ولكم تحياتنا.
والسلام عليكم.

خالد الفيصل

مستشار خادم الحرمين الشريفين
أمير منطقة مكة المكرمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتب الوزير
Minister's Officeمملكة البحرين
وزارة الخارجية

23 نوفمبر 2016

فضيلة الشيخ محمد الشيخ صالح الطائي المحترم مدير مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،
تسلمت بجزيل الشكر نسخة من الجزء الأربعين بعد المائة من
تفسيركم المستير وتدبركم الحكيم في الآية القرآنية الكريمة
[وَلَنْ مُمْ أَوْ قُلْتُمْ لِإِلَهِ تَحْشُرُونَ] مقدراً ما بذلتموه من جهد كبير
وما استبطلتموه من مسائل وقوانين تفيد كافة المسلمين ، مقدراً
جهودكم الدينية والتوعوية الملموسة والدؤوبة، سائلاً الله تعالى لكم
موفور الصحة والعافية ودوام التوفيق والسداد.

وتفضلوا بقبول فائق تحياتي.

١ فر ٢

خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة

وزير الخارجية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRETARIAT GENERAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

أحمد القبروني

مستشار الأمين العام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلس الشورى لدراسة وإحياء التراث - اللجنة العامة

العدد ٩٠ - ج ٢٦٤

الطبعة ٢٠١٢ / ٨ / ٢٠

العدد ٢٠٠ - ج ٢٦٤



مكتب الأمين العام

فضيلة الشيخ الجليل/صالح الطائي المحترم

المرجع الديني _ أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق.

المنامة - مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بوافر التقدير، تلقينا إهداءكم الكريم نسخة من الجزء السابع والأربعين من تفسير "معالم الإيمان في تفسير القرآن".

يطيب لي، بهذه المناسبة، أن أعرب لفضيلتكم عن التقدير والثناء على جهودكم العلمية الحثيثة، وإسهاماتكم الموفقة من خلال تعاهدكم كتاب الله العزيز، وحبله المتين، الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

شاكراً تفضلكم بالإهداء القيم، ومشهداً، على نحو خاص، بما تشتمل عليه إصدارات أجزاء التفسير من البحث العميق والاستقراء الشامل والاستنباط الدقيق الذي يجسد حقيقة الإعجاز الذي تناولتموه فضيلتكم بعمق وشمولية، ويسند ذلك ما توافر لكم من العلم الغزير والفقه المتمكن والمرجعية العريقة. بارك الله جهودكم، وأمدكم بعونه وتوفيقه، وكتب لكم المثوبة والأجر، وجزاكم خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

وتفضلوا فضيلتكم بقبول وافر التقدير والاحترام.

عبد الرحمن بن حمد العطية

الأمين العام

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ / ٥
٨ / ٤ / ٥

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/ صالح الطائي
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي
والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.
نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله
في ميزان حسناتكم.
وشكر الله لكم حسن عملكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
مكتبة

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس

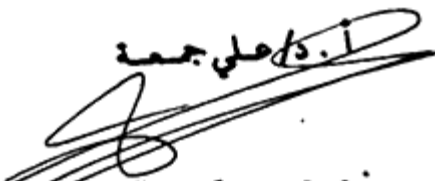
بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فإنه ليسعدني أن أقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام
على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.
وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رئاسة الوزراء
مستشارية الأمن القومي

العدد: ٢٢٥١
التاريخ: ٢٠٢١ / ١١ / ٦

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته
ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس
عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم
لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما
ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله
كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في
الدنيا ، مرشدا وفي الآخرة شفيعا . ونضع أنفسنا وامكاناتنا
لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل
خير .

مع خالص الدعاء

أخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



بسم الله الرحمن الرحيم

کوټ ماری عیراق

داد کای بالایی ئیتتیجادی



جمهورية العراق

المحكمة الاتحادية العليا

العدد : ٥٥ / مکتب / ٢٠٢١

مكتب رئيس المحكمة

التاريخ: ٢٠٢١ / ٩ / ١٦

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طبية

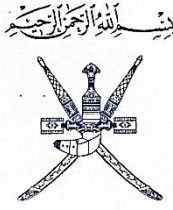
تلقينا ببالغ الاعتزاز اهداءكم القيم (الجزء (٢٢٣)
من تفسيركم للقرآن خاصاً بالآية (١٨٨) من
سورة آل عمران.
نقدم شكرنا وتقديرنا مع وافر التقدير .

القاضي
جاسم محمد عبود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

2.21/9/16

Sultanate of Oman
Ministry of Endowments
and Religious Affairs
Al Ifta Office



سُلْطَنَةُ عُومَانْ
 وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ وَالشُّعُورِ الدِّيْنِيَّةِ
 مَكْتَبُ الْإِفْتَاءِ

No. :

Date : / / 142

/ / 200

الرقم : ٣٠١١ / ٩٩ / ٢٦ / ٢٠١١

التاريخ : ١٤٣٢ / ١ / ٢٩ هـ

: ٢٠١١ / ١ / ٢

المحترم

فضيلة الشيخ العلامة صالح الطائي

مكتب المرجع الديني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

فببدا الشكر والتقدير تلقيت خطابكم المؤرخ في ٢٠١٠/١١/٢م المرفق به هديتكم المباركة كتاب تفسير القرآن الجزء الثمانون .

شاكرًا لكم تواصلكم الدائم معنا، والله يوفقكم لما فيه الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

أحمد بن محمد الخليلي
 المفتي العام لسلطنة عمان





إيسيسكو
ICESCO

المدير العام

Director General

Directeur général

الرباط، في : 15 نونبر 2024

الرقم : مدع. / 14 / 0723

فضيلة الشيخ صالح الطائي
المرجع الديني
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
المنامة – مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
فإنه ليسعدني أن أتقدم لفضيلتكم بخالص الشكر على
تفضلكم بإهدائنا الجزء الرابع والخمسين بعد المائتين من
تفسيركم " معالم الإيمان ".
وإذ نقدر جهودكم العلمية المتواصلة في خدمة كتاب الله
وتفسيره ، أرجو أن تتفضلوا فضيلتكم بقبول فائق التقدير
وبالغ الاحترام .

المدير العام

د. سالم بن محمد المالك



Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتَابِعُ لِنَجْمَةِ الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ
اتِّحَادُ الْمُؤَرِّخِينَ الْعَرَبِ
الْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ

العدد : ت/ ٢٨٠

التاريخ : ٢٥ ذو الحجة ١٤٤٢

الموافق : ٢٠٢١ / ٨ / ٤

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميع مجيب الدعاء.

عزيزي سماحة الشيخ المحترم :

تسلمت بمزيد من الفخر والاعتزاز الجزء (الواحد والعشرين بعد المائتين) من موسوعة (معالم الإيمان في تفسير القرآن) وهو الجزء الخاص بقانون (النزاع المسلح بين القرآن والإرهاب) التي تدلل على ما حباكم الله تعالى به من رعاية ربانية علمية في انجاز هذا العمل العلمي الكبير ، وهو أول عمل علمي في العالم الإسلامي بهذا الحجم وبهذا العمق وبهذا المنهج ، وأسأل الله تعالى أن يديم عليكم نعمة العافية والستر والتوفيق والسداد من أجل تقديم المزيد من العطاء الفكري والعلمي في هذا التخصص النادر ، والله يحفظكم ويرعاكم بعين حفظه ورعايته إنه سميع مجيب الدعاء.

أكرر شكري وتقديري وامتناني العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

م
الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد/رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي

والتراث العلمي للدراسات العليا



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة الإسلامية
بجامعة الإمام
محمد بن عبد
الواحد
(٠٣٧)

الموضوع:

فضيلة الشيخ/ مدير مكتب المرجع الديني للشيخ صالح الطائي الموقر
ص.ب ٢١١٦٨ - المنامة - مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

تلقيت بكل الشناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/٢٤٢٠
وتاريخ ٢٠١٦/١٠/١٦ المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان
في تفسير القرآن" الجزء الأربعون بعد المائة.

أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم بتزويد إدارة
الجامعة بهذه النسخة القيمة، وستحال إلى مكتبة الجامعة للإطلاع عليها
والاستفادة منها، سائلا المولى جلت قدرته للجميع التوفيق والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

النمرة: .. ج ك/م م/١٧/ح/٣
التاريخ: ٢٠١٦/٧/١١
مكتب المدير
Vice Chancellor Office

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا، مقرونة بأحر التهاني وأبهى التبريكات بمناسبة عيد الفطر المبارك، أعاده الله علينا وعليكم والأمة المسلمة بالخير واليمن والبركات، وعظفاً على خطابكم الصادر بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٠ بالرقم ١٦/١٨٥٧، والمرسل معد إصدار الجزء الثاني والثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) فإن الواجب يقتضي أن نزجي لكم وافر الشكر وفائق التقدير على هذا المدد والفيض العميم من العلم القرآني النافع، ترسيخاً لمعاني التدبر، وتحريكاً للملكة العقل من الجمود، فهي المعرفة ذات الحدود الواسعة، لاكتشاف مكنونات عظمة هذا القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تعظيماً لقدرة الله جل وعلا والإعتراف له بالوحدانيه، وهذا ما يقوم به مكتب المرجع الديني لخدمة الإسلام والمسلمين عبر مؤسساتهم الأكاديمية والعلمية والبحثية، وختاماً لا يسعنا إلا أن نقول جزاكم الله خيراً وأن يتقبل منكم هذا العمل المبارك، وكل عام وأنتم بخير.

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور
مدير الجامعة



الرقم: ١٧٢ / ١ / ١٤٦٠
 التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٤٣٧ هـ
 الملاحظات:
 الموضح:



الجمهورية العربية السورية
 وزارة التعليم العالي
 الجامعة الإسلامية
 مكتب المصنف
 (٠٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

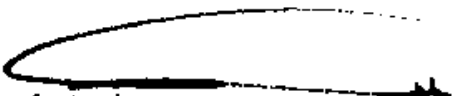
فأسال الله لمعاليكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أقدم لمعاليكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية


 أ.د / عبدالرحمن بن عبدالعزيز السعيد

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٩٧ / ١
التاريخ: ٢٠١٦ / ٤ / ١٠
١٤٣٧ / ١ / ١٠

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.

ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠



بسم الله الرحمن الرحيم

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. _____

Date _____

الرقم ١٧١١٠٨١٤٦

التاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م

الموافق ٢٦/٥/٢٠١٢م

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر وإعزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢)

تاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية (١٣٣)

من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا،

سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن

يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامنة

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret :

Date:

العدد: ١٩٦ / ٢

التاريخ: ١٩ / ٢ / ٢٠١٥

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

م/شكر على اهداء

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير وهو القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.

...مع التقدير

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رئاسة الجامعة



قسنطينة في: 25/03/2015

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة
الرجوع: ١٤/٠٤/٢٠١٤

إلى السيد المحترم/الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

شكر وتقدير

تحية طيبة وبعد :

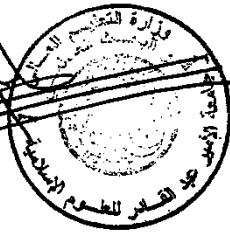
تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بو خلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتقاة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال
مدير الجامعة



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University Of Sumer
Bureau Of University President



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سومر
مكتب رئيس الجامعة

Ref :

Date : / /2017

العدد : ٥٦٧ / ٤ / ٦

التاريخ : ٢٠١٧ / ٩ / ٢٠

اعتماد الجودة دليل تقدم جامعتنا

مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقينا إهداءكم لنا نسخة من الجزء الخامس والخمسين بعد المائة
من معالم الإيمان في تفسير القرآن لا يسعنا إلا أن نتقدم
لشخصكم الكريم بالشكر الجزيل متمنين لكم دوام
الصحة والعافية، وأن يجعلكم سندا وذخرا للأمة الإسلامية
متمنيا لكم كل التقدير والإزدهار.

مع وافر التقدير والاحترام

أ.د. قاسم نايف علوان المحياوي

رئيس الجامعة وكالة

٢٠١٧/٩/٢٠



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	٤٦	خصال أولي الألباب
٨	الآية ١٩٣	٤٨	نعمة التفكير
٨	الإعراب واللغة	٥١	قانون التفكير إقرار
١٠	في سياق الآيات	٥٢	مسألتان
١٠	الوجه الأول : صلة آية البحث بالآية السابقة ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ	٤٠	قانون الآيات الكونية تعضيد للنبوة
٢١	قراءة في الآية السابقة	٥٨	النسبة بين النجم والكوكب
٢٤	دروس من الآية السابقة	٦٠	معجزة سرعة الضوء
٢٦	قانون مصاحبة الحزري للكفر	٦١	تعاقب الليل والنهار
٢٧	قانون تبرأ المسلمين من الظالمين	٦٤	قانون كل اكتشاف في الفضاء آية لأولي الألباب
٢٩	تقدير الجمع بين خاتمة الآية السابقة مع آية البحث	٦٥	معنى الألباب
٣١	الوجه الثاني : صلة آية البحث بالآية قبل السابقة ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ	٦٦	الوجه الثالث : صلة آية البحث بقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
٤٥	تقدير الجمع بين الآيتين	٧١	رفع السماء بغير عمد

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٣	الوجه الرابع : صلة آية البحث بقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	١٠٩	الصلة بين أول وآخر الآية
٧٩	إعجاز صلة الآية بآيات القرآن الأخرى	١١٧	من غايات الآية
٨١	أجزاء الصلة بين الآيات	١٢٠	التفسير قوله تعالى ﴿رَبَّنَا﴾
٨٢	إعجاز الآية الذاتي	١٢٢	بداية الآية (ربنا)
٨٥	إعجاز الآية الغيري	١٢٤	بحث نحوي / وجوه النداء
٨٧	الآية سلاح	١٢٦	دلالات تعدد النداء ﴿رَبَّنَا﴾
٨٨	مفهوم الآية	١٢٨	قانون نداء (ربنا) شهادة الإيمان
٩٠	إفاضات الآية	١٣٠	قانون المسلمون ينادون للإيمان
٩٤	الآية لطف	١٣١	قانون تعاهد الإيمان
٩٧	تقدير اللطف في آية البحث	١٣٢	المنافع اليومية لآيات القرآن
٩٩	الآية بشارة	١٣٣	قانون النداء للإيمان دائم ومتصل
١٠١	الآية إنذار	١٣٥	الدنيا دار النداء السماوي
١٠٢	آية البحث شكر الله	١٣٦	أركان النداء في آية البحث
١٠٤	الخطاب إلى النبي (ص) في القرآن	١٣٨	بحث عرفاني

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٣٩	قوله تعالى ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾	١٧٢	النسبة بين النداء والدعوة إلى الإيمان
١٤١	قانون دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى	١٧٣	إنتفاء موضوع الجزية هذا الزمان
١٤٤	تقدير ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾	١٧٤	النسبة المنطقية بين الآخرة ويوم القيامة
١٤٥	عموم النداء الرسالي	١٧٥	تخصيص الكتاب بخبر الواحد العام القرآني
١٥٣	معجزة ﴿سَمِعْنَا﴾	١٧٧	العام الذي يراد منه الخصوص
١٥٥	قانون التكامل بين حواس الإنسان	١٨٣	المطلق والمقيد
١٥٦	علم المناسبة	١٨٦	فتوى في خبر الواحد
١٥٩	قوله تعالى ﴿مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾	١٨٧	هل خبر الواحد حجة
١٦٠	من المنادي	١٨٧	المعجزات الجامعة للأنبياء
١٦٣	قانون نفي ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ لنسخ آيات السلم	١٩٣	آية البحث من آيات السلم
١٦٥	قانون النداء للإيمان عام	١٩٧	قانون اقتران النبوة بالمعجزة
١٦٦	علم المناسبة	٢٠٢	قانون من الإيمان حرمة الاعتداء
١٦٨	أيهما أكثر نداءات الدنيا ، أم يوم التناد	٢٠٤	خطبة حجة الوداع سلام وصلاح
١٧٠	بحث بلاغي		

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٩	قانون سماع أجيال المسلمين لخطبة الوداع	٢٤٤	عدد أصحاب موسى عليه السلام
٢١٠	رؤيا يوحنا عن نهاية العالم	٢٤٩	سؤال العفو والهداية
٢١٢	الجملة الخبرية والإنشائية	٢٥٠	بين الذكر والإستغفار
٢١٥	قانون اتصال الرزق	٢٥٢	قانون عدم التعارض بين المناجاة وطلب الرزق
٢١٧	أسماء النبي محمد (ص)	٢٥٣	قوله تعالى ﴿أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا﴾
٢١٨	قانون كثرة أسماء النبي محمد (ص) إكرام له	٢٥٦	خصال المسلمين الحميدة
٢٢٣	اسم (عبد الله) للنبي محمد (ص)	٢٥٨	علوم مستحدثة في هذا السفر
٢٢٤	أسماء النبي محمد (ص) في السنة النبوية	٢٥٩	قوله تعالى ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾
٢٢٦	الجمع بين اسم وكنية النبي محمد (ص)	٢٦٠	فكاك أسرى بدر بالتعليم
٢٢٨	دعاء الأنبياء توطئة لبعثة النبي محمد (ص)	٢٦٦	لفظ (مالك) في القرآن
٢٣٠	قانون المعجزة توليدية	٢٦٩	قوله تعالى ﴿وَكَفَّرْنَا عَنْ سَيِّئَاتِنَا﴾
٢٣١	قانون ذخائر القرآن غير المستخرجة هي الأكثر	٢٧٠	قانون الثناء على المؤمنين
٢٣٢	علوم القرآن مستقبلاً	٢٧١	قانون بيان ضروب العبادة
٢٣٩	معجزات موسى (ع)	٢٧٣	الدعاء بالمأثور

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
اجتماع الضدين في شهر رمضان	٢٨٩	قوله تعالى ﴿وَتُوفَّئُا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾	٢٧٥
إمساكية شهر رمضان - ١٤٤٥هـ	٢٩١	علم المناسبة	٢٨٠
يوميات علمية للمرجعية الإسلامية	٢٩٣	بحث كلامي	٢٨٢
ردود كريمة	٣٠١	قانون التباين في قبض الأرواح	٢٨٤
الفهرس		رؤية الهلال	٢٨٨

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٤١٦ لسنة ٢٠٢٣